



الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة 20 أوت 1955 سكيكدة



كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية

قسم: العلوم الإنسانية

التخصص: تاريخ المقاومة والحركة الوطنية

م عنوان المذكرة:

السياسة الاستعمارية الفرنسية اتجاه فريضة الحج 1954 - 1830

مذكرة مكملة لنيل شهادة الماستر في تاريخ المقاومة والحركة الوطنية الجزائرية

تحت إشراف الأستاذ:

د. تركي عبد القادر

من إعداد الطالبين:

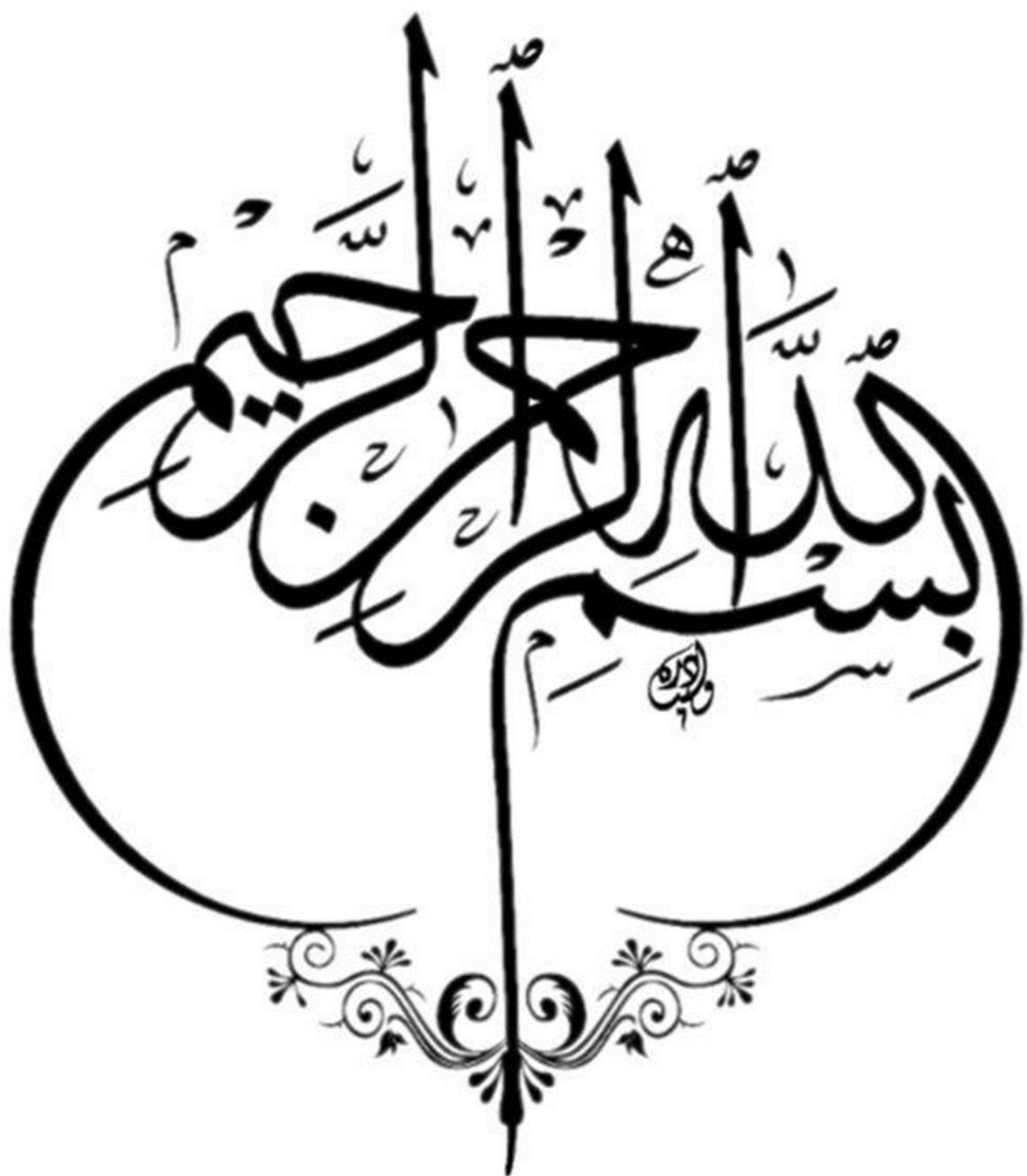
➤ ابتسام بن موسى

➤ أماني بوسعيد

لجنة المناقشة

الاسم واللقب	الصفة	الجامعة
د. عمار سماعلي	رئيساً	جامعة 20 أوت 1955 سكيكدة
د. عبد القادر تركي	مضرباً ومقرراً	جامعة 20 أوت 1955 سكيكدة
د. عبد القادر بورمضان	مناقشاً	جامعة 20 أوت 1955 سكيكدة

السنة الجامعية: 1446-1447هـ / 2024-2025م



الشكر والتقدير

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي بنعمته الصالحات وبفضله وتوفيقه بلغنا هذه المرحلة العلمية وأتممنا هذا العمل المتواضع.

نتقدم بجزيل الشكر والامتنان لله عز وجل الذي ألهمنا الصبر والقوة ويسر لنا سبل العلم والتعلم ووفقنا في انجاز هذه المذكرة التي تعد ثمرة سنوات من المثابرة والجهد.

نخص بالشكر والتقدير استاذنا المشرف الفاضل الأستاذ تركي عبد القادر على ما بذله من جهد وما خصنا به من وقته الثمين وتوجيهاته العلمية الدقيقة، وملاحظاته القيمة التي كان لها الأثر البالغ في توجيهنا خلال اعداد هذه المذكرة، لقد كان دعمه المستمر ونقذه البناء سندا لنا طيلة فترة العمل فله منا كل الشكر والعرفان. سائلين المولى ان يجزيه خير الجزاء وان يجعل ما قدمه لنا في ميزان حسناته. كما نتقدم بجزيل الشكر والعرفان والامتنان الى الأستاذ قبائلي هواري الذي قدم لنا العون وجزاه الله خير الجزاء وجعلها الله في ميزان حسناته.

كما لا يسعنا الا ان نشتمن مجهودات استدنتنا الكرام في قسم العلوم الإنسانية الذين لم يبخلوا علينا بعلمهم ونصائحهم وكانوا خير معين وسند طيلة مسيرتنا الجامعية.



الإهداء

في اللحظات الأخيرة من هذه الرحلة الطويلة أجد نفسي أمام صفحة بيضاء تحكي قصة سنوات من العطاء، التعب والأمل. هذه الكلمات ما هي إلا محاولة متواضعة لأعبر عن امتنان لا يقدر بثمن لمن كانوا لي السند والضوء في دروب الحياة التي لم تكن يومًا سهلة، لكنها بحبكم ووجودكم أصبحت ممكنة وجميلة.

إلى أمي الحبيبة هدى التي كانت ولا زالت القلب الحنون واليد الحانية التي لا تعرف التعب، أمي التي ضحت بشبابها لأجلي أن تبني لي حياة أفضل، في كل لحظة من عمري كانت تضحياتك هي الحجر الأساس في هذا البناء.

إلى أبي حسين الذي كان الأب الحنون والصديق الوفي، كان وجودك أمانًا لطفولتي وطمأنينة تكسو قلبي.

إلى جدي وأمي سكينه الغالي التي ربّنتي كما لو كنت ابنتها، إلى روح خالي الحبيب فؤاد الذي رحل عنا جسديًا لكنه ظل حاضراً في قلبي بكل تفاصيله، إلى أخوالي وأخوتي الأعزاء فارس وعصام، الذين كانا لي بمثابة الأخوين الحقيقيين بدعمهم غير المحدود.

إلى خالاتي وأخوتي العزيزات زينة وعبلة ونسيمة اللاتي لم يكن وجودهن في حياتي مجرد علاقة قرابة، بل كن كالأخوات الحقيقيات، كن الشاطئ الذي أرسو عليه سفينة روحي بعد أن تواجه عواصف الحياة. إلى زوجات أخوالي العزيزات، فوزية التي كانت داعمة لي في هذا العمل وآمال وهاجر اللاتي كنّ لي نعمة صافية، إلى أخي مولود مدرستي التي لم تكن لها جدران.

وأخيراً، إلى صديقتي الغالية ابتسام التي شاركتني رحلة الدراسة لأجد كلمات تعبر عن مدى امتناني لك لأنك كنت جزءاً لا يتجزأ من نجاحي وسعادتي.

إلى كل هؤلاء أهدي هذا العمل المتواضع، وأسأل الله أن يجعله نبراساً لكل طالب علم.

أمني



الإهداء

بعد الشدة يأتي الفرج وبعد الشقاء تأتي الراحة وإلى المولى عزوجل يأتي نجاحي أهدي
تحياتي إلى عائلتي الكريمة عائلة بن موسى وإلى من دعت الرب لأجلي الوصول إلى
أهدافي وأرادت العلا إلى أقربهم إلى قلبي أُمي الحبيبة وإلى من علمني مكارم الأخلاق
ومحاسن الصفات أبي الغالي تاج رأسي وإلى إخوتي ناجي عصام حسام سندي في هذه
الحياة وإلى زوجة أخي فتيحة وابن أخي أسيد الغالي وإلى اختي العزيزة فاطمة وصديقتي
ريان وجميع أصدقائي الكرام وإلى زميلتي أمانى بوسعيد التي تقاسمت معي هذا العمل وإلى
كل من يعرفني من قريب وبعيد أهدي ثمرة هذا العمل المتواضع .

إبتسام



خطة الدراسة

خطة الدراسة

مقدمة

الفصل الأول: السياسة الدينية الفرنسية في الجزائر

المبحث الأول: السياسة الاستعمارية تجاه المؤسسات الدينية

المبحث الثاني: سياسة التنصير الفرنسية في الجزائر

المبحث الثالث: محاربة التعليم الإسلامي

المبحث الرابع: تهجير ونفي العلماء الجزائريين

الفصل الثاني: وضعية الحج قبل الاحتلال الفرنسي

المبحث الأول: مكانة فريضة الحج في الجزائر العثمانية

المبحث الثاني: رحلات وطرق الحج

المبحث الثالث: حجم ركب الحج الجزائري ومراحل سيره

المبحث الرابع: الصعوبات التي واجهها ركب الحج الجزائري

الفصل الثالث: السياسة الاستعمارية الفرنسية تجاه فريضة الحج في الجزائر

المبحث الأول: نظرة الاحتلال الفرنسي للحج

المبحث الثاني: القوانين والتشريعات الفرنسية الخاصة بفريضة الحج

المبحث الثالث: التحكم في أعداد الحجاج

المبحث الرابع: فرض الرقابة والجوسسة على ركب الحج الجزائري

الفصل الرابع: ردود فعل الجزائريين على السياسة الاستعمارية تجاه الحج

المبحث الأول: الحج غير النظامي

المبحث الثاني: الاحتجاجات

المبحث الثالث: مواقف تيارات وأحزاب الحركة الوطنية من السياسة الاستعمارية تجاه الحج

خاتمة

مقدمة

مقدمة

منذ احتلاله للجزائر سنة 1830 عمل الاحتلال الفرنسي على تطبيق سياسة استعمارية شملت جميع الجوانب التي تخص المجتمع الجزائري بما فيها الجانب الديني، فالاحتلال الفرنسي كان يرى أن الدين الإسلامي يحافظ على الهوية الوطنية للجزائريين وأنه يشكل حاجزاً أمام فرض سيطرتها على الجزائر وأمام تطبيق مشروعها الاستعماري الاستيطاني، ومنه فقد سعى الاحتلال الفرنسي إلى التحكم في الدين الإسلامي ومؤسساته ومحاولة الحد من انتشاره في الجزائر عن طريق مجموعة من الأساليب والوسائل الاستعمارية التي تجسدت في غلق وتهديم المؤسسات الدينية ومصادرة أملاك الأوقاف الإسلامية ونفي وتهجير الأئمة والعلماء والمفتيين، ولم تتوقف سياسة الاحتلال عند هذا الحد بل تعدت ذلك لتستهدف الفرائض الدينية المقدسة عند المسلمين وعلى رأسها فريضة الحج إلى البقاع المقدسة حيث اتبع سياسة المنع والتضييق على الحجاج الجزائريين في أداء هذه الفريضة، وقد كان تضييق الإدارة الاستعمارية على هذه الفريضة نابعاً من تخوفها من طابعها العابر للحدود وما قد ينجر عن ذلك من استقطاب لأفكار تحررية أو نوايا ثورية، ومنه فقد سارعت هذه الأخيرة إلى مواجهة هذه الفريضة وتقييدها من خلال إصدار مجموعة من القوانين والتشريعات قصد الحد منه، وقد نتجت عن هذه السياسة مجموعة من المواقف الوطنية التي شكلت ردود فعل ضد هذه السياسة التي تمس دينهم وهويتهم، ونظراً لأهمية هذا الموضوع فقد جاءت دراستنا حول "السياسة الاستعمارية الفرنسية تجاه فريضة الحج 1830-1954" والتي نرصد من خلالها سياسة الاحتلال الفرنسي تجاه ظاهرة دينية هامة متمثلة في الحج إلى بيت الله الحرام.

أهمية الموضوع:

تكمن أهمية موضوعنا هذا في أنه يسلط الضوء على جزئية هامة من جزئيات تاريخ الجزائر والتي تتعلق بالجانب الديني والعقدي للجزائريين وهي السياسة الاستعمارية الفرنسية تجاه فريضة الحج في الجزائر، حيث أن هذه القضية شكلت قضية جد خطيرة على هوية الجزائريين وارتباطهم بالعالم الإسلامي، ومنه فقد جاءت دراستنا هذه للكشف عن تفاصيل هذه السياسة وردود الفعل تجاهها.

الإشكالية:

يعد الحج من الشعائر الدينية المهمة لدى المسلمين ، و قد كان له دور خاص في حياة الجزائريين خلال فترة الاحتلال الفرنسي . غير ان السلطات الفرنسية لم تتقبله و حاربته ما جعلها تتبع سياسة خاضعة اتجاهه ، جمعت بين القمع و المراقبة . هذا ما يدفعنا لطرح الإشكالية التالية: كيف كانت السياسة الاستعمارية الفرنسية تجاه فريضة الحج في الجزائر خلال فترة الاحتلال الفرنسي 1830-1954؟

وتتدرج تحت هذه الإشكالية الرئيسة مجموعة من التساؤلات الفرعية كالآتي:

- كيف كانت السياسة الدينية الفرنسية في الجزائر؟
 - كيف كانت وضعية الحج في قبل الاحتلال الفرنسي؟ وما هي أهم الرحلات والطرق التي يسلكها ركب الحجاج الجزائريين؟ وما هي الصعوبات التي واجهوها؟
 - فيما تمثلت سياسة الإدارة الاستعمارية الفرنسية تجاه فريضة الحج؟
 - كيف كانت المواقف من السياسة الاستعمارية تجاه فريضة الحج؟ وفيما تجسدت ردود الفعل تجاهها؟
- حدود الموضوع:**

بالنسبة للإطار المكاني للدراسة فقد قما بتحديدة بالجزائر ، أما الإطار الزمني للدراسة فقد حددناه بين سنتي 1830 - 1954م، حيث يمتد من بداية الاحتلال الفرنسي للجزائر وإلى غاية إندلاع الثورة التحريرية الجزائرية.

الهدف من الموضوع:

إن الهدف الأساسي من دراسة هذا الموضوع يتمثل في التعرف على الأساليب والوسائل التي اتبعتها السلطات الاستعمارية الفرنسية في الجزائر لمواجهة أحد أهم فرائض الدين الإسلامي وهي فريضة الحج وكذا معرفة الطرق التي اتبعتها من أجل التقليل منها، إضافة إلى التعرف على أهمية الدور الذي لعبه ركب الحج الجزائري في استمرار المقاومة الوطنية الجزائرية وعدم الرضوخ لسلطة الاحتلال.

أسباب اختيار الموضوع:

أما عن أسباب اختيار موضوعنا هذا فتمثلت في الرغبة في تسليط الضوء على دور الحج والحجاج في مقاومة السياسة الاستعمارية، تشجيع الأستاذ المشرف لنا للإقدام على دراسة هذا الموضوع.

المنهج :

اتبعنا في إعداد موضوعنا هذا المنهج التاريخي بأدواته الوصف والتحليل والاستنتاج، حيث قمنا بعرض الأحداث اعتماداً عليه، كما اعتمدنا على أداة الوصف في وصف ركب الحجاج ومسالك الحج، فيما اعتمدنا على أداة التحليل في تحليل مضامين القوانين الخاصة بالحج وكذلك في تتبع أعداد الحجاج بين الزيادة والنقصان.

خطة الموضوع:

للإجابة على هذه الإشكالية الرئيسية والتساؤلات الفرعية قسمنا دراستنا هذه إلى أربعة فصول حيث جاء الفصل الأول بعنوان: السياسة الدينية الفرنسية في الجزائر والذي قسمناه إلى أربعة مباحث؛ الأول بعنوان السياسة الاستعمارية اتجاه المؤسسات الدينية في الجزائر، أما المبحث الثاني بعنوان سياسة التنصير في الجزائر، فيما جاء المبحث الثالث بعنوان السياسة الفرنسية تجاه التعليم ومؤسساته، أما المبحث الرابع فقد عالجنّا فيه قضية تهجير ونفي العلماء والأئمة الجزائريين.

أما الفصل الثاني فقد جاء بعنوان وضعية الحج قبل الاحتلال الفرنسي والذي بدوره قسمناه إلى أربعة مباحث؛ المبحث الأول بعنوان مكانة الحج في الجزائر العثمانية، أما المبحث الثاني فجاء بعنوان رحلات ركب الحجاج الجزائريين والطرق المتبعة، فيما جاء المبحث الثالث بعنوان حجم الركب الجزائري ومراحل سيره، وأخيراً المبحث الرابع بعنوان الصعوبات والتحديات التي واجهت الحجاج الجزائريين خلال رحلاتهم الحبية.

ثم جاء الفصل الثالث بعنوان السياسة الاستعمارية تجاه فريضة الحج والذي تناولنا فيه أربعة مباحث؛ الأول بعنوان نظرة الاحتلال الفرنسي للحج، ثم الثاني بعنوان القوانين والتشريعات الفرنسية تجاه فريضة الحج، أما الثالث بعنوان السياسة الاستعمارية في التحكم في أعداد الحجاج، أما المبحث الرابع فقد جاء بعنوان السياسة الاستعمارية في فرض الرقابة والجوسسة على ركب الحجاج الجزائريين.

وأخيراً جاء الفصل الرابع بعنوان ردود فعل الجزائريين على السياسة الاستعمارية تجاه فريضة الحج وتناولنا فيه ثلاث مباحث؛ الأول بعنوان الحج غير النظامي في أوساط الجزائريين، أما الثاني بعنوان الاحتجاجات كوسيلة لرفض السياسة الاستعمارية، فيما جاء المبحث الآخر بعنوان موقف تيارات الحركة الوطنية من السياسة الاستعمارية تجاه الحج.

وفي الأخير ختمنا دراستنا هذه بمجموعة من النتائج والاستنتاجات التي هي عبارة بحثنا هذا، كما أرفقنا بحثنا بمجموعة من الملاحق التي تخدم الموضوع.

الدراسات السابقة:

فيما يخص الدراسات السابقة لموضوعنا فإننا نجد على رأسها أطروحة دكتوراه للأستاذ هوري قبائلي بعنوان "مسألة الحج في السياسة الاستعمارية الفرنسية بالجزائر 1894-1962" وقد اعتمدنا عليها بشكل كبير في إنجاز موضوعنا، لكن هذه الدراسة لم تركز بصفة خاصة على تفاصيل الركب الجزائري، كما أنها عالجت الموضوع من أواخر القرن التاسع عشر، ومنه فقد عالجنا في دراستنا هذه قضية السياسة الاستعمارية تجاه فريضة الحج منذ الاحتلال الفرنسي، كما أننا قمنا بعتاء لمحة شاملة عن وضعية الحج ومكانته في الجزائر قبل الاحتلال الفرنسي، كما أننا قمنا بمتبع ردود فعل الجزائريين على هذه السياسة.

المصادر والمراجع المعتمدة:

بالنسبة للمصادر المعتمدة فقد اعتمدنا على مجموعة منه ونجد من أهمها: كتاب "ماء الموائد الرحلة لبيباً" لمؤلفه العياشي، إضافة إلى كتاب تاريخ الجزائر الثقافي لمؤلفه أبو القاسم سعد الله، أما المراجع فنجد من أبرزها أطروحة دكتوراه للأستاذ بوسعيد أحمد بعنوان "ركب الحج الجزائري خلال العهد العثماني 1518 1830"، إضافة إلى أطروحة دكتوراه أخرى للأستاذ هوري قبائلي بعنوان "مسألة الحج في السياسة الاستعمارية الفرنسية بالجزائر 1894 1962".

صعوبات الموضوع :

وخلال دراستنا لهذا الموضوع واجهتن مجموعة من الصعوبات والعراقيل نذكر منها: ضيق الوقت وقلة الدراسات المتخصصة في هذا الموضوع، إضافة إلى صعوبة ضبط خطة البحث في البداية، كما نجد من بين الصعوبات صعوبة الوصول إلى الوثائق الأرشيفية التي كان بالإمكان أن تقدم إضافة كبيرة لموضوعنا.

المفصل الأول: السياسة الدينية

الفرنسية في الجزائر

المبحث الأول: اتجاه المؤسسات الدينية الفرنسية في الجزائر

سعت فرنسا أثناء استعمارها للجزائر إلى التأثير على المجتمع الجزائري بكل الطرق، وكان من بين أهدافها المؤسسات الدينية، فقد حاولت السيطرة على المساجد والزوايا لأنها كانت تدرك أن لها دور كبير في نشر الوعي الديني والحفاظ على الهوية الإسلامية ففرضت رقابة وقيود للحد من تأثيرها.

1-المساجد: كانت العناية بالمساجد ظاهرة بارزة في المجتمع الجزائري المسلم فلا تكاد تجد قرية أو حي في المدينة دون مسجد فقد كان المسجد ملتقى العباد ومجمع الأعيان ومنشط الحياة العلمية والاجتماعية فهو قلب القرية في الريف وروح الحي في المدينة، وكان المسجد أيضا هو الرابطة بين أهل القرية والمدينة أو الحي لأنه يشتركون جميعا في بنائه¹.

حاولت فرنسا القضاء عليها لتهيئة المجتمع الجزائري للعزلة الدينية²، فبدأ الاستعمار بتدمير المساجد التي كانت تمثل ركائز متينة لاستمرار الشعائر الإسلامية³، وانتهاك حرمة المساجد رسميا وعلى أوسع نطاق كما قاموا بتحويلها إلى كنائس وكذا ثكنات ومستشفيات وإصطبلات ولم يتوان في خلق البعض الآخر ثم توالى توزيع المساجد على الجيش وتخصيصهم إلى ربط الخيول ووضع عتادهم، كما كانت المساجد تباع للأوروبيين ليهدمونها ويبنوا عليها المنازل والحمامات واستغلت الأخرى كمخازن للحبوب ومساح للصيديات⁴.

¹ أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي 1500.1830، ج1، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1998م، ص246.

² بن أزواو فتح الدين، «السياسة الاستعمارية الفرنسية الدينية في الجزائر، 1830.1954»، مجلة البحوث التاريخية، مجلد 5، العدد 12، جامعة محمد بوضياف، المسيلة، الجزائر، ديسمبر 2021، ص278.

³ المرجع نفسه، ص279.

⁴ منال مناجلي، السياسة الدينية الفرنسية في الجزائر 1830.1870م، مذكرة لنيل شهادة الماستر، جامعة 8 ماي 1945م، قالمة، 2022.2023، ص61.

ويذكر أحد المؤرخين أن عدد المساجد في الجزائر بلغ في بداية الاحتلال الفرنسي حوالي 169 مسجد وحولت 3 منهم إلى كنائس ومن أهم المساجد التي تم الاستلاء عليها¹:

أ- **مسجد كتشاوة**: ويعتبر أجمل المساجد في الجزائر بني على الطراز الحديث، فقد أراد الجنرال دورفيقوا الاستلاء عليه فالتقى ببعض علماء الدين لإبلاغهم بذلك لكنهم رفضوا قراره وعلى الرغم من محاولاتهم لإقناعه بأخذ مسجد حنفي آخر، إلا أنه رفض وأصدر على مسجد كتشاوة، وفي 18 كانون الأول 1832م، أصدر الجنرال دورفيقو أمرا بتحويله إلى كاتدرائية. أطلقت عليه "كاتدرائية سيدة الجزائ"ر وقدم ملك فرنسا أفخر أنواع الأقمشة والستائر لإكساء كاتدرائية الجديدة.

ب- **مسجد السيدة**: يعتبر مسجد السيدة أول مسجد هدم في الجزائر بأمر من الجنرال كلوزيل الذي يحتوي على كنوز الداي، لذلك صار كلوزيل يزور المسجد يزوره في خشوع ذلك المكان ويقصده مرارا للصلاة فيه، والدعاء ثم قرر بكل عفة أن يستولي عليه وعلى الزرابي والثريات والمشاعل وعلى منبر رخامي كان هناك، وهكذا أمر الجنرال كلوزيل بغلق أبواب المسجد وأدخل عليه ليلا جماعة من العمال، للبحث عن الكنز المزعوم وظل الأمر كذلك إلى أن استنفدت جميع وسائل البحث، وضاع كل أمل ولتغطية هذه الفضيحة، شرع حينها في تقديم ذلك المسجد².

ج- **مسجد غرب الجزائر**: بلغ عدد المساجد في غربي الجزائر حوالي 15مسجد تعرض عدد كبير منها إلى الهدم والتحويل وخاصة في مدينتي وهران ومعسكر أما في مدينة البليدة فقد قام الحاكم العسكري للجزائر اختيار أجمل مساجدها وتحويلها إلى كنائس كاثوليكية .

د- **باقي مساجد المدن الجزائرية**: ولم تقتصر عمليات الهدم والتحويل على مساجد العاصمة وغرب البلاد فحسب وإنما شملت العديد من المدن الجزائرية منها مدينة قسنطينة التي حول عدد مساجدها

¹ نوفل وضاح، «سياسة فرنسا الاستعمارية في الجزائر 1830.1894م، الجانب الديني»، مجلة جامعة تشرين، مجلد 43، عدد5، سبتمبر 2021، ص 172.

² حمدان بن عثمان خوجة، المرأة، تعريب وتحقيق محمد العربي الزبيري، منشورات ANEP، طبع بالمؤسسة الوطنية للفنون وحدة الرغاية، الجزائر، 2006م، ص 247.

إلى كنائس ومخازن مثل مسجد صالح باي الذي حولته فرنسا إلى كنيسة، ومسجد رحبة صوف الذي حول عام 1837م إلى مخزن ثم إلى ملجأ بالإضافة إلى هدم بعض منها، مثل مسجد القصبة ومسجد الكبير، مسجد بسوق الغزل، مسجد سيدي الأخضر، أما في مدينة عنابة فقد هدم فيها حوالي 37 مسجد أهمها جامع سيدي بنو مروان الذي يعتبر أعظم مساجد عنابة¹.

2- الأوقاف: لقد عرفت الجزائر عدة مؤسسات وقفية منها مؤسسة أوقاف الحرمين الشريفين وأوقاف الجامع الأعظم وأوقاف سبل الخيرات وأوقاف الزوايا والأضرحة والمساجد وأوقاف بيت المال، وبعد احتلال الفرنسي للجزائر سارعت فرنسا لاستلاء عن مختلف الأملاك الوقفية.

على الرغم من أنها قد تعهدت في معاهدة الاستسلام باحترام الممتلكات الإسلامية إلا أنها نكشت بعهودها وقامت بإصدار مجموعة من قرارات والمراسيم التي نصت على الاستيلاء،² فقد كانت الأوقاف موجودة في الجزائر كما كانت في بقية البلاد الإسلامية وهي نظم حبس مال وأراضي ونحو ذلك تصرف منفعتهم على الفقراء وخدمة الدين والعلم ولقد لعبت دورا معتبرا في العقد العثماني وخاصة في مجال التعليم ونشر الثقافة وهي نوعان الأوقاف الخاصة والأوقاف العامة،³ والتي تتمثل في أوقاف بيت المال، أوقاف الطرقات، أوقاف العيون، أوقاف الأندلس، أوقاف الأشراف، أوقاف مكة والمدينة، وأوقاف سبل الخيرات.⁴

ويحبسها أهل الخير لأغراض خيرية مثل التي تخصص للتعليم والعناية بالحج واستصلاح المساجد ومائدة الأيتام⁵.

¹ نوفل وضاح، مرجع سابق، ص173

² هشام مزوجي، «السياسة الاستعمارية إتجاه الأوقاف في الجزائر من 1830 إلى غاية 1848»، مجلة المعيار، المجلد 25، عدد56، جامعة العربي التبسي، تبسة، جوان 2021م، ص997.

³ خديجة بقطاش، الحركة التبشيرية في الجزائر 1830.1871م، دار دحلب، الجزائر 2008م، ص24.

⁴ مزيان سعيدي، «من مظالم السياسة الدينية الفرنسية في الجزائر 1830.1870م»، مجلة الحوليات التاريخ والجغرافيا، مجلد2، عدد3، 30 أفريل 2007م، ص39.

⁵ خديجة بقطاش، مرجع سابق، ص24.

أما الأوقاف الخاصة فهي أوقاف شيخ الثعالبي، أوقاف الجامع الكبير، أوقاف مختلف المساجد والزوايا و القباب،¹ فأول خطوة اتخذتها فرنسا لاستلائها على أملاك الأوقاف هي إصدار قرار 08 سبتمبر 1830 من طرف ديبرمون الذي استولت بمقتضاها عن جميع أملاك الأوقاف الإسلامية في سائر جهات البلاد،² ففي أحد التقرير نجد قيمة الأراضي الوقفية، التي ضمت أملاك الدولة في مدينة الجزائر وحدها عام 1830م قدرت 4450 هكتار بقيمة 790.000 فرنك³، وفي يوم 7 ديسمبر 1830م أصدرت قرارا آخر أعطت الحق لنفسها أن تتصرف في تلك الأوقاف الإسلامية، بالتأجير والكراء وغيرها،⁴ بعد أن أصبحت تحت تصرف مصلحة أملاك الدولة الفرنسية، حيث يعتبر هذا القرار مكمل للقرار الأول الذي نص على ضم الأملاك الدينية، مهما كانت نوعها والوقفية كأوقاف مكة والمدينة وأوقاف المساجد وأوقاف الأندلسيين،⁵ مما أثار سخطا واستنكارا لدى رجال الدين والعلماء وأعيان مدينة الجزائر الذين رأوا في هذا القرار انتهاكا صريحا للبند الخامس من معاهدة تسليم الجزائر 5 جويلية 1830م وكان في طليعة من احتجوا على ذلك المفتي ابن العنابي مما حال دون مصادرة الأوقاف الحرمين الشريفين.⁶

كما أن السلطة الفرنسية لم تجد صعوبة في حجز أوقاف العيون وتسليمها إلى المهندسين الفرنسيين، ونفس شيء إلى أوقاف الطرقات، سلمت إلى مصلحة للجسور والطرق أما أملاك الجيش فقد احتجزت أيضا لأنها أملاك عثمانية ولأن بقائها في أيدي الجزائريين سيحرضهم على الثورة في نظر

¹ مزيان سعيدي، مرجع سابق، ص، 39

² يحي بوعزيز، سياسية التسلط الاستعماري والحركة الوطنية الجزائرية 1830، 1954م، ديوان المطبوعات الجامعية، عاصمة الثقافة العربية، الجزائر، 2007م ص66.

³ الطيب المجروني، عبد القادر نايلي، «السياسة الفرنسية إتجاه الوقف الإسلامي في الجزائر 1830.1907»، مجلة أنسنه للبحوث والدراسات، مجلد 11، عدد 2، جامعة زيان عاشور، الجلفة، الجزائر 24 جانفي 2021، ص144.

⁴ يحي بوعزيز، مرجع سابق ص67.

⁵ هشام مزوجي، مرجع سابق، ص998.

⁶ الطيب المجروني، مرجع سابق ص144.

الفرنسيين¹، وقد قامت بتعيين وكلاء لتسيير وخدمة هذه الأوقاف من مساجد وزوايا وقد نال الوكلاء حطهم في هذا القرار الذي حافظ على كيانهم ووجودهم إلى حد معلوم، حيث أنهم نجحوا في محافظة على الوضع الذي كان قائما قبل الإحتلال كونهم المسيرين للأوقاف وعلى دراية بشؤونه، كما أنهم كانوا مصدر قلق وإزعاج بالنسبة لسلطات الإحتلال، بسبب احتجاجاتهم على القرارات التي كانت تصدر في حق الأوقاف والمطالبة بالأموال الوقفية على أنهم تعاملت معهم بحذر ومكر وضعفت نفوذهم تدريجيا حيث وضعتهم تحت رقابتها، كما أنها عمدت إلى المؤسسات الوقفية بالهدم تارة والمصادرة تارة أخرى وتحويلها من مهامها التي وجدت من أجلها بذهاب هذه المؤسسات ينتهي دورهم ويصبح وجودهم غير معني².

✍️ **قرار 01 مارس 1833:** ينص هذا القرار على أن يقوم كل الملاك والحائزين والتنظيمات الدينية بما فيها مؤسسة أوقاف الحرمين الشريفين³ بإيداع السندات التي يملكون بموجبها الأراضي لدى مديرية أملاك الدولة الدومين ضمن أجل محدد على أن تخضع هذه السنوات لتحقيق من طرف لجنة أنشئها نفس القرار الذي أمر أيضا بأن كل الملاك الذين لا يقدمون سندات الملكية سوف تضم أراضيهم إلى أملاك الدولة باعتبارها دون مالك إلا أنه سرعان ما تم إلغائه⁴.

على الرغم من إلغاء الإدارة الاستعمارية لهذا القرار إلا أن المصادرة قد وقعت على بعض الأوقاف التابعة للحرمين الشريفين وما يثبت ذلك أن مؤسسة الحرمين الشريفين عرفت تراجعاً كبيراً في نسبة الفائض من المبالغ المالية والتي بلغت عام 1838م حوالي 71.703 فرنكا فرنسيا و59 سنتيما لتتراجع

¹ مزيان سعيدي، مرجع سابق، ص 39، 40.

² عبد القادر طوليب، «السياسة الفرنسية إتجاه الأوقاف في الجزائر بعد الاحتلال 1830م، قراءة في النصوص القانونية والمراسيم»، مجلة العبر للدراسات التاريخية والأثرية في شمال إفريقيا، مجلد 06، ال عدد 01، جامعة ابن خلدون، تيارت، جانفي 2023، ص 260.

³ هشام مزوجي، «الإجراءات الاستعمارية الفرنسية إتجاه أوقاف الحرمين الشريفين في الجزائر من 1830 إلى 1844»، مجلة العلوم الانسانية، جامعة ابن خلدون، تيارت عدد 58، جوان 2022م، ص 313.

⁴ هشام مزوجي، مرجع سابق، ص 313.

إلى 19.003 فرنكا فرنسيا و 20 سنتيما عام 1830 ولعل السبب الرئيسي في تراجع أوقاف الحرمين، يرجع إلى استلاء السلطات العسكرية الفرنسية على العديد من الملكيات الوقفية، من مباني و حوانيت خاصة وأن الجيش الفرنسي استولى على 55 ملكية تابعة لهذه المؤسسات بين سنتب 1830م، 1832م بهدف تحرير الأملاك الوقفية، من هذه الحالة وجعلها في متناول المستوطنين¹.

المخطط العام لتصفية مؤسسات الأوقاف 17.09.1835م : في 25 أكتوبر 1832م وضعت سلطة الاحتلال الفرنسي مخططا عاما لتنظيم الوقف الجزائري تقدم به الجنرال دان المدير العام للأملاك الدولة إلى المقتصد المدني، يهدف إلى وضع الأوقاف تحت إشراف المقتصد الفرنسي، على الأوقاف وتحولت له بذلك سلطة التصرف بكل حرية في 1000 وقف موزعة على 200 مؤسسة خيرية عام 1835م، وإلى جانب ذلك أصدر الحاكم العام قرارا بتاريخ 17.09.1935م تضمن بتعيين مراقب يكلف بقبض المداخل ورفع المصاريف يساعده وكيل الحرمين الشريفين، يقوم بجرد الدفاتر المتعلقة بأملاك الوقفية وسجلات حساباتها ومقارنة المبالغ المسجلة فيه مع مبالغ الموجودة فعلا في الخزينة وقد تم تفعيله في 01.01.1836 م حيث أصبحت كل المداخل والمصاريف الخاصة بأملاك الوقفية، تسجل في دفاتر وتوضع تحت تصرف مكتب المراقبة الذي أنشئ خصيصا لهذا الغرض،² وأصبحت الإدارة الفرنسية تتصرف في المؤسسات الوقفية لمعرفة كل ما يتعلق بها (طبيعتها، وضعيتها، كراء) خاصة بعد إصدار المرسوم المؤرخ بتاريخ 31 أكتوبر 1838³.

¹ هشام مزوجي، مرجع سابق، ص 316.

² هاجر عطيلي، موقف الاحتلال الفرنسي من المؤسسات العلمية والدينية في الجزائر 1830.1938، مذكرة لنيل شهادة الماستر جامعة الشهيد حمة لخضر، الوادي، 2019، 2018، ص 33.

³ محمد الحاكم بن عون، «مسألة الوقف في الجزائر أثناء الاحتلال الفرنسي»، مجلة المعارف للبحوث والدراسات التاريخية، مجلد 3، عدد 13، جامعة حمة لخضر، الوادي، جوان 2017. ص 222.

➔ **مرسوم 31 أكتوبر 1830م وقرار 21 أوت 1839م:** ينص على التصرف في أملاك الوقفية الذي جعل تسيير البنايات الدينية الإسلامية تحت مراقبة وتسيير الإدارة المالية الفرنسية.¹

وهو عبارة عن منشور ملكي إذ قسمت الأملاك الوقفية إلى ثلاث أنواع:

1. أملاك الدولة وطنية: تخص العقارات المحولة التي توجه المصلحة العمومية عن طريق قرارات تشريعية وكان من ضمنها الأوقاف²

2. الأملاك المستعمرة: الدومين الكولونالية الذي ضمت أملاك الوقف، كما نص على التعويض للمستحقين في حالة الهدم.

3. الأملاك المحتجزة: وهي الأملاك المصادرة.³

وكانت نتيجة هذه المصادرة وإشراف الإدارة الفرنسية على مؤسسات الوقف العامة، حصولها على أموال طائلة بطريقة سهلة وفي رف قصير.⁴

وبذلك نجد التحكم الواسع في موارد الأوقاف بشكل مهول من خلال الأرقام التي تجسدها العائدات في الجدول التالي⁵:

¹ عميدي أبو بكر الصديق، «مصير الأوقاف الجزائرية في ظل الاحتلال الفرنسي أثناء ق 19م»، مجلة المعارف والبحوث والدراسات التاريخية، العدد 20، جامعة المسيلة، ص 146.

² محمد الأمين بوحلوقة، سفيان شبيرة، «انتهاكات الاستعمار الفرنسي للمؤسسات الوقفية في الجزائر قراءة تاريخية»، مجلة الأكاديمية للبحوث في العلوم الاجتماعية، المجلد 1، العدد 1، جامعة الجزائر، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، قسنطينة، الجزائر، ديسمبر 2019م، ص 81.

³ سفيان كوديد، «الدور التكافلي لنظام الوقف في تمويل التنمية المستدامة إشارة إلى واقع الأوقاف في الجزائر»، مجلة العلوم الاقتصادية والتسيير والعلوم التجارية، العدد 13، المركز الجامعي عين تموشنت، 2015، ص 190.

⁴ هشام مزوجي، صالح حيمر، «وضعية الأوقاف الجزائرية في ظل السياسة الاستعمارية الفرنسية»، مجلة العلوم الانسانية والاجتماعية، العدد 55، 2020، ص 36.

⁵ عبد القادر صوليب، مرجع سابق، 265.

الجدول رقم 01: جدول يمثل عائدات الأوقاف بعد الاحتلال الفرنسي 1838 - 1839 م بالفرنك

المؤسسة	1838	1839
أوقاف مكة	12789565	13194113
أوقاف سبل الخيرات	12998925	1436841
أوقاف الأندلس	409354	496398
أوقاف بيت المال	602549	2619738
أوقاف الثعالبي	5557290	539680
المجموع	33357683	18286770

بالتالي لم يبقى في أيدي الجزائريين إلا المداخل الأوقاف الضعيفة الدخل والإشراف الشكلي والمؤقت لغاية قرارات جديدة من جهة ومن جهة أخرى تم جرد الأوقاف ومراقبتها وإدخالها في النظام الفرنسي وتعيين وكلاء جدد يخدمون بثقتها لتصرف حسب توجيهاتها.¹

✍️ **قرار 23 مارس 1843م:** الذي ينص على أن مصاريف ومداخل المؤسسات الدينية تضم إلى الاستعمار وبذلك توقف الدور الذي كانت تقوم هذه المؤسسات من أعمال خيرية وخدمة المساجد والمدارس القرآنية وأصبحت مداخلها بيد السلطات الاحتلال تتصرف فيها كما تشاء.²

¹ لحميدي أبو بكر الصديق، مرجع سابق، ص 147.

² عبد القادر خليف، «سياسة التصير في الجزائر»، مجلة الصادر، السادس 1، العدد 09، جامعة وهران، 2004، ص 09.

✍ **صدر قرار آخر في 24 جوان 1843م:** الذي يقضي بضم أوقاف الجامع الكبير إلى مصلحة أملاك الدولة وهذا قرار مصادرة تعسفية لإخبار عليه¹.

✍ **01 أكتوبر 1844م:** يعتبر هذا النص أول تشريع قانوني سعت من خلاله السلطات الاستعمارية إلى تنظيم الملكية العقارية في الجزائر يتكون من 116 مادة موزعة على 7 أبواب رئيسية، نصت هذه الأمرية على أن يجب تنويه جميع الوضعيات الناتجة عن المعاملات العقارية التي تمت منذ عام 1830م وذلك خلال سنتين من تاريخ صدور الأمرية أو على الأقل يجب أن تكون هذه الوضعيات مودعة لدى المحاكم، كما نصت الأمرية على أن المنازعات العقارية بين الأهالي و الأوروبيين ، ستعالج وفقا للقانون الفرنسي، أما الفصل الرابع من الأمرية فقد تناول نوع الملكية من أجل المصلحة العامة².

من بين الحالات التي حددتها الأمرية تشمل المدن والقرى ومراكز الا ستطان بالإضافة إلى المراكز الدفاعية، أما التعويضات المالية عن الأراضي المصادرة فهي تمنح فقط لأشخاص الذين يمتلكون سندات حقهم في الملكية وقد تم تناول موضوع نزاع الملكية بسبب عدم الاستغلال، وفي الفصل الخامس تحت عنوان الأراضي غير المستقلة حيث تغيير هذه الأراضي شاغرة وبالتالي تضاف هذه الأراضي إلى ممتلكات الدولة الفرنسية³.

✍ **30 أكتوبر 1848:** قرار جاء به الحاكم العام شارون وفيه تم الاستيلاء التام على جميع الأملاك الوقفية دون أي استثناء هذا يشمل أوقاف المساجد الزاوية، القباب والمقابر تضمن هذا القرار جميع المباني التابعة للمؤسسات الدينية الإسلامية زوايا مساجد قباب وأضرحة والتي كان تحت إشراف الوكالة قبل هذا التاريخ، أصبحت تحت إدارة وأملاك الدولة بإضافة إلى ذلك طلب عن جميع الوكلاء

¹ أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج5، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1998م ص16.

² شهرزاد رفاف، خيره ساب، «التشريعات العقارية الفرنسية إدارة لسلب أملاك الجزائريين 1830-1873م دراسة في المحتوى والنتائج»، مجلة الأحياء، العدد3، مجلد2، أكتوبر 2024، ص750.

³ المرجع نفسه، ص750، 751.

تقديم جميع الوثائق المتعلقة بأموال وإيراداتها وكيفية صرفها إلى مصلحة أملاك الدولة وذلك خلال 10 أيام.¹

ونتيجة لذلك عملية الاستيلاء حرم هذا المرسوم العديد من العائلات والوكلاء عن شؤون المساجد والزوايا من الإيرادات التي كانوا يستفيدون منها وعرضهم للفقر، كنا تدهور التعليم الذي كانت تموله هذه المؤسسات الدينية وتوقفت الناس عن تقديم الصدقات والهيئات لها وأصبحت العديد منها مرافق عامة وطلقا.²

👉 **قرار 26 أبريل 1851م:** جاء به "راندون" Randon وهو القانون الخاص بتنظيم عمليات تمليك الأراضي الأوربيين،³ وبهذا أحصلت شركة رأس مالية متوسطة على 50 ألف هكتار عشر سنوات واتخاذ المهاجرين الأوربيين على حوالي 250 ألف هكتار.⁴

👉 **ثم ظهر قرار في 30 أكتوبر 1858م:** أخضع الوقف في أحكام المعاملات العقارية الخاصة بالمسلمين واليهود وبالتالي أدخلت الأوقاف. ⁵ بشكل نهائي في نطاق التداول العقاري وفقا للقانون الفرنسي وفي 26 جويلية 1873م صدر مرسوم مشروع وارييه الذي أنهى سيطرة الإدارة الفرنسية على ممتلكات الأوقاف كان الهدف تصفيت هذه الأوقاف لصالح التوزيع الاستعماري الأوروبي في الجزائر ووضع حد للأراضي الوقفية كانت شعارهم فرنسية الأراضي الجزائرية، يظهر هذا بوضوح في مواد الأولى حيث نص على أن تأسيس الملكية العقارية في الجزائر وحمايتها وكذلك انتحال الملكية يخدمون للقانون الفرنسي.⁶

¹ أبو القاسم سعد الله، مرجع سابق، ج 5، ص 16.

² حميدة أبو بكر، مرجع سابق، ص 150.

³ يحي بوعزيز، مرجع سابق، ص 15.

⁴ المرجع نفسه، ص 16.

⁵ ناصر الدين سعيدوني، دراسات تاريخية في الملكية والوقف والجباية، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ص 285.

⁶ ناصر الدين سعيدوني، الجزائر منطلقات وآفاق، مقاربات للواقع الجزائري من خلال قضايا ومفاهيم تاريخية، ط3، الجزائر، 2013، ص 22.

3_ الزوايا والمرابطين: تعتبر الزوايا من أبرز المؤسسات الدينية في الجزائر لعبت دور كبير في المجتمع الجزائري خاصة من الناحية الدينية والتعليمية كما، كانت تفرض الوجود الفرنسي في الجزائر وهذا ما جعلها تكون محل استهداف الفرنسي الذي عمل على مراقبتها وتقليص نفوذها.

اتسمت رؤية الاستعمار للزوايا بطابع الخداع مخصصة لأهداف سياسية كان تأثير الطرق الصوفية يقلق المستعمرين وخاصة الرحمانية التي قاومت المقاومة وللد نفوذها عملوا على تدمير البنية الثقافية للمجتمع الجزائري على مستوى الزوايا، هدرت أوامر لتشجيع العلاقات وأدخلها بهدف تدميرها عبر القضاء على مصداقيتها بسبب اختيار شيوخها واستخدام الزوايا للتأثير الاجتماعي¹.

حيث يختار ممثلها لاعتبارات سياسية واجتماعية ودينية أدى هذا إلى التدهور التوجهات السابقة، وأضعف الأساس الثقافي أمام الوافدين الجدد وخلفائهم الاستعماريين ولكن هؤلاء فقدوا القدرة على تشكيل أنظمة مسيطرة بسبب إغراقهم عن محتوهم الثقافي².

نظرا لتأثير الزوايا الكبير على الشعب الجزائري واستجابته للشرعية لها بل حتى خضوعه التام وأحيانا لها لذلك بادرت سلطات الاحتلال إلى إغلاق الزوايا وتدمير تغيير الملكية الأوقاف والمحبوس التي تدعمها، وهكذا أدى موارد الأوقاف لانخفاض عدد الطلبة المتخرجين من الزوايا³.

كما حاولت استمالتها لكسب نفوذها واستخدامها لخدمة أهدافها الاستعمارية وبهذا حوربت الزوايا على جهات متعددة وصورت أعلاها وجرى ضم مداخيل الزوايا الباقية إلى أملاك الدولة الفرنسية أولا في المدن ثم الأرياف⁴.

¹ حميد قريشلي، السياسة الإسلامية الفرنسية في الجزائر 1870.1914، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه علوم التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة الجزائر 2، أبو القاسم سعد الله، 2019، 2020، ص127.

² المرجع نفسه، ص128.

³ محمد زلكي، مرجع سابق، ص367.

⁴ أبو القاسم سعد الله، مرجع سابق، ج3، ص173.

كما تم إنشاء المدارس الفرنسية الابتدائية في المدن ثم الأرياف لسحب التلاميذ من الزوايا ونشر الوفود الفرنسي، كما حاربت فرنسا كبار المرابطين واستدرجت بعضهم بالوظائف وتشجيع الزواج المختلط بالإضافة إلى ذلك منعت الزوايا من نشر التعليم العالي وفرضت عليها برنامجا محددا لا يتجاوز حفظ القرآن دون تفسير وتعليم قواعد اللغة وأصول الدين دون فهم¹. وهكذا أدى فقدان موارد الأوقاف الانخفاض عدد الطلبة المتخرجين من الزوايا، كما أصبح المتخرجون لا يجدون منصب عمل في المؤسسات التعليمية لأن أغلبها دمر وأصبح تحت قبضة الإدارة الفرنسية التي حولتها إلى أغراض أخرى مما جعل طلبة العمل يتحولون إلى حرفة أخرى لمساعدة عائلته². ومن بين الزوايا التي هدمت أو دمرت:

✚ زاوية سيدي الجودي: هذه الزاوية لم تتج من أيدي المستعمرين الغزاة، تعرضت للهدم مثل غيرها من الزوايا وذلك في عام 1838م، أما المقبرة التابعة لها فقد أغلقت هي الأخرى في عام 1840م وذلك منذ بداية الاحتلال.

✚ زاوية سيدي عمار التونسي: فرض عليها الاحتلال الفرنسي سيطرته عام 1831م وحولها إلى ثكنة عسكرية تابعة للقوات المستعمرة ثم قاموا بهدمها.

✚ بإضافة إلى عدة زوايا أخرى: مثل زاوية الشابارلية التي أعطيت إلى الدرك سنة 1830م، زاوية شختون، تحولت إلى ثكنة ثم مستشفى عسكري. كما قامت بتضييق عليها كذلك عن طريق مصادرة أوقافها والاستلاء عليها مثل زاوية عبد الرحمن الثعالبي، كما خططت لإراقة وزرع الخلافات الداخلية بين رؤساء الزوايا وطرق الصوفية³.

¹ أبو القاسم سعد الله، مرجع سابق، ج 3، ص 174.

² محمد زاهي، «وضعية المؤسسات الدينية خلال الفترة الاستعمارية 1830 1870 - مساجد وزوايا مدينة الجزائر أنموذجا»، مجلة العبر للدراسات التاريخية و الأثرية في شمال إفريقيا، مجلد 2، العدد 1، جامعة ابن خلدون، تيارت، جانفي 2019، ص 367.

³ منال مناجلي، مرجع سابق ص 66.

4- السعي لإقصاء القضاء الإسلامي وتقليص دوره تدريجيا

تعرضت الجزائر منذ بداية احتلالها من قبل الفرنسيين إلى هجمة فرنسية استهدفت القضاء على الإسلام عقيدة وشريعة ذلك لتحقيق مشروعها الحاقق المتمثل في طمس حضارة الشعب العربي المسلم وذلك من خلال جملة من الاعتداءات على المقدسات الإسلامية من مساجد وزوايا ومصادرة أوقاف المسلمين.

عملت الإدارة الاستعمارية على محاربة وطمس الشخصية الإسلامية للجزائر منذ حملة الاحتلال عام 1830م بمختلف الوسائل، ففي 10 أبريل 1834م صدر قرار يعطي الحق للمتخاصمين بأن يستأنفوا أحكامهم التي يصدرها القاضي المسلم أمام مجالس الاستئناف، وفي 27 فيفري 1841م صدر قرار آخر يحرم على المحاكم الإسلامية النظر في قضايا الجنح والجنايات ويحدد نفوذ القضاة والمسلمين في الدعاوي الشخصية المتعلقة بالإرث والطلاق¹، وبعد ثورة 1871م بالغت الإدارة الاستعمارية في محاربة القضاء الإسلامي².

أعلن الحاكم "دوقيدون" بأنه يجب محو شخصية القاضي المسلم وتعويضه بالقاضي الفرنسي لقوله: "العدالة هي إحدى رموز السيادة والقاضي الإسلامي يجب أن يمحي، أما القاضي الفرنسي إننا الغالبون فلنعرف كيف نمارس إرادتنا"³. وتماشيا مع هذا الإتجاه تم تأسيس محاكم الصلح، في 21 أوت 1874م و الغي قضاة الشرع الإسلامي وأرغم الأهالي على التقاضي لدى قضاة الصلح الفرنسي وفي العام الموالي 11 نوفمبر 1875م تم إلغاء المجلس الأعلى للقانون الإسلامي⁴، ويعلق أبو القاسم

¹ آمنة بن زينب، «التشريع الفرنسي، المتعلق بالقضاء الإسلامي في الجزائر 1830.1900»، مجلة القرطاس،

جامعة مصطفى إسطنبولي معسكر، العدد 5، جوان 2017، ص291

² عثمان زقب، السياسة الفرنسية في الجزائر 1830.1914م، دراسة في أساليب السياسة الإدارية، رسالة

مقدمة لنيل درجة الدكتوراة، العلوم في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة لحاج لخضر 2014-2015، ص296.

³ المرجع نفسه، ص296.

⁴ يحي بوعزيز، مرجع سابق، ص40

سعد الله بقوله "أن من أغرب ما عرفه تطور القضاء الإسلامي في العهد أنهم ألغوا وحدة القضاة الجزائريين وتتمثل أهداف الإدارة الاستعمارية من هذه السياسة العدلية الجديدة ومبرراتها بقول الجنرال شانزي إن إدخال عدالتنا إلى البلاد العربية من الهدف الثابت لكل جهودنا نحن نريد أن نثبت للأهالي بأننا نهتم لمصالحهم، وأن الإصلاحات التي تم إدخالها إليهم، لا تهدف سوى نحونا وليس لتهديد ما يملكونه من حقوق للحفاظ على تقاليدهم وعاداتهم"، كما صرح "شانزي" بخصوص مصير مجلس القانون الإسلامي اتخذ كإجراء اليوم وسيتم إخضاعه للتنفيذ وسيسمح الاقتصاد بتوفير الوسائل لتمويل إنشاء محاكم السلم الجديدة¹.

المبحث الثاني: سياسة التنصير الفرنسية في الجزائر

لم تكتف الإدارة الفرنسية بالسيطرة على الأوقاف والمؤسسات الدينية بل عملت بشكل منهجي على أضعاف الإسلام باعتباره الأساس الروحي والثقافي الذي يستمد منه الجزائريين قوتهم وهويتهم وفي هذا السياق شكلت جهود التنصير جزءا من مخطط استعماري شامل استهدف زعزعة البنية الدينية للمجتمع الجزائري، فقد دعمت فرنسا البعثات التبشيرية وسعت إلى فرض الثقافة المسيحية عبر التعليم والخدمات الاجتماعية في محاولة لإحداث القطيعة بين الجزائريين ودينهم إلا أن هذه السياسة الاستعمارية قوبلت بمقاومة شديدة حيث تمسك الجزائريين بإسلامهم مما ساهم في تعزيز روح النضال ومواجهة الاستعمار ثقافيا ودينيا.

1. تعريف التنصير:

لغة: في لسان العرب: التنصير الدخول في النصرانية وفي الحكم الدخول في النصارى.

وأورد الحديث الشريف وقريب منه قول الفيروز آبادي "ونصره جعله نصرانيا"².

¹ عثمان زقب، مرجع سابق، ص 297، 298.

² ابن منظور، لسان العرب، دار المعرفة، القاهرة، ج 8، 1884، ص 55.

في القاموس المحيط... والنصرانية والنصرانة واحدة النصارى والنصرانية أيضا دينهم وذكر مثل ويقال نصراني وأنصار وتتنصر دخل في دينهم ونصره جعله نصرانيا.¹

اصطلاحاً: تعريفات التنصير جاءت متنوعة ومختلفة نظرا لاعتماد أكثرها على الأهداف والوسائل دون المحاولة للوصول إلى مفهوم كلي للتنصير.

فتعرفه الموسوعة المسيرة في الأديان المعاصرة بكونه حركة دينية سياسية استعمارية بدأت بالظهور أثر فشل الحروب الصليبية بغية نشر النصرانية بين الأمم المختلفة في دول العالم الثالث بعامة وبين المسلمين بخاصة بهدف إحكام السيطرة على تلك الشعوب.²

يرى عبد المالك سلمان سلامة أن التبشير هو دعوة إلى التنصير بل أن التنصير هو الوصف الدقيق لما يفعله هؤلاء في البلاد الإسلامية، المبشرون هم المناصرون وهم سفراء هذه الغزو الفكري يزعمون أنهم ملائكة الرحمة، رسل الإنسانية وحاملو مشاعل النور والثقافة.

ويعرف كاردنز أحد رجال المسيحية الأوروبيون أن التبشير هو هجوم للمسيحية على الديانات المتوسطة في البلاد التي يتوجه إليها المبشرون المسيحيون للتبشير فيها خصوصا الإسلام.³

التنصير: هو تحويل الناس من دينهم إلى المسيحية وإذا لم يتمكن المناصرون من ذلك، كما هو الحال في محاولات التبشير في المجتمعات المتمسكة بالدين خاصة الإسلامية منها فيجب عليهم أن يشككوا الناس في عقيدتهم.⁴

¹ الفيروز آبادي، القاموس المحيط، مؤسسة الحلبي وشركاه، القاهرة، ج4، 2016، ص123.

² عبد الفتاح إسماعيل عراب، العمل التنصيري في العالم العربي رصد لأهم مراحله التاريخية المعاصرة، ط 1، مكتبة البدر للنشر، القاهرة، 2007، ص9، 10.

³ المرجع نفسه، ص22.

⁴ عبد الرزاق عبد المجيد أيارو، التنصير في إفريقيا، الإدارة العامة للثقافة والنشر، مكة، 2003م ص15.

وفي تعريف آخر التنصير وهو التبشير أي تنظيم تربوي تعليمي يجري به إخراج المسلمين من عقيدتهم ومفاهيمهم عن طريق استغلال الطلاب والمرضى وتحويل عقائدهم والتأثير على مفاهيمهم وتحطيم معنوياتهم وتخريج أجيال ممسوخة مبللة العقائد، مضطربة الثقافة مذكرة لقيمتها وثقافتها ولغتها وتاريخها¹.

ومن مظاهر سياسة التنصير التي اتبعتها فرنسا في الجزائر نجد السعي في تخريب المساجد حيث سعى الاحتلال لتدمير بعض المساجد وتحويل بعض الآخر إلى ثكنات عسكرية وإصطبلات ومراقد للجنود وكنائس مثل جامع كنتاوة واستمرت هذه الأعمال الغير مرضية إلى غاية نهاية الاحتلال وكذا الاستيلاء على الأوقاف الإسلامية نظرا لأهميتها والتصرف فيها والتحكم في مجمل قضايا الدين الإسلامي والتضييق على المسلمين وكذا إغلاق المدارس العربية ومحاربة العربية والاستيلاء على المعاهد الدينية وكذا نبث القبور وتدنيس الأموات وانتهاك حرمتهم².

2. وسائل التنصير:

من الوسائل التي وظفها المبشرون لجذب الجزائري المسلم هي المساعدات الإنسانية وتقديم الخدمات، والتطبيق العملي للعمل الخيري في اعتقادهم هو بمثابة الأداة الأساسية التي يستعملونها للدخول في أفئدة الناس تاركين فيها بصمات دائمة لقد شددوا عليها لما لها من تأثير في تقريب الجزائريين منهم الأعمال الخيرية التي استعملها المبشرون في الجزائر متعددة وغالبا ما يتوجهون بها نحو المعوزين لإدراكهم بأن هؤلاء أكثر عرضة للوقوع في شراك هذه الأفعال بشكل عام وظف المبشرون أعمالهم الخيرية لخدمة المسرحية في الجزائر.

¹ إبراهيم زلافي، «رسل الغزو الفرنسي إلى الجزائر، التنصير نموذجا»، مجلة إشكالات في اللغة والأدب، جامعة

محمد بوضياف المسيلة، الجزائر، ص 308، 309.

² خديجة بقطاش، مرجع سابق، ص 31، 32.

1-2 التعليم الفرنسي:

هو التعليم الابتدائي الموجه للأطفال وهم جزء حيوي من المجتمع، هؤلاء الأطفال رجال ونساء المستقبل يتأثرون بالتعليم المدرسي مما يمهّد الطريق ليكونوا دعاة للتصير، يعتبر التعليم أداة مهمة لنشر التصير حيث يمكن للمبشرين التواصل مع السكان والتغلب على التحيز الديني للأطفال لعدم تشبعهم بعد بدينهم الإسلامي، سهل التأثير عليهم وتلقينهم مبادئ النصرانية. لم يتطور تفكيرهم بعد ليكتشفوا نوايا المبشرين التنصيرية، مما يهدف إلى تغيير معتقدات المجتمع الإسلامي، في المدى البعيد، ليتم اعدادهم ليصبحوا مسيحيين، رجالا يعتمد عليهم المستقبل، يركز المبشرون في البداية على أبناء الفقراء والأيتام، جماعة الآباء اليسوعيين المهمة بالتبشير في الجزائر، أسست المدارس لهذا الغرض هم أول من وصل منطقة القبائل في جرجرة وبدأ استخدام التعليم للتبشير حتى وصلوا إلى تهريب الأطفال إلى فرنسا بعد تنصيرهم¹.

2-2 الطب كوسيلة للتصير:

لقد ركز المبشرون اهتمامهم على تنصير المسلمين في نطاق الخدمات الطبية في الجزائر، فقد فهم هؤلاء ميل المريض للتضحية بأي شيء من أجل شفائه أو شفاء ابنه أو أمه أو أبيه، ولهذا اشتغل المبشرون كل ما لديهم من إمكانيات في مجال الطب لتحقيق أهدافهم والدليل على ذلك أقوالهم: "حيث يوجد بشر، توجد آلام، وحيث توجد الآلام يوجد طبيب، وعندما تكون هناك حاجة للطبيب، تكون هناك فرصة مناسبة للتبشير". ووصل بهم الأمر إلى درجة الدناءة في بعض المستشفيات حيث لا يعالجون المريض إلا أن يركع للصليب، وإذا رفض يطلب منه الإقرار بأن الشفاء بيد المسيح وإن يطلب الشفاء منه ومن يرفض فإنه لن يحصل إلا على وصفة خاطئة، ومما لاشك فيه أن الخدمة الطبية تحتل الأولوية في مهام المبشرين، لأن العلاج في المسيحية نشاط ديني عميق الجذور بدأ بمعجزات المسيح الذي شفى المرضى وهذا لأن المدخل الطبي له مزايا متعددة أهمها الأثر النفسي الذي يتركه في

¹ منال مناجلي، مرجع سابق، ص 40.

المجتمع، وخاصة عندما يحتاجه أهالي البلاد، فقد كان الأهالي يسعون دائما للثقة بالطبيب وطلب النصيحة والمشورة منه¹.

2-3 الأعمال الخيرية كوسيلة للتنصير:

لم تقتصر أساليب التنصير على التعليم والطب بل استخدم رجال الدين المسيحيون جميع الوسائل المتاحة من أعمال خيرية لتحقيق أهدافهم الدينية، كان العمل الخيري بالنسبة لهم السلاح الأساسي للوصول إلى قلوب الناس. وقد تنوعت الأعمال التي قام بها المبشرون في الجزائر حيث استهدفوا بشكل خاص الفقراء والمحتاجين، مدركين أن هذه الفئة أكثر عرضة للتأثر بمثل هذه المبادرات، تجسدت هذه الأعمال الخيرية في تقديم الملابس لليتامى، والفقراء بالإضافة إلى توزيع هدايا تحمل صور المسيح للتعريف بالديانة المسيحية، كما قدموا مساعدات مالية للمحتاجين وغير المحتاجين سعيا للوصول إلى قلوبهم، وقدموا أيضا الدعم للمقبلين على الزواج من المتنصرين، موفرين لهم كافة وسائل المعيشة بهدف تكوين أسر من الجزائريين المسيحيين، فإعادة المسيحية إلى الجزائر وغرس جذورها حسب رأيهم لا يمكن أن يتحقق إلا من خلال أبناء البلاد.

هذا التوجه أظهر بوضوح أن المبشرين استخدموا كل ما لديهم من موارد مادية ومعنوية لتوسيع نفوذهم وتحقيق أهدافهم التنصيرية من خلال التعليم، الطب والأعمال الخيرية، يبرز جليا أن هذه الأنشطة صممت لتكون أدوات استراتيجية في انتشار الدين المسيحي بين الجزائريين.²

¹ عبد العزيز بن إبراهيم العسكر، التذمير في الخليج العربي، ط 3، الدار العربية للموسوعات، الرياض، 2007، ص 40، 43.

² إيفون تيران، المواجهات الثقافية في الجزائر المستعمرة، المدارس الممارسات الطبية والدين 1830-1880م، ترجمة: عبد الكريم أوزعلة، دار القصة، الجزائر، 2007، ص 90.

3 - مظاهر توافق الإدارة في دعم التنصير في الجزائر:

احتضنت فرنسا سياسة تبشيرية واسعة النطاق لتنصير الجزائريين وتعاونت مع الهيئات التبشيرية المسيحية في مختلف انحاء العالم للقضاء على الإسلام في الجزائر ومن أهم رجال الدين والأساقفة الذين ساهموا في نشر المسيحية أثناء فترة الاحتلال نجد:

◀ **الأسقف ديبيش dibich:** كان يتفاوض مع الحكومة الفرنسية والبابوية لفتح أسقفية في الجزائر مما أدى إلى تعيين أسقفا للجزائر عام 1838م وقد جاء متحمسا لنشر المسيحية، مدفوعا بطموحه لإحياء الكنيسة الإفريقية وتنصير سكانها وقد عبر عن ذلك بقوله يجب أن تكون رسالتنا بين الأهالي الجزائريين وينبغي علينا أن نعرفهم بدين أجدادهم الأولين، وكان يؤمن بأن تنصير الجزائريين ضروري لتحقيق رسالة فرنسا الحضارية بشكل مثالي ومن هنا بدأ مشروعه التنصيري مستخدما كافة الإمكانيات المتاحة حيث أنجز الكثير خلال الفترة 1839-1846 م وتمثلت إنجازاته في بناء 60 كنيسة ومعبد و 16 مؤسسة دينية أخرى وكذا تدريب 91 قسيسا و 140 شخصا من النساء والرجال في الشؤون الدينية مما أسس ملجأ للأيتام في سطوالي وأنفق مبالغ ضخمة خدمة للمسيحية، وفي عهده حصلت الأسقفية على جامع البلدة وتم تحويله إلى كنيسة حيث حضر بنفسه احتفال رفع الصليب على قمة الجامع وباركه، كما قام باسترجاع بقايا القديس أوغسطين في 30 أكتوبر 1842 وفي 1845 قام بتدشين كنيسة في تلمسان بحضور رجال المسيحيين مثل الأب بارجي الذي أشاد بجهود الأسقف في إعادة إحياء الكنيسة الإفريقية.¹

◀ **الأسقف باني:** الأسقف لويس أنطوان باني الذي خلف الأسقف ديبيش في النشاط التبشيري، وصل إلى الجزائر في 10 يوليو 1846 ليواصل حملة الكنيسة الكاثوليكية ضد الإسلام، تميزت فترة توليه بمزيد من الاضطرابات والتحديات الدينية، حيث كان متحمسا لإعادة إحياء دور الكنيسة الكاثوليكية في شمال إفريقيا كما كان قبل انتشار الإسلام، اعتبر باني أن الحقبة الإسلامية مجرد مرحلة عابرة يجب إنهاؤها مستندا إلى رؤيته التعصبية ذات النزعة الصليبية، استمر عهد أسقفية في الجزائر

¹ أبو القاسم سعد الله، مرجع سابق، ج6، ص108.

1856 حتى 1866 وركز خلاله على تعزيز التنصير ودعم الكنيسة واعتمد على الأساليب الهجومية مثل التشكيك في نشاطه التبشيري مما عكس تطرفه ورفضه للتنوع الديني ومن أبرز أعماله تحويل جامع تلمسان إلى كنيسة بتصميم يجمع بين الطراز الموريسكي والمسيحي وكذلك تحويل جامع سوق الغزل لنفس الغرض، افتتح حصن سانتا كروز بوهران عام 1850 وأسس معبد سيدة الخلاص في عام 1854م وضع حجر الأساس لكنيسة السيدة الإفريقية بالعاصمة، كما أدخل نظام التعليم الديني المسيحي عبر جلب معلمي من جماعة إخوة المدارس المسيحية وإنشاء مدارس وملاجئ بهدف توسيع نطاق المسيحية كما أشرف على بناء الأسقفات في المدن الجزائرية كوهان، الجزائر، قسنطينة، كما شهدت فترة إدارته العديد من المحاولات التنصيرية التي امتدت إلى مناطق مختلفة في الجزائر العاصمة، قسنطينة، القبائل، الأغواط، وغيرها. كما سخر باقي إمكانياته لتنصير سكان القبائل، وكلف الأب اليسوعي كروزا بترجمة الانجيل للقبائلية وتم طبعه عام 1868 تحت عنوان "دفتر الاناجيل"، بالإضافة إلى الأعمال الخيرية الغذائية والطبية التي كانت يقوم بها لجلب سكان القبائل وتجذبهم للمسيحية¹.

لافيجري وذروة التنصير

وصل لافيجري إلى الجزائر في 15 ماي 1867م وقد جعل من بين أهدافه الرئيسية جعل الجزائر نقطة إنطلاق في تنصير إفريقيا أحياء الماضي النصراني الروماني للمنطقة وجعل التنصير ركنا أساسيا في أبناء الاستعماري لاسيما بعد اتخاذ الكنيسة مع أقطاب الإحتلال الفرنسي على وجه الخصوص².
تميز لافيجري بالذكاء والنشاط وكان متعصبا للدين المسيحي، حيث عمل على نشره في الجزائر بدعم من الحاكم العام ديقدون، لم يخف سياسته المعادية للإسلام، حيث أعرب عن ضرورة إعادة بناء الشعب الجزائري وفصله عن القرآن، واستغل الكوارث الطبيعية التي حدثت بين 1866-1868 م مثل

1 أبو القاسم سعد الله، مرجع سابق، ج 6 ص، 109.

² حميدة عميراوي وآخرون، السياسة الفرنسية في الصحراء الجزائرية 1844-1976، دار الهدى للطباعة والنشر، الجزائر، 2009، ص 109.

الزلازل، الجفاف لجذب الانتباه إلى مهمته التنصيرية،¹ حيث أنقذ العديد من الأيتام والمرضى باسم الصليب وجمع حوالي 1800 طفل وزعم على مراكز وملاجئ، كما حصل على دعم الحكومة الاستعمارية التي رأت في ذلك خدمة مصالحها،² بدأ لا فيجري مشروعه التنصيري الكبير وعبر عن رغبته في إنقاذ الشعب الجزائري وتحويلهم إلى المسيحية وفي هذا الإطار طالب بدعم مادي من أساقفة فرنسا لجمع الأيتام وتنصيرهم، أي العديد من المراكز التبشيرية لتنصير المسلمين والملاجئ، وشكل منظمة تجمع مبشرين من الأبناء والأمهات لنشر تعاليم الإنجيل وسميت بـ"فرقة الآباء البيض"،³ وزوج اليتامى واليتيمات لتكوين أسر عربية مسيحية وزرع الأراضي الفلاحية كما ركز لا فيجري جهوده التنصيرية على بلاد القبائل حيث أنشأ بها 7 جمعيات تبشيرية وبلغت مدارس أبناء البيض عام 1901م حوالي 21 مدرسة بالإضافة إلى الملاجئ ومراكز التطبيب واستمر في مشاريعه التنصيرية حتى توفي سنة 1892م .

بالإضافة إلى هذه الأساقفة يوجد العديد غيرهم الذين ساهموا في نشر المسيحية في الجزائر وامتدت جهودهم إلى الجنوب حيث نجد الرهبان شارل دي فوكو الذي استقر بالهقار عام 1905م واتخذ منها معقلا بالنشاط التنصيري وكانت له علاقة وطيدة مع الجمعيات الدينية في المنطقة وعمل على نشر النفوذ المسيحي بشتى الطرق واقد اشتهر بسياسته المرنة مع الناس من خلال الدين والإحسان والأعمال الخيرية والعلم واستمر في هذه المهام إلى أن توفي⁴.

4 - أهم العملات التنصيرية:

مشروع إرسال العازاريين إلى الجزائر في نوفمبر 1833م، اقترح السيد غاربا المكلف بالشؤون الدينية البابوية في فرنسا، على الدوق دوبروغلي، وزير الخارجية الفرنسي تسليم الشؤون الدينية في الجزائر

¹ خديجة بقطاش، مرجع سابق، ص 64، 65.

² العربي هنور، بشير بلاح، تاريخ المعاصر 1830-1989، ج1، دار المعرفة الجزائر، 2010، ص176.

³ سعيد مزيان، النشاط التنصيري للكاردينال لا فيجري في الجزائر وأساليب المواجهة الجزائرية 1867-

1862، ط3، ج1، الجزائر، 2022، ص99.

⁴ حياة طوبال، مرجع سابق، ص321، 323.

إلى فرقة العازارين، وقد إختارهم نظرا لتواجدهم في شمال إفريقيا منذ 20 عام، وتضحياتهم في سبيل التبشير ودعم المصالح الفرنسية في تركيا. لقد لعب هؤلاء المبشرون دورا مهما من خلال خدماتهم الخيرية والتنصيرية في الولايات التابعة للدولة العثمانية، حيث احتكوا بالمجتمع الإسلامي وتعرفوا على عاداته وتقاليده. بالإضافة إلى إتقانهم للغة العربية، مما سهل عليهم التواصل مع السكان في الجزائر ونشر رسالتهم، لقي هذا الاقتراح قبولا من الوزير الفرنسي نظرا لتوفر الشروط المطلوبة في الفرقة مما أدى إلى الإصرار على إرسالها، لا شك أن المشروع كان يهدف إلى التبشير وتحقيق أمانى البابا غريغوار السادس عشر الذي أبدى ارتياحه لهذا الاقتراح، ومع ذلك ظل هذا المشروع راكدا لفترة طويلة.¹

المبحث 3: محاربة التعليم العربي الإسلامي

منذ التواجد الأول لاحتلال الفرنسي في الجزائر بدأ من سنة 1830م سلكت السلطة الاستعمارية السياسية التي تقوم على التجهيل والعمل على نشر الأمية في أوساط الشعب الجزائري من أجل فرض سيطرتها الكاملة والتامة عليهم فعملت على محاربة التعليم العربي الإسلامي الجزائري مستخدمة جملة من الإجراءات للقضاء على التعليم العربي الإسلامي والحد من استعمالاته لفتح الطريق أمام فرنسا الجزائر واستبدال التعليم العربي بالتعليم الفرنسي الأجنبي.

أما في الجزائر فإن مشكلة العروبة أساساً وسببها الاستعمار الفرنسي وهو عدو سافر العرب وعروبتهم ولغتهم ودينهم الإسلام وذلك لأن الاستعمار الفرنسي منذ دخوله الجزائر عمل على محو الإسلام لأنه الدين السماوي الذي فيه من القوة ما يستطيع به أن يسود العالم وعلى محو اللغة العربية لأنها دعامة الإسلام وقد استعمل الاستعمار الفرنسي جميع الوسائل المؤدية إلى ذلك ظاهرة وخفية في القضاء على التعليم الإسلامي². وباعتبار أن اللغة العربية هي الوعاء الذي يحفظ الحضارة العربية الإسلامية وقد عبرت عن ذلك صراحة رسالة الدوق "دوروفيقو" إلى وزير العربية الفرنسي فقد جاء فيها: «إن الجزائر

¹ خديجة بقطاش، مرجع سابق، ص43.

² محمد البشير الإبراهيمي، أثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، ج 5، دار الغرب الإسلامي، الجزائر، ص150،

لن تكون حقا فرنسية إلا إذا أصبحت فيها اللغة الفرنسية هي اللغة السائدة وأصبحت الفنون التي عرفتھا فرنسا والعلوم وشرفت بها معروفة في الجزائر أيضا وإن الهدف الأسمى من كل هذه المحاولات هو احتلال الفرنسية محل العربية، باعتبار اللغة الفرنسية هي لغة السلطة ولغة الإدارة ومن ثم ستنتشر بسرعة بين الأهالي لاسيما إذا جاء الجيل الجديد أفواجا للتعلم في مدارسنا¹، وهذا كله يصب في غاية وهدف واحد وهو القضاء على التعليم ومحاربته لفتح الطريق أمام تحقيق مصالحها وأطماعها الاستعمارية في الجزائر.

عملت السلطات الفرنسية في الجزائر على القضاء على التعليم وإهماله واستغلت في سياسة الاستيلاء على الأراضي وتوطين أبناءهم فيها فبدأت بمحاربة المقاومين ومحاربة كل ما يتعلق بالتعليم العربي الإسلامي حيث قامت فرنسا بتتصيب لجان رسمية في الجزائر لدراسة وضع التعليم فيها ومن بينهم أليكس دي طوكفيل للخروج برأي حول التعليم في الجزائر ومن بين هذه الآراء ما يلي:

- استمرار في إهمال التعليم الإسلامي والقضاء على الأوقاف الإسلامية والتشجيع على الانتماء إلى المدرسة الفرنسية.

- إنشاء التعليم المزدوج خاص بالجزائريين تدرس فيه اللغة العربية على أن تكون فيه الفرنسية وعلومها هي السيدة ابتداء من سنة 1850م ، وأيضا ترك التعليم في الزوايا الريفية والمعمرات على ما هو عليه مع مراقبة برنامجه ومعلميه حتى لا تكون الزوايا مراكز لمعاداة الفرنسيين حيث يقول لويس رين: كان القرآن في الجزائر هو كل شيء ، هو المعلم والتعليم، وكان الفرنسيون كلما حاولوا مشروع إصلاح فكروا في عدم المساس بالمشاعر الإسلامية، لكن المتعلمين (الجزائريين) الخبراء أصبحوا بمرور الزمان نادرين، مما سهل على فرنسا تمرير مشاريعها، لقد كان هدف فرنسا منذ سنة 1830م هو الحط من

¹أبو القاسم سعد الله، مرجع سابق، ج5، ص17.

التعليم وتعويضه بتعليم أكثر عقلانية أي أكثر فرنسية ولقد نجحت فرنسا سنة 1884م في محاولة الفصل بين الدين والتعليم.¹

وفي تقرير "أوغيست ليبشو" عن التعليم في الجزائر ومدى معاناته من قبل الاحتلال الفرنسي حيث كان ليبشو نفسه المسؤول عن التعليم في الجزائر حيث قال بأن التعليم العربي الإسلامي كان منتشرا في المدن والأرياف وحتى في الخيام وكانت الزوايا والمدارس تضم المحظوظات أيضا ولكن كل ذلك تغير حسب رأيه فالحملات العسكرية بعثرت كل تجمعات الطلبة والعلماء ولم تبقى سوى بعض المدارس والتي لا تقدم سوى تعليم غير كامل.

لقد أهمل الفرنسيون التعليم في الجزائر ومحاربته في كل من الأرياف والمدن وذلك لأسباب مختلفة منها لاغتصاب موارده، وقد نجح في التوغل في الأرياف ومراقبة المعلمين والتلاميذ بذلك ضعف التعليم وحصرته الإدارة الفرنسية بالقوانين وفي هذه الأثناء نشأت زوايا جديدة منها زاوية الهامل وأولاد جلال وقصر البخاري فتحت زاوية نقطة أبوابها للجزائريين وظلت زوايا الزاوية مستمرة في التعليم إلى ثورة 1871م، وترجع هذه الزوايا إلى الطريقة الرحمانية ، وفي عهد الجمهورية الثالثة كادت حركة التعليم العربي الإسلامي تختفي نتيجة الضغط من طرف الاستعمار الفرنسي آنذاك، كما قامت فرنسا بدعم بعض المدارس والزوايا أثناء الثورات المتأخرة مثل 1857-1864-1871م ثم إن الزوايا كانت تعيش من الأوقاف (الأحباس) إلى سنة 1863م، ولكن في هذه السنة صدر مرسوم تمتلك الأرض والذي قضى على الأوقاف حيث أن كثير من الزوايا كانت تعيش من الأوقاف وقد تدخلت السلطات الفرنسية أيضا في الزيارات التي يأتي بها أتباع الزوايا ومنعتها.²

¹ أبو القاسم سعد الله، مرجع سابق، ج6، ص21.

² المرجع نفسه، ص ص: 30-32.

قامت الإدارة الفرنسية بهدم ومحاربة المدارس القرآنية في الجزائر وكان مصيرها مصير الزوايا حيث كان في الجزائر أكثر من مائة مدرسة قرآنية عند الاحتلال تعرضت للهدم والتحويل من الفرض الأصلي لها وتحويلها إلى مخازن ودعامين أو إعطاءها إلى جمعيات فرنسية¹.

حيث كانت معظم المدارس القرآنية ملاصقة وتابعة إلى الزوايا والجامع فهي جزء منه أو منها وهذه قائمة لبعض المدارس القرآنية التي هدمت منذ الاحتلال في مدينة الجزائر مع تاريخ هدمها ومنها: مدرسة جامع خير الدين (جامع الشواش) قرب مدخل الجينية هدمت مع قصر الجينية 1831م ومدرسة جامع السلطان، شارع تريكلور تاريخ البيع والهدم 1838م، ومدرسة سوق الكتان شارع الباب الجديد بعد استعماله من المصالح العسكرية حول إلى مدرسة فرنسية (ودادية) ثم هدم، ومدرسة جامع الشيخ الثعالبي شارع لا شارن تاريخ الهدم 1859م وحسب ما جاء في تقرير الجنرال بيدو حول المدارس القرآنية في الجزائر وبالأخص في مدينة قسنطينة أنها سنة 1837م بلغ 90 مدرسة وأنه لم يتبقى منها بعد الاحتلال إلا 30 مدرسة أما الباقي فقد سقط بفؤوس ومطارق الحقد على كل ما هو إسلامي وعربي في الجزائر من طرف فرنسا التي عملت على محاربة التعليم العربي الإسلامي واعتبرته معاديا لسياستها الاستعمارية².

❖ محاربة اللغة العربية:

إن محاربة اللغة العربية التي هي لغة القرآن الكريم والوعاء الذي يحفظ الحضارة العربية الإسلامية مع مرور العصور لذلك عملت فرنسا على محوها واستبدالها باللغة الفرنسية الأجنبية حيث أصدرت في 1938/03/08م مرسوم من طرف رئيس وزير داخلية فرنسا الماسوني كميل شوطون يعتبر فيه اللغة العربية لغة أجنبية في الجزائر وكذلك مراقبة صحف جمعية العلماء ومدارسها ومحاكمة معلميه ورجالها وإيقاف نشاطاتها وبصدر قرار 1938م الذي يمثل قانون مجحف في حق اللغة العربية حيث وصفه أحد قادة جمعية العلماء المسلمين الشيخ خير الدين يصف هذا القانون 1938م على أنه يجعل

¹ أبو القاسم سعد الله، مرجع سابق، ج 6، ص 37.

² المرجع نفسه، ص ص: 38-44.

التعليم العربي بالمستحيل ويشكل ضربة قاتلة للدين الإسلامي حيث كتبت فرنسا تقرير سنة 1847م تقول فيه "إن الجزائر لن تصبح فرنسية إلا عندما تصبح لغتنا الفرنسية لغة قومية فيها والعمل الجبار الذي يتحتم علينا إنجازه هو السعي وراء جعل الفرنسية اللغة الدارجة بين الأهالي إلى أن تقوم مقام العربية وهذا هو السبيل لانتماهم إلينا وتمثيلهم بنا وإدماجهم فينا وجعلهم فرنسيين..."¹

كما أن فرنسا لم تقبل فرنسا في الجزائر ما يعرف بالتعليم العربي الإسلامي واعتبرته منتج للتعصب والتطرف لدى الجزائريين ومحركا لأحاسيسهم الراضية للاحتلال، فكثير من المقاومات كانت تخرج من الزوايا والرباطات والكتاتيب وتتكون جيوشها من طلبة التعليم العربي الإسلامي ومن يشرف عليهم هم شيوخ الزوايا وعلماءها لذلك شرعت فرنسا في عرقلة ومحاربة التعليم العربي الإسلامي وتضييق الخناق ووضعت جملة من القوانين للحد منه ومن بين هذه القوانين نذكر قانون الأهالي 28 يوليو 1881م وقانون 18 جانفي 1887م الخاص بتنظيم التعليم العام وقانون 18 أكتوبر 1892م الخاص بتعليم الأهالي الجزائريين الابتدائي العام والحر وقانون مصادر الأوقاف الإسلامية من قبل الإدارة الفرنسية حيث استولوا على ما يسموه بأملاك البايك أو الدولة الجزائرية ثم على أملاك أخرى أسموها بأملاك الأتراك وبعد شهرين من سنة 1892م أصدرت الإدارة الفرنسية قرار ينص على وضع الأملاك الدينية جميعها في يد أملاك الدولة الفرنسية (الدومين) وهكذا دخلت الجزائر قبضة الاحتلال الفرنسي واستمرت التشريعات الفرنسية تسلب الجزائريين حقوقهم مرحلة بعد مرحلة إلى أن دمجت مداخل الأوقاف الإسلامية في ميزانية الدولة الفرنسية و ضاع حق الجزائريين في التعليم، فكان هدف الإدارة الاستعمارية هو العمل على تجهيل الجزائريين بلغتهم ودينهم من جهة وتمكين المدرسة الفرنسية في التوغل من جهة أخرى فقد شنت الحرب على اللغة العربية والإسلام في منطقة الزوازة وأصبح وجود معلمي نادر جدا خاصة أنه لاحظ في منطقة التيطري التي تكاد تكون الأمية منتشرة إلى حد أقصى بسبب الخناق التي فرضته فرنسا على الجزائر، حيث كان الحاكم شانزي "Chanzy" وقف ضد التعليم واعتبره معاديا

¹ سعودي أحمد، «السياسة الاستعمارية وإجراءاتها ضد التعليم العربي الإسلامي في الجزائر»، مجلة التراث، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، العدد الحادي عشر، 2014، ص141.

لفرنسا، و لم يكن ولده في ذلك بل سبقه معظم الحكام الفرنسيين والذين وضعوا مجموعة من القوانين للحد من التعليم الإسلامي في الجزائر وفرض نصوص تتمثل في سلسلة من العقوبات على كل من يخالف هذه القوانين وكان كل من يقوم بفتح مدرسة لا بد أن تكون لديه رخصة أولا وكانت هذه الرخص يمنحها جنرالات المناطق العسكرية أو الولاة المناطق المدنية¹، قامت فرنسا بتأسيس مسماة فرنسية ثم عربية فرنسية في مدينة الجزائر وذلك بعد القضاء من الأوقاف كما عملت على تمسيح الجزائريين وقطعهم عن الإسلام وتحصل البروستات سنة 1839م على حق تأسيس كنيسة جمعية لشعائهم وثم تدشين سنة 1845م محمد نهج شائر فالنظام الاستعماري هو عبارة عن احتلال بالقوة وإدارة بالسيف وسرقات ثروات وعداوة للإسلام².

كما سلكت فرنسا في إطار سياستها طريق تمثل في سياسة إقصاء اتجاه أبناء الجزائر تعتمد على التجهيل والأمية حتى تتمكن من بسط سيطرتها التامة عليهم ولم تسمح لهم بالتعليم إلا في حدود ضيقة للغاية فقد قضى الاستعمار على معظم المعاهد الإسلامية والمكتبات التي كانت موجودة في العهد التركي وحولوها بالمدارس الفرنسية وجراء ذلك بلغت نسبة الأمية في الجزائر حوالي 99% بين النساء و95% بين الرجال، فقد بلغ سنة 1850م عدد التلاميذ الجزائريين المتمدرسين في المدارس الابتدائية الفرنسية 642 تلميذا ووصل عددهم سنة 1870 إلى 13000 ثم تقلص بعد ذلك بسبب غلق المدارس الإسلامية ليصل سنة 1880م إلى 3172 تلميذا في حين وصل عدد التلاميذ الأوروبيين المتمدرسين 44326 تلميذا ذكورا وإناثا وفي سنة 1914م بلغ عدد التلاميذ الجزائريين المتمدرسين 42263 بنسبة 5% من جملة الأطفال الذين هم في سن الدراسة الذين يقدر ب 850000 طفلا أما التعليم العالي فقد شهدت سنة 1914 م تحصيل حوالي 12جزائريا .أما التعليم العالي فقد تأسست

¹أبو القاسم سعد الله، مرجع سابق، ج5، ص 51، 154.

² محفوظ قداش، تاريخ الجزائر جزائر الجزائريين، 1830-1954م، منشورات ANEP، الجزائر، ص 181،

سنة 1909 على شهادة الليسانس في الجامعة ومنه بقي التعليم مرتبط ويعود إلى اختصاص وزارة العدل والذي جاء نتيجة قرار 48-18 ينص على ربط مصلحة التعليم¹.

تحدد سلطة الوزارة العربية، وفي إطار فرنسة الجزائر أصدرت الإدارة الفرنسية عام 1881م، قرار يخص تسمية الشوارع والساحات الجزائرية بأسماء حكام ومتقفي وجنرالات فرنسا مثل فيكتور هيقو وفوليز وروفيكو وباستور وديكارت ودي بورمون... وأنشأوا الحالة المدنية التي تفرض على الجزائرية بطاقة تعريف وكل هذا لتشويه الشخصية الجزائريين بطاقة تعريف وكل هذا لتشويه الشخصية الجزائرية عن طريق منح أسماء رغما عنهم وهذه الأسماء تكون فرنسية لتحقيق فرنسا غاياتها من وجودها بالجزائر والعمل على فرنسة الجزائر وسكانها ومحاربة التعليم واللغة القومية التي تمثل الهوية الوطنية الجزائرية².

عملت سلطات الاحتلال جهدها الكامل في مكافحة الدين الإسلامي ومحاربة التعليم الإسلامي في الجزائر حيث استخدمت جل الوسائل والأساليب لتحقيق الدين المسيحي وإحلاله بدل الدين الإسلامي وأول خطوة عملتها هو القضاء على التعليم الإسلامي بشتى الوسائل والأغراض ومنعت إصدار قرار 08 سبتمبر 1830 م الذي استولت بمقتضاه على جميع أملاك الأوقاف الإسلامية في سائر جهات البلاد وبعد أن أحكمت سيطرتها على الأوقاف الإسلامية عمدت إلى تحويل المساجد والتي كانت تستخدم لطلب العلم و تسيير الدين إن كنائس وكاتدرائيات وتكنات حيث حول جامع كتشاوة إلى كاتدرائية تم تابعها تحويل معظم الزوايا والمساجد إلى مراكز للشرطة وإصطبلات للتنزيل ولإيواء الحرس المتجول واستغلت فرنسا قانون 27 سبتمبر 1907م، الذي يقضي بفصل الدين عن الدولة فأخذت تشجع المسيحية³.

¹ عمار عمورة، موجز في تاريخ الجزائر، ط 1، دار ريحانة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2002، ص126.

² المرجع نفسه، ص127.

³ يحي بوعزيز، سياسة التسلط الاستعماري على الحركة الوطنية الجزائرية 1830 - 1954م، المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2007، ص 66.

ومنذ الإحتلال الفرنسي أصاب المدارس الجزائرية مختلف المساجد والأوقاف صعوبة تسيير برنامجها وتعرض البعض منها لإتلاف بسبب انعدام الصيانة وبسبب تحويلها إلى مصالح عمومية وبدأت تتدهور بسبب عدم الاهتمام بها واستحواذ السلطة الفرنسية على العائدات المالية المخصصة لها خلال ضمها للدولة الفرنسية،¹ وكان قانون 1850م والذي لم يطبق إلا أن السلطات الفرنسية قامت بإخضاع أي مؤسسة لرخصة مسبقة ولا تفتح أي مؤسسة إلا برخصة من طرف الدكتور بعد استشارة السلطات المحلية وبذلك فالحرية محدودة في الجزائر إبان الإحتلال الفرنسي، كما قامت فرنسا بتأسيس مدرسة مزدوجة للتعليم سنة 1850م، ولهذا الغرض أصدر المارشال راندون منشور يلزم معلمي المدارس الذين كانوا من قبل لا يخضعون لأي قيد الحصول على إذن خاصا من القادة العسكريين للنواحي أو من الولاية. ويفرض عليهم رقابة مستمرة وتفتيشات دورية من قبل السلطة الفرنسية.²

عمل الاستعمار الفرنسي على محاربة لغة البلاد وثقافتها القومية والعربية والعمل على نشر اللغة الفرنسية بدلا منها وأول شيء أقدم عليه الاستعمار هو الاستيلاء على معاهد الثقافة والمساجد والمدارس والزوايا ثم حول معظمها إلى كنائس وثكنات وتميزت الفترة الأولى من الإحتلال بحقد وطني الروح العدائية وتوجيه الأعين الأولى للاستعمار على طمس الثقافة العربية وأصحابها حتى أن جيش الإحتلال كان يحرق كل ما يعثر عليه من كتب ومكتبات ومنها مكتبة الأمير عبد القادر باعتبار اللغة العربية من أهم العوامل التي تساعد على إحكام احتلال البلاد وإخضاع أهلها وسعت إلى التضيق عليها من خلال جملة من القوانين التي قامت بإصدارها ، ففي 24 ديسمبر عام 1904 أصدر الحاكم العام الفرنسي قرار يقضي بعدم السماح لأي معلم جزائري بفتح مدرسة لتعليم العربية دون الحصول على رخصة عمل من عامل العمالة أو الضباط العسكريين في المناطق الخاضعة للحكم العسكري، وفي 21 مارس 1908م طالب مؤتمر الزراع الفرنسيين بإلغاء التعليم الابتدائي بالنسبة للجزائريين لأن ذلك سيكون خطر عليهم من الناحية الاقتصادية، ومن ناحية توطين الأوروبيين بالجزائر وأيقنا إصدار قرار

¹ عبد الحميد زوزو، نصوص ووثائق في تاريخ الجزائر المعاصر (1830-1900)، موفم للنشر، 2010، ص219.

² عبد الحميد زوزو، مرجع سابق، ص 222، 226.

8 مارس 1938م، أصدره وزير المعارف الفرنسية ينص على اعتبار اللغة العربية لغة أجنبية في الجزائر و يمنع تعليمها تتبعاً لذلك في المدارس وأيضاً في يوم 22 جويلية عام 1945م أصدرت السلطات الفرنسية قرار يفرض على كل معلمي اللغة العربية معرفة اللغة الفرنسية كشرط أساسي لتوظيفهم في المدارس واستهدفت في هذا القرار القضاء على الجهاز العربي وتحطيم كيانه لأنها تعلم أن معظم أولئك المعلمين لا يحسنون الفرنسية أصلاً¹.

لم تصل هذه الفرنسية إلى حد أن تشجيع سياسة مسيحية في التبشير الديني لم تقبله حيث عملت على محاربته وباسم سياسة الدمج ثم العلمنة حددت المدارس القرآنية بدقة وراقبت المدارس والزوايا التي اعتبرت "أديرة إسلامية" وأغلقت وأزعجت وبهذا نقص عدد العلماء والمدرسين والفقهاء في الجزائر ومنذ ذلك الحين تدهورت اللغة العربية إذ انها كانت لا تكاد تدرس في الجزائر².

وفي 8 مارس 1938 م أصدرت القرار المتعلق بمراقبة المساجد والكتاتيب الأهلية، ليأتي بعده قانون 6 أوت 1943 الخاص بفتح المدارس الحرة الإسلامية وقانون 27 نوفمبر 1944 الخاص بتسيير التعليم الحرفي الجزائري وكل هذه القوانين تجتمع على هدف واحد أن وهو اعتبار الجزائريين أهالي indignés لا يرقون لرتبة المواطنة حيث أن قرار بموجب منشور ميشال الصادر عام 1933 وهو عبارة عن تعليمات إدارية موجهة إلى رجال الأمن والإدارة الفرنسية في شتى نواحي العصر بمراقبة العلماء والتضييق عليهم ومنعهم من أداء مهمتهم الدينية وتعليم اللغة العربية³.

ولم تجد بعد الإحتلال الفرنسي للجزائر سوى ثلاثة عشر مدرسة ابتدائية للجزائريين لتعليم الأطفال في عموم القطر الجزائري وحتى المدارس التي استخدمتها فرنسا تحت اسم المدارس الفرنسية الإسلامية لم يكن للغة العربية أو الدين الإسلامي مكاناً فيها إذا أنها كانت فرنسية اللسان. الثقافة والمنهج وهذا

¹ يحي بوعزيز، مرجع سابق، ص 60، 61.

² شارل روبير آجرون، تاريخ الجزائر المعاصرة، ترجمة: عيسى عصفور، منشورات عويدات، بيروت، باريس، ص 107، 108.

³ أحمد سعودي، مرجع سابق، ص 142.

إهمال متعمد من قبل الإدارة الفرنسية وحتى أن مظهر التعليم الشكلي للجزائريين لم يكن سوى خطة من قبل الاحتلال الفرنسي يهدف بالدرجة الأولى إلى تحريد السكان من الثقافة العربية الإسلامية كوسيلة من وسائل التدمير الحضاري فقد كانت معظم الدروس التي تقدم من خلال مشروع وزير التربية والتعليم جول فيري تقوم على تقديم دروس تتجاهل تاريخ الجزائر وتقوم بتحريفه وتضليله من أجل قتل الروح الوطنية واستعدادا لعملية فرنسا الجزائر.¹

كما عملت على فرض اللغة الفرنسية في الإدارة والإعلام ولم تسلم الثقافة من عملية التدمير،² فقد ذكر حمدان خوجة بأن الجنرال كلوزيل قد هدم المحلات التي كانت تباع الكتب وكانت تسمى القيصرية والتي كانت مقرا للناسخين لاحتوائها على المطابع واستولت فرنسا على المطابع والمخطوطات والوثائق والكتب الموجودة في مختلف المكتبات بل قاموا ببيع بعضها إلى تجار الكتب الأوروبية وقد روي بول أزان القصة المأساوية لهذه الحادثة حيث قال "أن الأمير عبد القادر أصابته نوبة من الحزن العميق وهو يتابع الطابور الفرنسي مسترشدا بالأوراق المبعثرة في الصحراء التي انتزعها الجنود الفرنسيون من الكتب التي عانا الكثير في جمعها،³ سعت فرنسا إلى نشر الديانة المسيحية بين الجزائريين وذلك من خلال اختلاق العيوب والطعن في الإسلام فكانت تطبع الكتب والمنشورات التي توجه دعوة صريحة إلى الجزائريين لاعتناق المسيحية وذلك من أجل توسيع العمل التبشيري كما أرسلت ملك الرهبان والمعلمين إلى الجزائر من أجل سهولة التأثير على المجتمع الجزائري وذلك حتى يسهل عليها التأثير في التعليم في الجزائريين وبذلك تجعل الجزائر جزء لا يتجزأ من فرنسا لتقضي على كيائها الإسلامي وتستبدله بالكيان المسيحي لخدمة أغراضها الاستعمارية وطمس هوية الشعب الجزائري، كما عملت فرنسا على فتح مدارس تبشيرية في الجزائر في كل من وهران وعنابة ولم تكتفي هنا فقط بل لجأت

¹ فتح الدين بين أزواو، «السياسة الاستعمارية الفرنسية الدينية والثقافية في الجزائر 1830-1954». مجلة

البحوث التاريخية، العدد 2، 2021، ص287.

² حمدان بن عثمان خوجة، مصدر سابق، ص245.

³ فتح الدين بن أزواو، مرجع سابق، ص289.

أيضا إلى سياسة تبشير المرأة الجزائرية خاصة في منطقة القبائل عن طريق إرسال المرأة المبشرة من جمعية السيدة الإفريقية وكل هذا للقضاء وترسيخ اللغة الفرنسية والقضاء على اللغة العربية في الجزائر¹.

لقد أصبحت الحالة العلمية في الجزائر جد متدهورة نتيجة الاحتلال الفرنسي في الجزائر فقد انحط المستوى العلمي انحطاطا كبيرا إزاء الحروب الطويلة ونهب الاستعمار الفرنسي لها واشتداد الضيق ببعضها بين القبائل والتي لم تعد تفكر حتى في العلم والتعليم نتيجة الأعمال التخريبية للمستعمر آنذاك ولم يحافظ على الحركة العلمية الإسلامية إلا بعض المدرسين في المسا وبعض الزوايا في جهات الجنوب وبلاد القبائل أما الكتاتيب القرآنية فقد أخذت تتلاشى شيئا فشيئا إلا أن اضمحلت من الوجود وحلت محلها المدارس الابتدائية الفرنسية حيث يتلقى أولئك الصبيان تعليما لأريح للدين والعربية فيه،² كما عملت فرنسا في عهد الجنرال كلوزيل بغلق المساجد وقام بإدخال إليه جماعة ليلا للبحث عن الكنز المزعوم ولتغطية فضيحته قام بهدم المسجد الذي كان يشتمل على أعمدة من الرخام النادر، فإن الحكومة الفرنسية استولت على تلك المعابد ووضعتها تحت تصرف إدارة أملاك الدولة، كما قامت على مشروع تمسيح الجزائر كما أشار إلى ذلك البربر الفرنسي الصادر بتاريخ 20 جوان 1833م مستعملا العبارات التالية « إن الذي يفاجأ به الجمهور هو أن رئيس مجلس الوزراء الحقيقي منذ ثورة جويلية وإلى عهد قريب جدا، كان قد كتب إلى المقتصد المدني في الجزائر بوميه بتمسيح الإيالة³، وهكذا كانت فرنسا تريد ان تتوغل في الجزائر وتوسع من خلال القضاء على كل ما هو عربي وإسلامي وبربري واستبداله بكل ما هو فرنسي أجنبي تحت راية وحجة إدخال الحضارة إلى الجزائر.

¹ وضاح نوفل، «ورود معطية سياسة فرنسا الاستعمارية في الجزائر (1830-1894) الجانب الديني نموذجا»، مجلة حاجة العدد 5، تشرين 2021، ص 166، 167.

² أحمد توفيق المدني، مصدر سابق، ص 305.

³ حمدان بن عثمان خوجة، مصدر سابق، ص 247، 250.

المبحث 4: تهجير ونفي العلماء.

كانت أولى بدايات الاحتلال الفرنسي منذ أن وطأ أقدامه في الجزائر في البحث عن آليات وأساليب جديدة تمكنه من تحقيق الاحتلال بصورة شاملة وكاملة فاستهدفت بذلك المؤسسات الدينية ومحاولة القضاء على التعليم العربي الإسلامي فكانت لتحقيق هذا كله لابد من محاربة ملك الجزائريين وخاصة أعيان الجزائر والتخلص منهم باعتبارهم يمثلون ويلعبون دور كبير في توجيه المجتمع الجزائري وترسيخ مبدأ الاستقلال و محاربة العدو الفرنسي وعدم الرضوخ لسياسة فرنسا الرامية إلى القضاء على الهوية الوطنية الإسلامية وبعد أن أدركت فعالية تأثير النفي على المعارضين والمقاومين. يعتبر حمدان خوجة¹ من بين هؤلاء العلماء اللذين عملت فرنسا على نفيهم ومحاربتهم وهو من قادة أعيان مدرسة الجزائر.

وهو من أوائل المؤرخين والباحثين والقلائل من الذين تركوا عدد من الوثائق العامة حول مأساة الجزائر والمصائب التي أصابت أبنائها، حيث اجتمعت عدة أسباب نحو تهجير ونفي حمدان خوجة وعلى رأسها التهمة التي أسندت إليه هو تهمته أرملة الأغا بحيث يأخذ نقود منها لكي يضع إرسال ابنها إلى فرنسا وأيضا تدخله الملح لصالح المفتي العنابي فقد أضربه كذلك في مشاكل وكذلك التآمر عليه من قبل اليهود اللذين كانوا لا يثقون فيه، ويبقى أيضا السبب الذي جعل الإدارة الفرنسية تكن العداء لحمدان خوجة وخاصة كلوزيل هو موقفه الغير متسامح من احتلال المساجد الذي جعله في أعين الفرنسيين من أعين الحاقدين عليه كما إتهموه بأنه ينشر الدعاية بين الجزائريين عن هزيمة الفرنسيين وانتصار

¹ ينتمي حمدان خوجة إلى أسرة عريقة جزائرية أي من أم جزائرية وأب تركي وأصله كرغلي ولد في سنة 1773م بالجزائر العاصمة سافر إلى إسطنبول وهو في سن الحادي عشر من عمره عاش في محيط ثقافي وكان له الشأن الكبير آنذاك في المجال الفكري والسياسي والإصلاحي. ينظر: حميدة عميراي: دور حمدان خوجة في تطور القبضة الجزائرية (1827-1830)، دار البحث قسنطينة، الجزائر، 1987، ص66.

المعلمين في المدينة أدى كل هذا إلى عزله من الوظائف التي أسندت إليه والتي قال قبلها لأنه لم يكن له خيار آخر¹.

كما أن الخلاف الذي كان بين حمدان خوجة وأحمد بوضربة أضربه كثيرا فكثيرا ما حرض أحمد بوضربة الفرنسيين عليه حيث وقف مع حمدان خوجة موقف اتصف بالتقارب فلقد أعاد له الدوق دو رفيقو داره التي كان قد استقر فيها أحد الضباط وأرسله للتفاوض مع الأغا يحي الدين بن مبارك وكلفه بمهمة إلى قسنطينة ثم تلتها مرحلة توترت فيها العلاقة بين حمدان خوجة والدوق دو رفيقو حيث فشل في إقناع الباي باقتراح الدوق وهو الاعتراف بالسيادة الفرنسية ودفع جزية سنوية لفرنسا

كما أن اليهودي بكري قد أغرقه في قضايا مالية شائعة جعلته يتابعها لدى مجلس الدولة في فرنسا ونفي حمدان خوجة إلى باريس نظرا لتخوف فرنسا من مطالبة خاصة في الدفاع عن مطالب الجزائريين وعن قضية الجزائر ويشرحها أمام الرأي العام الفرنسي والعالمي أثناء نفيه إلى باريس ولم يستسلم حمدان خوجة في توضيح ما ألت إليه الجزائر من الاحتلال الفرنسي وعن سياسته المجحفة في حق الشعب الجزائري حيث أخذ يكتب العرائض والمذكرات الطويلة ويرسلها إلى وزير الحربية المارشال سولت يخبره عن الأوضاع التي تعيشها الجزائر من ظلم واستنزاف للحقوق من طرف فرنسا ويطلب بإنشاء لجنة تحقيق في الجزائر لاطلاع على حالة الجزائريين والبحث عن حلول لها وكتب حمدان خوجة "كتاب المرأة" والذي تناول فيه جزئين الجزء الأول الجزائر في العهد العثماني وإدارة دي بورمون وكلوزيل الأولى أما الجزء الثاني إدارة برتيزن وبيشون².

ومنه فإن قرار نفي حمدان خوجة لم يكن بمثابة وضع نهاية له بل بداية لنشاط آخر وتمثل في الدفاع عن وطنه ولم يمنعه قرار الإبعاد والتهجير من الدفاع عن القضية الجزائرية. كما نجد أيضا من بين

¹ العربي عمر، قارة فاطمة، «نماذج عن التهجير لأعيان مدينة الجزائر من طرف الاحتلال الفرنسي (1830-1833)» مجلة دراسات تاريخية، العدد 1، 2023، ص 408.

² أبو القاسم سعد الله، محاضرات في تاريخ الجزائر الحديث (بداية الاحتلال)، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ص 81.

أعيان مدينة الجزائر نجد أحمد بوضربة والذي كان من أهم الشخصيات الفاعلة في إدارة الاحتلال الفرنسي في الجزائر هو من طبقة الحضر وينتمي إلى طبقة المهاجرين الأندلسيين الفارين بعد سقوط غرناطة 1942م ويدعى أيضا "المشجوج" وتسمية بوضربة تعود إلى جده الذي بارز فارسا مسيحيا فتعرض لضربة في أنفه وأصبح يحمل ندبة على أنفه وأطلقت عليه تسمية بوضربة والحفيد " أحمد" اخذ تسمية " بوضربة عن جده وقد حضى أحمد بوضربة بثقة القائد دي بورمون¹، حيث تكونت بينهم علاقة ود فكان يثق فيه ويستشيريه في شؤون الجزائر الداخلية وولاية رئاسة أول مجلس بلدي في الجزائر وكان يأخذ برأيه في تعيين الأهالي ولاسيما الحضر بين، في المناصب الجديدة فهو الذي اقترح منصب آغا العرب بالنسبة لحمدان بن أمين السكة وولاه أيضا كلوزيل إدارة أملاك مكة والمدينة ووضع فيه برترين ثقته حيث أتهمته الإدارة الفرنسية على أنه يرأس " لجنة المغاربة" التي تعمل لصالح استعادة الحكم الإسلامي في الجزائر وقد أتهمته بعض الفرنسيين أيضا بإثارة القلق والتأمر، بل بارتكاب أعمال خطيرة أما في عهد الدوق دو فيغو فإن سهم بوضربة قد هبط وذلك بأن جماعة الحضر يشكلون خطرا على الاحتلال الفرنسي في الجزائر وأنهم يعملون بأقنعة مختلفة لذلك قرر التخلص منهم بشتى الوسائل².

كان أحمد بوضربة يطمح لإعادة الحكم الإسلامي إلى الجزائر حيث كان شخصية جزائرية فاعلة ومؤثرة واستطاع أن يقدم حلولاً ومطالب ازدادت حدتها تماشيا نتيجة السياسة الفرنسية المنتهجة في الجزائر ويبدو أن هذه المطالب التي قدمتها جعلت قادة الاحتلال ينظرون إليه نظرة خوف وحذر من تصاعد مطالبه السياسية خاصة أثناء ظهور مقاومة الأمير عبد القادر في الغرب والتي كان أحمد بوضربة متحمسا لها وداعما إليها خاصة أنه كان معارض لذكره عودة الحكم العثماني في الجزائر وكان أحمد بوضر بوضربة يطمح في السلطة وكان معارض لبقاء الفرنسيين في الجزائر حيث كان يؤسس لمشروع يقضي بإقامة نظام سياسي جزائري وكان يدافع مصالح أبناء وطنه وهذا ما سيجعله محل شك لدى السلطات الاستعمارية والشك في ولاءه خاصة بعد تأكيد رغبته في إقامة نضام حكم يشرف عليه

¹ أبو القاسم سعد الله، محاضرات في تاريخ الجزائر الحديث، مرجع سابق، ص 79.

² المرجع نفسه، ص 77.

جزائريون فقط ونتيجة هذا كله عجل باجتماع قادة الإحتلال حول فكرة وقرار مفادها "أن أحمد بوضربة يشكل خطر على الإحتلال الفرنسي لذلك يجب تهجير قسرا من خلال توجيهه له عدة تهمة من بينهما ترغم لجنة المغاربة لكنه لم يتقبل فكرة تهجير قسرا ولم يحصل على العدالة من طرف الدولة الفرنسية وذلك من خلال التقرير الذي قدمه الدوق دو فيغو وأرفقه بوثيقة تهجير فقد أورد فيها أن بوضربة كان ينوي القيام بمقاومة ضد الفرنسيين رفقة الأندلسيين المقيمين بالجزائر¹.

لقد قامت فرنسا بنفي ابن العنابي وهو أحد أعيان مدينة الجزائر²، ومن الحضريين الجزائريين اللذين كانوا متأنيا لسياسة فرنسا في الجزائر ضد مبادئ الأمة الفرنسية نفسها لذلك كتب سلسلة من الرسائل إلى الجنرال كلوزيل يذكره فيها بنصوص الاتفاق الجزائري الفرنسي وينبئه إلى العواقب التي قد تتجر إليها السياسة المتبعة آنذاك ولقد أرادت السلطات الفرنسية نتيجة هذا إبعاده من الجزائر فاختلفت له سببا وهو أنه يتأمر ضد الدولة بالاتصال بالعرب وأنه كان يعمل لعودة الحكم الإسلامي إلى الجزائر ولذلك ألقى كلوزيل عليه القبض وسجنه بعض الوقت ثم نفاه³، وأيضا بما أن منصبه هو معتي الحنفية بالجزائر وبعد دخول الفرنسيين مدينة الجزائر أقام ابن العنابي في بيته مطيعا لهم في الظاهر وفي باطن الأمر كان يخاطب زعماء القبائل والأهالي لإثارة الحرب من جديد وتنظيم المقاومة الشعبية ضد الإحتلال الفرنسي بعد هزيمة وانكسار جيش السلطة الرسمية الفرنسية حيث يقول أبو القاسم سعد الله في هذا العدد وفي باطن الأمر كان يخاطب العرب والعربان يخاطبونه على إثارة الحرب من جديد ويوضح هذا الكلام الدور الفعال الذي لعبه المفتي ابن العنابي في مواجهة الحملة الفرنسية حيث يقول بيليسي دي رينو في كتابه "حوليات جزائرية" يقوله كما نفي الجنرال كلوزيل محمد بن العنابي المفتي

¹ العربي عمر، قارة فاطمة، مرجع سابق، ص 410.

² وهو أبو عبد الله محمد بن محمود بن محمد بن حسين بن محمد الأزمتين الجزائري الشهير بالعنابي نسبة إلى مدينة عنابة الجزائرية ولد بمدينة الجزائر سنة 1189هـ/1775م وتعود أصول أسرته إلى تركيا نشأ في أسرة عريقة جزائرية تربع في جو العلم والفقه والجاه، ينظر: عثمان زقب، الزبير بردي، «نفي الإحتلال الفرنسي محمد بن العنابي» مجلة المعارف للبحوث والدراسات التاريخية، العدد 4، 2023، ص74.

³ أبو القاسم سعد الله، محاضرات في تاريخ الجزائر الحديث، مرجع سابق، ص74.

الحنفي من الجزائر العاصمة والذي أشار إليه بأنه رجل يجب الخوف منه...ومن أهم الملفات التي تركها المغني السعي المحمود في نظام الجنود ويشرح هذا الكتاب نضم الجيش الحديث وضرورة الأخذ بالأسباب الحضارية حتى لا يبقى العالم الإسلامي فريسة سلعة الأطماع الأوروبيين.¹

التهجير القسريّ لأعيان مدينة الجزائر حمدان بن أمين السكة حيث كان قبل احتلال فرنسا للجزائر يستغل منصب أمين السكة وهو المسؤول عن ضرب النقود بمقادير مضبوطة والتي تعتبر أهم مؤسسة في إباله الجزائر ولكن بعد احتلال مدينة الجزائر من قبل الإحتلال الفرنسي استدعاه قائد القوات الفرنسية "دي بورمون" وبعد نقاشات مطولة أراد القائد أن يستفيد من خدمات حمدان بن أمين السكة وخاصة أنه كان مم حضر الجزائريين لا يخرجون من الجزائر إلا نادرا وكان يحسن التكلم باللغة الفرنسية وله دراية بالإدارة لذلك قرر الجنرال كلوزيل تعيينه وإعطائه منصب آغا العرب وخاصة وأنه كان على إطلاع على ما يحدث في المناطق الغربية من العاصمة ولذلك أفادت المراسلات التي قدمها وكتبها حمدان بن أمين السكة الفرنسيين في تجهيز حملة عسكرية في مدينة المدية،² ليراقب تحركات العرب في متيجة ولكن بدلا من ذلك دخل داره وترك الأمور على حالها خوفا من التعرض لأخطار حيث كان الفرنسيون ينتظرون منه أن يتجول في المنطقة وأن يكسب العرب لكنه لم يفعل هذا الأخير شيئا فكثرت الثورات وواجه الفرنسيون اضطرابات لم يتوقعوها لذلك أثناء عودة الجنرال كلوزيل من حملته التي كاد الجزائريون أن يقضوا على الحامية الفرنسية المتواجدة في اللبدة لذلك وجه له الفرنسيون تهمة عدم القيام بالواجب المكلف له في الأول وهو كسب ثقة العرب ومعرفة طريقة تفكيرهم والثاني إخفاقه في فرنسا الاستقرار في متيجة لذلك قرر عزله من منصبه وألقي منصب الأغا وأرغمه على الذهاب إلى فرنسا خوفا من أن يشرك في مقاومة ضد السلطات الفرنسية مع القبائل التي كان آغا عليها أو مع زملاءه المضربين ويقال بأن أمين بن السكة كان شابا طموحا يخشى منه، وهكذا نفي إلى باريس حيث تزوج وضل عدة سنوات بعيدا عن مسرح الأحداث، ثم عاد إلى الجزائر مرة أخرى لكن

¹ عثمان زقب، مرجع سابق، ص 79.

² أبو القاسم سعد الله، محاضرات في تاريخ الجزائر الحديث بداية الاحتلال، مرجع سابق، ص 71.

دي روفيقو قائد الجيش الفرنسي نفاه من جديد أثناء حملته التي قام بها لتصفية العناصر الحضرية العامة من مدينة الجزائر¹.

لم تكتفي فرنسا بنفي أعيان الحضر من مدينة الجزائر بل قامت أيضا بنفي الثوار ومحاكمتهم وإبعادهم إلى كاليديونيا الجديدة لذا عملت على محاكمة بومزراق المقراني ونفيه وهي العائلة التي تنسب نفسها إلى سلالة الرسول صلى الله عليه وسلم عن طريق فاطمة الزهراء وهم من الأشراف قاد ثورة المقراني 1871 م وتعد ثاني معركة من حيث الشمولية والاتساع بعد مقاومة الأمير عبد القادر² حيث تمت مصادرة أملاك المقراني وأفراد عائلته على مرحلتين الأولى بدأت بعد عشرة أيام من انطلاق الانتفاضة يوم 21 مارس 1871م، وذلك وضع كل أملاك الحاج محمد المقراني تحت الرقابة القضائية، أملاك القبائل وكذلك العرب الذين التحقوا بالمقراني سواء كانت أملاك متخصصة أو تابعة وبذلك تمت مصادرة الأراضي التي قدرت مساحتها الإجمالية ب 22829 هكتارا و 89 أرو و 55مترا مربعا تبع المقراني أمام عدة جهات قضائية أهمها المحكمة التابعة للجزائر، وكان الحكم الأكثر قسوة ضد بومزراق الذي حكم عليه بالإعدام كما صدر نفس الحكم غيابيا على 15 عضوا من عائلة المقراني وقد حوكم بومزراق وأصدر الحكم تجاهه قبل الحداد وسرعان ما ظهر الحكم الذي أحدث ضجة وصدر في 27مارس 1873م ضد الحكم الذي صدر نحو بومزراق المقراني الذي يرى بأن بومزراق صدر في حقه حكم قبل المتول أمام محكمة الجنايات وقد بدل حكم الإعدام ضد بومزراق من قبل رئيس الجمهورية يوم 19أوت 1873م وعوض بقرار النفي إلى كاليديونيا الجديدة مع كل من محمد وأخيه عزيز والقايد علي أوقاسي وآخرين³، أما بالنسبة لمحاكمة الشيخ الحداد وابنيه عزيز ومحمد فقد تم هو الآخر مصادرة أملاكه وأملاك ابنه وقد أعلن قرار إداري يحمل رقم 208 صادر عن الحكومة العامة للجزائر بتاريخ

¹ العربي عمر قارة فاطمة، مرجع السابق، ص 406.

² عز الدين بلعيد، نبيلة لرباس، «كاليديونيا منفي الثوار الجزائريين (1864.1895)»، المجلة التاريخية الجزائرية، العدد 02، 2024، ص75.

³ الصديق تاوتي، المبعدون إلى كاليديونيا الجديدة، مأساة هوية منفية نتائج وأبعاد ثورة المقراني والحداد، شركة دار الأمة للطباعة النشر والتوزيع، الجزائر، 2007، ص110.

16 سبتمبر 1871 عن مصادرة كل الأملاك التابعة للشيخ الحداد حيث حكم على الشيخ الحداد خمس سنوات سجنًا وحكم على ابنه سي محمد وسي عزيز بالنفي إلى كاليدونيا الجديدة حيث وجهت العديد من التهم إلى سي عزيز والتي كانت ثورته أخطر من ثورة المقراني نفسه أما القائد أوقاسي وقريبه محمد مقران فقد سجنوا ثم بعثوا إلى كاليدونيا الجديدة ونفس المصير بالنسبة إلى سي محمد.¹

أما بالنسبة لظروف النقل إلى كاليدونيا الجديدة فكانت مزرية والتي تسببت في وفاة عدد من الجزائريين حيث الأكل غير متلائم مع عاداتهم الغذائية ولا يخض للشروط الدينية، إضافة إلى الأمراض وطول مدة السفر التي دامت ما بين 140 و150 يوما حيث تذكر الدراسات التاريخية عن المنفيين إلى كاليدونيا الجديدة أنه تم نفي 120 جزائري بسبب الثورة وفيما يخص المنقولين كان إبراهيم بن محمد أول عربي يصل الجزيرة سنة 1864 ثم وصل في سنة 1868، 133 عربيا ووصلت أيضا في نهاية 1874 وبداية 1875 مجموعة من المنفيين الجزائريين وعددهم 70 رجلا إلى جزيرة الصنوبر وأضيف لهم 20 آخرون سنة 1876 بعد مقاومة الأوراس الغربية 1816،² وحسب الإحصائيات المدونة حول المحاكمة في عقد الإدانة فإن الوضعية الاجتماعية للمتهمين الـ 152 الذين امتثلوا أمام محكمة الجنايات تكون كالآتي: قادة وقادة قدامى باشاغا، قايد سابق، شيوخ، شيوخ قدامى، العلماء عادل وباشا عادل عمال مداومون عون شرطة قهواجي طالب ذو ملكية مزارعون بدون مهنة تاجر خليفة، القايد صاغ وكيل زاوية ومنه ارتكبت فرنسا جريمة في حق الجزائريين وقادة الثوار من خلال نفيهم إلى كاليدونيا الجديدة والتي كانت هناك الحياة مزرية وبائسة.³

¹ نعيمة قنزار، «التهجير القسري إلى كاليدونيا الجديدة: جريمة في حق الإنسانية»، مجلة الآداب والعلوم الاجتماعية، جامعة عبد الرحمان ميرة بجاية، 1 جانفي 2015، ص3، 4.

² المرجع نفسه، ص4.

³ الصديق تاوتي، مرجع سابق، ص118.

الفصل الثاني: وضعيّة الحج قبل

الاحتلال الفرنسي 1700 -

1830هـ

المبحث الأول: مكانة الحج في الجزائر العثمانية

تعتبر فريضة الحج من بين العوامل التي ساهمت في توطيد العلاقات وجمعت بين المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها في نفس الوقت إذ أن فريضة الحج هي الركن الخامس من أركان الإسلام، وركب الحج الجزائري من أهم المظاهر التي تبين نقاط القوة في الترابط الداخلي بين السلطة والمجتمع الجزائري العثماني، وتعتبر مسير الركب نحو البقاع المقدسة على مدى التواصل الحضاري الإسلامي بين الجزائر وكل الأقطار الواقعة في طريق الحج والمشاركة فيه من خلال التلاحم والتمسك بهذه الفريضة الإسلامية.

1. إستمرارية دورية الركب مع مجيء العثمانيين إلى الجزائر

حيث لم يضطرب الحج في الجزائر نتيجة الانضمام للسلطة العثمانية سنة 1518م بل تحسنت ظروفه في السنوات الأولى للتبعية حيث عاد النشاط البحري للجزائر والتي عانت في السابق من التحرشات الأوروبية، حيث أصبحت الموانئ جاهزة وآمنة لإبحار بالمراكب التي تنقل الحجاج نحو ميناء الإسكندرية المصري،¹ وذلك من خلال انتقال الخلافة لإمارة الحج إلى عائلة الفكون إلى ما بعد وجود العثمانيين وهذا يدل على استمرارية الحج الجزائري في العهد العثماني،² وكما أشرف العثمانيون على تنظيم الحج وكذا إجراء بعض التغييرات على مستوى قيادة الحج في الأقاليم التي خضعت لهم أما الأقاليم البعيدة عن سلطتهم فقد بقيت على ما هي عليه وعلى سبيل المثال نجد ركب الحج في منطقة قورارة من بلاد توات جنوب غرب الجزائر خلال القرن 10هـ/16م وهذا تم في السنوات الأولى

¹ أحمد بوسعيد، ركب الحج الجزائري خلال العهد العثماني 1518-1830م، مذكرة لنيل شهادة الدكتوراه، في التاريخ الحديث والمعاصر، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، اشراف محمد حوتية، جامعة احمد دراية-ادرار، 2017-2018، ص32.

² أبو القاسم سعد الله، شيخ الإسلام عبد الكريم الفكون داعية السلفية، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1986، ص49.

لإلحاق الجزائر للدولة العثمانية،¹ وبهذا تكون الدولة العثمانية قد شجعت وحسنت من تنظيم الحج وتسهيل فريضة أدائه عن طريق توفير الأمن ومختلف الوسائل اللازمة لقضاء هذه الرحلة الإسلامية.

2. خصوصية الركب الجزائري واستقلاليته:

لقد تكرر استخدام لفظ "الركب الجزائري" أو "ركب الجزائر" في متون الرحلات الحجازية الجزائرية في الكثير من المواضيع حيث نقل الحجاج الرحالون أخباره باستمرار طيلة فترة الحكم العثماني بالجزائر حيث يقول عبد الرحمن المجاجي أثناء رحلته من صحراء برقة إلى طرابلس مرورا بتونس فالجزائر وذلك خلال ركب الحج الجزائري في موسم 1063هـ/1652م لقد تطرق إلى تنظيم قوافل الحج وأمن في رحلته حيث لم يتعرض لأي ضرر أو قطاع الطرق وربطته علاقة طيبة بين مشايخ الركب الجزائري كما أنه أعطى لمحة عن هيكلية ركب الحج الجزائري الداخلية ومرافقيه في الفترة العثمانية، وكذلك خبر مفاده أن الركب الجزائري التقى في موسم حج 1179هـ/1766م بمدينة طرابلس الغرب بالركبين المغربيين الفاسي والفيلاي السلجماسي مغربيين، أي أنهما عائدتين من الحجاز وأيضا من الأخبار المتعلقة بطريق الحج هو أن أهل صحراء طرابلس الغرب خرجوا من قراهم يتسابقون الركب الجزائري في حجة 1188هـ/1774م رجالا ونساء وصبيانا بالتمر والزرع والخبز والدجاج وغيرهما من الأخبار التي كانت تقصد ركب الحج الجزائري في حد ذاتها.²

لم يكن مقصور على الجزائريين فقط في نقل أخبار الركب الجزائري والتأكيد على دوريته وكيانه في العهد العثماني، بل تعداه إلى الرحالين من الحجاج المغاربة فالرحالة العياشي يشير إلى موسم حج 1072هـ/1661م قائلا "ثم في الغد يوم الجمعة نزلنا على التميمي ضحى، ووجدنا ركب أهل الجزائر مقيمين فيه، وكرهنا الورود عليهم لأجل ما بين الركبين من النشأ... فلما أصبحنا ارتحل أهل الجزائر

¹ أحمد بوسعيد، مرجع سابق، ص33

² سعاد آل السيد الشيخ، «رحلة عبد الرحمن بن محمد بن الخروب المجاجي نموذج الرحلة الحبية النظامية خلال القرن 11 هـ و17م»، مجلة الواحات والدراسات، جامعة غرداية، العدد 20، الجزائر، 2014م، ص208، 209.

وأقام أصحابنا،¹ ومن هنا تقول بأن ركب الحج الجزائري لقد حافظ على شخصيته واستقلاليتها طيلة الرحلة إلى الحج في الفترة العثمانية، وكل هذا من خلال حرصه على إبراز قوته وهيبته في حماية الحجاج الجزائريين وتخويفا للمعتدين عليه وقطاع الطرق، حيث أطلق على الركب الجزائري في العهد العثماني بالركب المغاربي فهذا حاج تركي سأل حاج جزائري عن بلده فأجاب مباشرة من المغرب وحتى الشيخ الورثلاني نجده يشير إلى عالم ليبي من طرابلس اجتمع به في حجته الأولى بالحرمين فحياه باسم سيدي محمد المغربي الطرابلسي²، والظاهر أن إشكالية التسمية هذه انتشرت بالجزائر خلال فترة العهد العثماني.

3/أصناف ووجهات الركب الجزائري:

أ/أجزاء الركب الجزائري البري إقليميا: لقد تنوعت أصناف ووجهات الحجاج المغاربة بصفة عامة والجزائريين بصفة خاصة فقد كانت تتم فريضة الحج الجزائري الجزائري العثمانية على طريقتين وهما طريق الركب البري وطريق الركب البحري بواسطة قوافل تضم عدد كبير من الحجاج.

أ/الطريق البري إقليميا: لقد أخذ ركب الحج الجزائري أثناء العهد العثماني وحدة مترابطة ومتكاملة وذلك من خلال تجمع وتكتل مجموعة من قوافل الحجاج الجزائريين حيث كانت تضم هذه القوافل ركب الحج من مختلف جهات الإيالة الجزائرية وبما فيها تلك التي لم تخضع لإدارة السلطة العثمانية،³ وفيما يلي عرض لأهم الأقاليم التي كان يتشكل فيها ركب الحج الجزائري العثماني.

أ-الركب الجزائري من مدينة الجزائر:

كانت مدينة الجزائر عبارة عن محطة اختيارية عابرة للركب فقط أي أنها اشتهرت بالركب البحري أكثر من البري حيث كانت تنطلق ركب الحج الجزائري على متن قوارب عبر البحر حيث يقول في

¹ العياشي، ماء الموائد الرحلة لبيبا، طرابلس وبرقة، جمع وتحقيق: سعد زغلول عبد الحميد وآخرون، مركز دلتا للطباعة، الاسكندرية، دت، ص 175.

² أحمد بوسعيد، مرجع سابق، ص 38.

³ المرجع نفسه، ص 44.

هذا الصدد جوزيف بتس" وفي تلك السنة خرجت من الجزائر قاصدا مكة المكرمة فوصلنا الإسكندرية في غضون ثلاثين أو أربعين يوما وهي فترة معقولة" أي أنها عابرة وتمر على الجزائر لتضم الحاج وينادي المنادي في مدينة الجزائر عن ميعد إقلاعها،¹ حيث تنطلق هذه القافلة من مقدار إقامة سلطان المغرب فتسير ببطء إلى الجزائر وبذلك تتابع سيرها على الساحل المصري قاصدة القاهرة.. مباشرة².

ب/الركب من قسنطينة:

حيث تعتبر مدينة قسنطينة محطة هامة في طريق الحج أثناء الفترة العثمانية وأصبحت تمثل قاعدة بايلك الشرق الأكثر غنى والأكبر مساحة حيث ساهمت بتنظيم ركب الحج الجزائري في الفترة العثمانية حيث أسندت مهمة تنظيم الركب الجزائري إلى الشيخ عبد الكريم الفكون لإمارة ركب الحج المؤرخة سنة 1048هـ وكذلك تعيين فرحات بن مراد باي الذي خلف عبد الكريم الفكون في إمارة ركب الحج الجزائري بمدينة قسنطينة خلال العهد العثماني³.

ج/الركب من الجهات الغربية: حيث يشير الرحالة عبد الرحمن المجاجي إلى رحلته الطويلة ببلدية مجاجة أصل عبد الرحمن ومنشأه ومقامه، وتتم الفرحة بقاء الأقارب والأحبة "وقد يجمع الله الشيتين بعدما يظنان كل الظن أن لا تلاقيا" وألفت عصاها واستقر بها النوى كما فر غينا بالإياب مسافر⁴ أيضا قيام محي الدين في إقليم وهران بأداء فريضة الحج حيث اجتمع الآلاف من العرب مشاركته في الحج إلى البقاع المقدسة وفي عشية اليوم السادس تجمع الركب الكبير على ضفة نهر جديوية في سهل الشلف وهكذا تمت إعداد البغال وإحضار الخيام للقيام بالرحلة نحو مكة⁵.

¹ جوزيف بتس، رحلة جوزيف بتس (الحاج يوسف) إلى مصر ومكة المكرمة والمدينة المنورة، ترجمة: عبد الرحمن عبد الله الشيخ، ط1، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1995، ص21.

² المصدر نفسه، ص18.

³ أبو القاسم سعد الله، شيخ الإسلام عبد الكريم الفكون داعية السلفية، مرجع سابق، ص79، 80.

⁴ سعاد آل السيد الشيخ، مرجع سابق، ص208.

⁵ شارل هنري تشرشل، حياة الأمير عبد القادر، ط1، ترجمة وتقديم: أبو القاسم سعد الله، الدار التونسية للنشر، تونس، 1592، ص43.

د/الركب من منطقة الزاب: مدينة بسكرة هي قاعدة إقليم الزاب وهي من أكثر المناطق استقبالا لركب الحج والحجاج وهي بلاد الرمل وذلك من خلال زيارة القبر الذي في بلاد الزاب المنسوب لنبي الله خالد بن سنان وذلك لما فيها من رمزية دينية وسياسية في آن واحد، وهكذا كانت ركب الحج الجزائري إبان الفترة العثمانية، تشتهر وتتربع هذه الأقاليم من مدينة الجزائر.¹

ج/الركب من تقرت و ورقلة: حيث اشتهر هذا الإقليم على المواظبة على رحلة الحج منذ أمد بعيد فقد ذكر الدرعي الرحالة المغربي أن ركبهم قد التقى حجاجا من أهل تقرت راجعين من الحجاز بعد أن استطاعوا أن يجتازوا السبخة الكبيرة التي كانت تعيق وتهلك فيها الرواحل المؤدية إلى الحج ولا ينتمي ركب الحج إلى جهة معينة بل إلى جهات متعددة وينخرطون في رحلة الركب إلى الحجاز ذهابا وإيابا وحين الرجوع من الحج تولي كل مجموعة من الحجاج وجهها شطر موطنها أو إقليمها فمثلا يقول الرحالة المجاجي عن الركب بعد العودة من حجة 1063 هـ 1953م:

هناك اقترب الركب عند صباحنا وارقلي وريغي ثم عنابي نسبة

وغيرهم من النواحي ذكرته قسنطيني ثم تونسي في صحيفة

وبعض من أهل الزاب فارق عندما أتى متقنا أياما من قفصه.²

ب/ الركب الجزائري البحري أو الحج بحرا:

لم يقتصر الركب الجزائري في الحج على البر فقط بل أخذ أيضا الطابع البحري من خلال القوارب والسفن وهذا مصداقا لقوله تعالى: «ولتبغوا عليها حاجة في صدوركم وعليها وعلى الفلك تحملون»³ وهو الاعتماد على البحر لأداء فريضة الحج حيث ذكر الرحالة جوزيف بتس عن الحج البحري في الجزائر في قوله "وعندما تكون إحدى السفن جاهزة للإبحار إلى الإسكندرية ينادي المنادي

¹ العياشي، مصدر سابق، ص 142.

² أحمد بوسعيد، مرجع سابق، ص 50.

³ القرآن الكريم، سورة غافر، الآية 80.

في مدينة الجزائر التي أعيش فيها معلنا معاد إقلاعها وعندئذ ينتهز كل ما نوى الحج في ذلك العام الفرمة بسعادة للسفر بحرا لأنه أقل إرهاقا وتكلفة عن السفر برا¹، ولكن نفس الوقت الذي يسافر بحرا يجب أن يكون حذرا، كما يستذكر الرحالة المقري التلمساني في قوله «إلى أن ركبنا البحر وحللنا منه بين السحر والنحر وشاهدنا من أهواله وتنافي أحواله ما لا يعبر عنه ولا يبلغ له كنه البحر صعب المرام جدا لا جعلت حاجتي إليه أليس ماء ونحن طن فما عسى صبرنا عليه².

ومنه فإن الحج عن طريق البحر لم يكن منتشرا كما اشتهر الحج البري بالرغم من قلة مدة السير وذلك خوفا من المواجهة البحرية من طرف القراصنة واللصوص التي تستهدف البحر وكذلك نظرا لأحوال الطقس مثلما حدث لمحي الدين وعبد القادر أثناء رحلتها لأداء فريضة الحج حيث انطلقت السفينة من وهران في نوفمبر عام 1825م وقد وصل تونس مارين بالمدينة وقسنطينة وهناك انضم إلى وفد الحجاج تعداد 2000 حاج كانوا ينتظرون تحسن الطقس ليقبلوا بالبحر إلى الإسكندرية لكنهم فوجئ بعاصفة هوجاء ارغمتهم على العودة ثم أتيحت لهم الفرصة في محاولة ثانية منهم وبعد رحلة استغرقت حوالي 15 عشر يوما وصلوا إلى الإسكندرية³.

حيث كانت مهمة الإشراف على رحلات الحج البحرية تتم تحت إشراف إدارة البايلك وكبار الموظفين والأعيان حيث يتم إستأجار سفن عثمانية أو أوروبية لنقل الحجاج وسرة الحرمين الشريفين، ففي عام 1089هـ / 1678م تم نقل الحجاج على متن سفينة إغريقية وفي 1096هـ / 1685م تم نقلهم على

¹ جوزيف بتس، مصدر سابق، ص 20

² أبو العباس أحمد المقري التلمساني، نفخ الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج 1، تحقيق: إحسان عباس، دار بيروت، 1988، ص 33.

³ شارل هنري تشرشل، مصدر سابق، ص 45.

مستوى سفينة هولندية وسنة 1118هـ/1707م تم نقلهم على مستوى سفينة جزائرية تحت قيادة الرئيس حاجي محمد بن غانم،¹ وهكذا كانت طرق وأجزاء ركب الحج الجزائري في العهد العثماني.

4. علاقة السلطات العثمانية بالركب الجزائري

وفي العهد العثماني أعطى السلطان محمد الأول هدايا نفيسة لصاحب مكة و وقف باسم فقراء الحرمين أوقافا وجعل يرسل علتها سنويا في صر فكان أول صر منظم عين لفقراء الحرمين،² وهذا يدل على تشجيع من طرف الدولة العثمانية لركب الحج وتمسكها التام على دورية الحج وأهميته في الإسلام، أما عن ارتباط أتراك الجزائر بالحج ومستلزماته فقد نجد في الجزائر العثمانية الكثير من الدايات والوزراء والأتراك والمنتسبين إلى الدواوين فقد حلت أسماؤهم بوسم الحاج ومن بين هؤلاء نذكر على سبيل المثال "الداي الشهير الحاج حسين منير" و "مورتو" الذي تلقب بالداي حجي والداي الحاج علي باشا وعلى منوالهما نجد الحاج حسن باشا الحاج أحمد باي والحاج حسن التركي والحاج عمر باشا كاتب والحاج يوسف وكيل الحرج والحاج محمد الشريف الزهار... إلخ وإصدار قادة الأسطول البحري الجزائري على أداء فريضة الحج والذي يجمع الأتراك والجزائريين ومنهم الحاج علي رايس مصطفى رايس الحاج محمد رايس وسليمان رايس وغيرهم ، وذلك نتيجة امتلاكهم للسفن البحرية والقرب من مصر والحجاز مدخل بلاد الحجاز،³ حيث كان الركب البحري الحامل للصرة وبمثابة الركب الرسمي لرحلة الحج في الجزائر لذلك اهتمت السلطة العثمانية بكراء أجود السفن لنقل مختلف الحجاج على متنها إلى الحرمين الشريفين وكان الموظف الذي يدبر أموال الأوقاف الحق في الرحلة مجانا رفقة عائلته،⁴ كما أن الأتراك المنخرطين

¹ سامية فراحتيه، ركب الحج الجزائري من خلال كتب رحالة في العهد العثماني (1518_1830م)، مذكرة لنيل شهادة الماستر أكاديمي في التاريخ، إشراف أبو بكر الصديق حميدي، جامعة محمد بوضياف المسيلة، الجامعية 2018/2019، ص49.

² أحمد السباعي، تاريخ دراسات في السياسة والعالم والاجتماع والعمران، ج 2، ط05، دار الملك عبد العزيز، الرياض، 1999م، ص59.

³ أحمد بوسعيد، مرجع سابق، ص56، 57.

⁴ المرجع نفسه، ص59.

في الوظائف لا يجرؤون على السفر للحج دون إذن الداي فإذا تجاوزوا عما تم تغريمهم عند عودتهم للجزائر راتب عام ومنعوا من تقاضي راتبهم بقية العام.¹

كما قام حسين باشا بعد شهرين من ولايته أمر بتسريح المراكب للحج وعين بيت المال. أمينا على الصرة ودفع له مال الصدقة التي تدفع كل سنة لفقراء الحرمين الشريفين حيث ذهب للحج كل من الفقير لربه،² ولقد استغل العثمانيون تحضيرات الجزائريين للحج من أجل كسب ود وتأيد سكان الأهالي في البلد الجزائري لأنهم يدركوا مدى قداصة وأهمية هذه الشعائر الدينية في نظر الجزائريين واستغلوا الحج لمراقبة بعض الشخصيات الجزائرية الشعبية المقبلة على أداء فريضة الحج ثم وصولا إلى قرار وقفها، منعها من الحج والسبب في ذلك الإجراء هو تخوف الأتراك من حجم الركب المتنامي حول كل شخصية واحتمال حدوث حركة تمرد أو عصيان ضدهم ومن بين الجزائريين اللذين كانوا ضحايا لتلك الوصاية الأمنية في أواخر العهد العثماني بالجزائر نجد الشيخ محمد التيجاني نجل مؤسس الطريقة التيجانية والشيخ محي الدين والد الأمير عبد القادر ثم ارتأت السلطات العثمانية في السماح لهم بالحج رفقة الوفد الرسمي انطلاقا من وهران بحرا بالنسبة لمحي الدين أما ابنه عبد القادر فقط ذهب لرحلة الحج برا انطلاقا من منطقة سيق وهذا تجاوزا لحدوث أي تمرد أو خلاف ذلك. وهكذا كانت علاقة السلطة التشريعية بالركب الجزائري خلال العهد العثماني، لذلك لقد كان ركب الحج الجزائري يخرج من إيالة الجزائر يتمثل في ركب واحد كل عام ويتشكل عن طريق تجمع العديد من قوافل الحج الفرعية القادمة من جميع أنحاء الإيالة من الغرب والوسط والشرق والصحراء لتتجمع في مكان واحد وهو بسكرة التي كانت تمثل نقطة التقاء الركب الجزائري.³

¹ جوزيف بتس، مصدر سابق، ص 20، 21.

² أحمد الشريف الزهار، مصدر سابق، ص 144.

³ أحمد بوسعيد، مرجع سابق، ص 63.

5/ أشهر بيوتات إمارة الركب الجزائري:

بما أن عملية أداء فريضة الحج شاقة والعدد الهائل لعدد الحجاج لابد من تعيين أمير أو شيخ أو قائد يسيروهم أثناء الرحلة لأداء فريضة الحج ومن أشهر بيوتات إمارة الركب في الجزائر نجد :

أ/ بيت الفكون (الفقون): وهو يعتبر من أشهر بيوتات إمارة ركب الحج الجزائري خلال العهد العثماني حيث صعدت هذه العائلة إلى الصف الأول بين العائلات في مدينة قسنطينة خلال العهد العثماني وقبل كل شيء نبادر إلى القول بأننا نرى أن إمارة ركب الحج لم تمنح إلا لعبد الكريم الفكون حيث يؤكد "ميرسيه"، أن أول أمير لركب الحج هو عبد الكريم الفكون الجد حيث أن أسرة الفكون ظلت تتوارث الوظائف المتمثلة في إمامة وخطابة الجامع وإمارة ركب الحج ولقب شيخ الإسلام إلى غاية الاحتلال الفرنسي وبالضبط سنة 1838م¹.

ب/ آل مسعود: على غرار أسرة آل الفكون اعتاد بيت آل مسعود على إدارة ركب الحج الجزائري في العهد العثماني وأصل آل مسعود يعود من قرية "أمدوكال" نواحي إقليم الزاب وهو سيدي محمد بن المسعود أما أمير الركب هو الشيخ سيدي الموهوب نجل الشيخ "سيدي محمد الحاج"²

ج/ بيت ابن ناجي: حيث يذكر ناصر الدرعي أثناء رحلته في قوله "وأنا تلك الليلة من أولاد سيدي ناجي وأخبرنا خبر أجمالنا التي أودعناها عنده"³ وكان أبو الحسن علي بن ناجي أمير الركب الجزائري في العهد العثماني.

ح/ بيت المرازقة: وهم من سلالة الشيخ ابن مرزوق التلمساني أشرفوا على الركب الجزائري والمداومة على السفر لأداء فريضة الحج منذ العهد الزياني وأصبحوا يسمون بـ "بأولاد الحاج"⁴

1 أبو القاسم سعد الله، شيخ الإسلام عبد الكريم الفكون داعية السلفية، مرجع سابق، ص 51، 51.

² أحمد بوسعيد، مرجع سابق، ص 69

³ أبو العباس أحمد بن محمد بن ناصر الدرعي، الرحلة الناصرية 1709-1710م، عبد الحفيظ ملوكي، دار السويدية للنشر والتوزيع، أبو ظبي، 2011م، ص، 708

⁴ أحمد بوسعيد، مرجع سابق، ص 21.

د/بيت الجوزي: شمالي منطقة توات واشتهروا بها باسم "أولاد القاضي" وفضلا عن تولي منصب القضاء تولوا مشيخة ركب الحج ومن أشهرهم الشيخ سيد الحاج القوراري التواتي،¹ وهكذا كانت أشهر بيوتات إمارة ركب الحج الجزائري في العهد العثماني.

و/بيت سيدي محمد الحاج: وهو محمد الحاج الصحراوي وهو من أسرة صوفية وكان يقيم بنواحي بسكرة المكان الرئيسي لتجمع القوافل لإمارة ركب الحج الجزائري².

6/ تنظيم ركب الحج الجزائري خلال العهد العثماني:

ينظم ركب الحج الجزائري من عدة جوانب فهناك الجانب الذي يشمل التنظيم التجهيزي وهناك الجانب البشري الذي يشمل التنظيم البشري:

أ/التنظيم التجهيزي: حيث يمثل التنظيم لركب الحج الجزائري خلال العهد العثماني على مرحلتين الأولى التي تسبق إنطلاق الركب وخروجه من الجزائر حيث تتم تداول كلمة أو عبارة مكة في كل الجهات والنواحي ويكون هذا بمثابة إعلان بمبدأ الإستعداد للسفر حيث يتم إعداد البغال وإحضار الخيام واجتماع الجماهير ومنه يبدأ تنظيم الركب وتجهيزه،³ أيضا يقومون بتجهيز المشاعل وهي عبارة عن مواقد حديدية يتم إشعال النار داخلها ذات قبضان ترتفع لهداية القافلة إلى الطريق خاصة وأن معظم القوافل تسيير في الليل وتوضع فيها أخشاب جافة لتسهيل إشعال النار وتقوم بتعيين شخص معين لحملها يسمى العلام فيكون في مقدمة القطار،⁴ حيث يقول "تشرشل هنري" في كتابه حياه الأمير عبد القادر أن الحجاج كانوا عائدين إلى الجزائر وأخذوا الطريق البري وحضر كل من الحجاج راكبين على

¹ احمد بوسعيد، مرجع سابق، ص 70.

² سامية فراحتية، مرجع سابق ص34.

³ ذهان سليمان، «تنظيم ركب الحج الجزائري خلال العهد العثماني بين تلبية المقدس والتواصل الحضاري»، مجلة أفكار وأفاق مجلد5، العدد 9، معهد التاريخ الجزائر، 2017م، ص60.

⁴ سامية فراحتية، مرجع سابق، ص23.

ظهور البغال والحمير،¹ وحول هذا الموضوع يفيدنا "جوزيف بيتس" من خلال رحلته حيث يقول «...وهم يجعلون أربعة جمال في المقدمة ويربطون بعضهما البعض لتكون قطار، ويسمون الرحلة كلها قافلة...ويسير كل قطار وراء كل قطار آخر وكأنهم في حملة عسكريّة وهو يتكون من آلاف الجمال.... وعلى رأس كل قطار قائد مسؤول....² وهكذا كان تنظيم التجهيزي للرحلة الأولى أما الرحلة الثانية تكون خلال سير الركب فهو تنظيم مرحلي أي بعد قطع مسافة أو مرحلة معينة يتم استغلالها في إعادة التنظيم من جديد وذلك من خلال التزود بما نقص من المواد»³.

ب/التنظيم البشري: ويقصد به تجنيد عدة أشخاص تسهر على السير الحسن للركب حيث يوجد العلام وهو مهمته وضع الأعلام لتبنيه قوافل الحجاج عن طريق التمهّل أو الإسراع في السير أو الخروج وكذلك خير المياه أو الدليل ومهمته الاستقصاء عن وضعية المياه من حيث الوفرة والشح حيث يقول المجاجي: "بعثنا خبيراً للمياه لعله يصادف أباراً تكون مليئة فجاءنا بعدما تخبي مدة فأخبرنا أن المياه كثيرة".⁴

كما يوجد شخص يدعي البراح مهمته هو إيصال المعلومات إلى الركب ويتم استخدام الطبول لمخاطبة الرفاق وإشعارهم بأوقات النوم والصحو ومواقيت الصلاة وكذلك يوجد أمير الركب ويمثل أهم شخصية في القافلة أو الركب وكل الشخصيات التي ذكرت تعمل تحت سلطة وأمرته فهو المسؤول عليها،⁵ حيث يروي "جوزيف بتس" عن أعماله خلال رحلته حيث يقول "كنت عندما تتوقف الحافلة أقوم بإشعال النار وإعداد القهوة وأخذ قسط من الراحة لأداء الصلاة..."⁶، وهكذا كان التنظيم البشري للحج الجزائري خلال العهد العثماني.

¹ تشرشل شارل هنري، مصدر سابق، ص 47.

² جوزيف بتس، مصدر سابق ص 67.

³ ذهان سليمان تنظيم ركب الحج الجزائري، مرجع سابق، ص 60.

⁴ سامية فراحتية، مرجع سابق ص 25.

⁵ ذهان سليمان، مرجع سابق ص 66.

⁶ جوزيف بتس، المرجع السابق ص 66.

المبحث 02: رحلات الحج والطرق الحبية.

كان الحج في الجزائر خلال الفترة العثمانية يتم بشكل منظم من قبل الدولة حيث كانت القوافل تنطلق نحو الحجاز لأداء الفريضة، كانت هذه الرحلة بمثابة فرصة دينية عظيمة للمسلمين تجمع بين العبادة والتواصل الروحي مع الأمة الإسلامية، وفيما يلي نعرض نماذج من رحلات حج الجزائريين:

1- **رحلة ابن حمادوش:** هو عبد الرزاق بن محمد بن محمد المعروف بابن حمادوش الجزائري عاش خلال القرن، 12هـ، 18م ولد في مدينة الجزائر عام 1107هـ، 1695م، وتوفي بعد حوالي 90 سنة في تاريخ ومكان مجهولين، درس في وطنه وتزوج به وتقلد بعض الوظائف الدينية لكنه منذ العشرينات من عمره أخذ يجوب العالم الإسلامي، بدأ ذلك بالحج، كانت أسرته تمتحن الدباغة لذلك كان والده يعرف بالحاج محمد الدباغ، كان في الغالب من أغنياء الناس غير أن ابن حمادوش عاش فقيرا لأنه إمتحن العلم لا الدباغة،¹ فقد قام برحلة سماها لسان المقال في النبأ عن النسب والحسب والحال، وهي رحلة جزائرية تحتوي على 336 صفحة بحجم متوسط، يبلغ عدد الأسطر في كل صفحة حوالي 28 سطرا، طبعت في المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية بالجزائر عام 1983م، حققها الباحث أبو القاسم سعد الله. تجدر الإشارة إلى أن هذه النسخة خاصة بالجزء الثاني من الرحلة فقط، وهو الجزء الذي خصصه ابن حمادوش للحديث عن رحلته إلى المغرب، أما بقية أجزاء الرحلة فلم يتم العثور عليها بعد، أشار الباحث أبو القاسم سعد الله إلى أن النسخة الوحيدة من المخطوطة توجد في الخزنة العامة بالرباط تحت رقم 463، وهي في شكل مسودة، هذا عن الجانب الشكلي للرحلة. أما عند محتواها فهو غني ومتنوع، فلم يقتصر حديثه على المغرب وثقافته وعاداته وتقاليده وعلمائه، بل نجد في الرحلة أخبارا مهمة عن الجزائر في العهد العثماني وعن حياته وتنقلاته في المغرب والجزائر. هذا بالإضافة إلى

¹ عبد الرزاق ابن حمادوش الجزائري، رحلة ابن حمادوش الجزائري المسماة لسان المقال في النبأ عن النسب والحسب والحال، تحقيق أبو القاسم سعد الله، طبعة خاصة، وزارة المجاهدين، عالم المعرفة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2015م، ص 09.

تضمنه فيها إشعارا ومقامات وامثالا وأساطير وعقود زواج وإجازات وبعض التراجم، نقل عن بعض الكتب مثل كتاب الدول للمالطي وكتب الكردبوسي وغيرها¹.

وعن رحلة ابن حمادوش فهي جزء هام من تراث الجزائر العربي الإسلامي الذي لطالما نفاه الدارسون الأجانب وشككوا في قيمته وهناك علماء جزائريون آخرون عاصروا ابن حمادوش وقد تركوا رحلات مثل ابن عمار صاحب كتاب رحلة اليب والورثاني، ولكن رحلة ابن حمادوش تمتاز بأنها رحلة مغربية لا مشرقية، كما ان ابن حمادوش كتب بأسلوب سهل وبسيط يكاد يقترب من أسلوبنا وطالما لجأ إلى التصنع ورغم ضعف المنتج الذي اتبعه ابن حمادوش وكثرة الحشو والاستطراد في الرحلة، فإن عمله سيظل مصدرا لدراسة الحياة الاجتماعية والثقافية وحتى السياسية في مجتمع الجزائر والمغرب خلال القرن 18م، وتزداد قيمة الرحلة عند الباحث باعتبارها أيضا مصدر من مصادر حياة المؤلف بل لعلها المصدر الوحيد المعروف عنه إلى الآن، وقد ظلت حياته مجهولة قبل إكتشاف هذه الرحلة،² ومادام أجزاء الرحلة الأخرى مفقودة فلا تستطيع إلا الدعاء بأن الأجزاء كان رحلة حجازية والمعروف أن ابن حمادوش حج أول مرة سنة 1125هـ، ثم كرر الحج³.

2- رحلة الحسين الورتلاني: ولد الحسين بن محمد السعيد الورتلاني في الجزائر سنة 1125هـ و 1719م، وتوفي بها أيضا سنة 1193هـ و 1779م، وهو من أسرة مرابطين أهل الطرق تدعي الشرف، تتقف في وطنه ثقافة عصره، واختلف في الزوايا الموجودة بمنطقته، وكان يكثر من الزيارات وأخذ طريق القوم إلى أن أصبح هو مرابط الطريقة الشاذلية، وأصبح الناس ينظرون إليه نظرة احترام

¹ بحري نصيرة، «استقراء التاريخ من خلال رحلة ابن حمادوش الجزائري»، مجلة مدارات تاريخية، المجلد 1، العدد 3، جامعة عبد الحميد ابن باديس، مستغانم، سبتمبر 2019، ص 393

² أبو القاسم سعد الله، أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، ج 1، طبعة خاصة، دار البصائر، الجزائر، 2007، ص 239، 240.

³ أبو القاسم سعد الله، على خطى المسلمين حراك في التناقض، ط 1، عالم المعرفة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2009، ص 39.

وإجلال، تزوج عدة مرات وأنجب أولادا غير أنه كان فقيرا ويعيش عيشة تقشف وزهد،¹ تلقى مبادئ تعلمه على يد أبيه وشيوخ بني ورتيلان وهكذا حفظ القرآن الكريم، درس الفقه واللغة وبقية العلوم الظاهر والباطن ولا يزال قبر الشيخ الورتلاني يزار إلى اليوم ببني ورتيلان التي كانت تضم زاويته ومدرسته ومسجده.²

زار تونس على أمل الذهاب إلى الحج ولكن لم يوفق فاغتنم الفرصة وتعرف على عدد من العلماء ودرس على البعض منهم عبد الله السوسي،³ وحج الورتلاني ثلاث مرات على الأقل الأولى سنة 1153هـ 1740 م والثانية سنة 1166 هـ 1752 م أما الثالثة 1179هـ 1765 م، ويبدو أنه كان يجمع أخبار الحجاز في كل مرة، غير أن الحجة الأخيرة هي التي حملته على كتابة رحلته بعنوان "نزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار" ولم يكتب الورتلاني رحلته بيده لكنه أملاها على تلاميذه ضمن 816 صفحة، ولذلك تعددت نسخها وكثر فيها الخطأ كما افتقرت إلى المنهج القويم وامتدت باستطرادات والتكرار، حقا هناك ما يدل على أنه كان يكتب مذكرات أثناء الحج لكي يستعملها في الرحلة أثناء عودته.⁴

وهذه الحجة الأخيرة هي عبارة عن رحلة حجازية وصف فيها رحلته إلى الديار المقدسة، ما شهدته من الأماكن والآثار ومن لقيهم من العلماء والأعيان وغيرهم. وقد طبعت في مطبعة بير فونتانة الشرقية في الجزائر العاصمة سنة 1908م وحققها الأستاذ محمد بن أبي الشنب وطبعت في جزأين،

¹ أبو القاسم سعد الله، أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، ج 1، المرجع سابق، ص 187، 188.

² عبد القادر صحراوي، «الرحلات الجزائرية إلى بلاد الحرمين من خلال رحلتي الجبائي والورثلاني»، جامعة سيدي بلعباس، الحوار المتوسطي، المجلد 9، ال عدد 1، مارس 2018، ص 46.

³ سديري سميحة، سعدان نور الهدى، الرحلات الحجازية لعلماء المغرب الأقصى والجزائر خلال القرنين

11-12 هـ / 17-18 م رحلة العياشي والورثلاني، نموذجا، مذكرة نيل شهادة الماستر، جامعة ابن خلدون،

تيارت 2016، 2015 ص 93.

⁴ أبو القاسم سعد الله، أبحاث وآراء، ج 1، مرجع سابق، ص 188.

أبرز فيها أهمية التاريخ على خلاف معاصريه من العلماء وأهل وطنه،¹ ورحلة الورتلاني إحتوت على معلومات ثمينة معتمدا كثيرا على وصف الطرق والمنازل، كما تدخل في تفاصيل هامة تتعلق بالمناسك وإشراف الحجاز وأحوال الأسواق والطرق والعلماء وأمراء الحج من جزائريين ومغاربة ومصريين، وقد عاش الورتلاني إلى سنة 1793م، وله في وصف الحرمين وصف ذاتي يكشف عن موهبته الإسلامية وعمق تجربته الروحية ولم يكتف بالحج شخصا بل أخذ معه زوجته وابنه وزوجة ابنه².

وصف الورتلاني مكة المكرمة بقوله "فدخلنا مكة فلم تغادرها في النفس ترحة وازالت عن الجفون كل فرجة فدخلتها في زحمة عظيمة كادت النفوس أن تزهق غير أن سرورها بالوصول إليها خفف بعض الآلام، بل قد زال التعب والنصب وكأن النفوس في وليمة عظيمة لا يعلمها وما فيها من الفرح إلا من منحه الله بل الأرواح قد تتخلى عليها..."، "وهذا دليل على تأثره بجمالها وبمناخها وهذا عند قوله، "فلم تغادرها في النفس ترحة..."، ومضى ذلك أن النفوس تتشرح لزيارتها³.

كما وصف جغرافية مكة المكرمة فيقول عن لسان شيخه السيد أحمد بن ناصر وعند رؤيته للبيت العتيق،⁴ "فشاهدنا البيت العتيق الذي تزيح أنواره كل الظلام، وقد تدلت أستاره وأشرق أنواره وقد شمر البرقع وعلى أسفاله حتى لا يكاد الطائف يناله بأنامله".⁵

¹ جلال إيمان، بن يونس منى، رحلة الحجاج الجزائريين من خلال كتب الرحلة في الفترة العثمانية 1518، 1830، مذكرة لنيل شهادة الماستر، إشراف مرجي عبد الحليم، جامعة محمد بوضياف، المسيلة 2023-2024، ص57.

² أبو القاسم سعد الله، على خطى المسلمين، مرجع سابق، ص40.

³ سيدي الحسين بن محمد الورتلاني، الرحلة الورتلانية الموسوعة بنزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار، ج 2، الناشر بمكتبة الثقافة الدينية القاهرة، ط1، 2008، ص 452.

⁴ بلال إيمان بن يونس منى، مرجع سابق، ص58.

⁵ سيدي الحسين بن محمد الورتلاني، مصدر سابق، ص452.

أما عن طوافه بالبيت فيقول: "وطفنا بالبيت للقدوم نوبنا هذه الحركات فألممناه ولم نبالي بما لنا في تقبيل الأحجار من الازدحام والمورد العذب كثير الازدحام وبعده أرقعنا ركعتين خلف المقام و عدنا للبيت فوقفنا بالملتزم و شربنا من ماء زمزم و دعونا في ذلك كله بالأدعية المأثورة فعاودنا بالحجر الإسلامي ناوين السنة السعي ,كما وردنا عنه عليه الصلاة والسلام فخرجنا لقضاء شعيرة السعي من باب الصفاء كما روي عن معادن الصفاء كما يصف لنا الورتلاني أيضا اشواط الكعبة والطواف بما يقوله "ومعي جماعة كبيرة تكاد أن تحصي أطوف بهم فعلمتهم كبقية الطواف ومن حجر البدء إلى السبعة الأشواط وكان البدء من الحجر الأسود غير أن من قبله أمره بالبدء من مكان يحاذيه ولا يتم الشوط إلا من ذلك المكان وكما أكملنا الأشواط السبعة صلينا ركعتين خلف المقام وبعد الفراغ منها

أكملنا الأشواط السبعة وأقمنا بالملتزم لأن الدعاء مستجاب فيه...¹.

كما خصص الورتلاني قصيدة في مدح الرسول صلى الله عليه وسلم تتألف من 500 بيت على وزن البردة وقصيدته الكواكب العر الفرقانية والشوارق الأنسية في شرح ألفاظ القدسية.²

تعود الشيخ الحسين الورتلاني عن الترحال داخل الجزائر وخارجها منذ صغره ويعبر عن ذلك بقوله "فإني قد جبلت عني حبها من صغري وقد كثرت مني شوقا وغربا وجوفا وقبله لا سيما عمالة الجزائر فإن قد خضتها وبحثت عن أهلها بحت شديدا تاريخا وسيرة وظريفة... فالشيخ رحالة منذ صغاره تنامت الرحلة بمراحل حياته حتى صار رجال بحق".³

¹ جلال إيمان، بن يونس منى، مرجع سابق، ص59.

² بلعربي عبد القادر، «الرحلة الورتلانية محطاتها ومصادرها المعرفية 1115هـ، 1713م/1193هـ، 1779م»، مجلة آفاق فكرية، مجلد5، العدد 6، 2017، ص85.

³ بلحاج ربيعة، النص والثقافية في أدب الرحلة عند الحسين الورتلاني، أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه، المركز الجامعي بلجاج بوشعيب، اشراف عيساني نصيرة، عين تموشنت، 2019، 2020م، ص59.

توفي الورتلاني بمسقط رأسه بين ورتلات مكان ولادته في شهر رمضان سنة 1193هـ 1779 م، وبعضهم قال عام 1194هـ عن عمر ناهز 68 سنة.¹

3 - رحلة أحمد المقرئ 1578-1632: هو أحمد بن محمد بن أحمد بن يحيى أبو العباس المقرئ التلمساني الملقب بشهاب الدين ولد بتلمساني سنة 986 هـ / 1578 م،² ينتسب إلى أسرة ذات علم وصلاح، تعود أصولها الأولى بلدة مقرة بمنطقة الحضنة بالشرق الجزائري استقرت بتلمساني وتولى أفرادها وظيفة القضاء والإفتاء والخطابة والإمامة ، وهذا ما ذكره المقرئ في نفخ الطيب بقوله "وتلمسان هذه هي مدينتنا التي علق بها التمام وقد نزلها من سلفنا عبد الرحمن بن أبي بكر المقرئ بن علي صاحب الشيخ أبي مدين الذي دعا له ولذريته بما ظهر فيهم قبوله وتبين..... وبها ولدت أنا وأبي وجدي وجد جدي"³ وقد بدأ بتأليف كتاب لم يتمه عن تاريخ تلمسان وأهلها سماه "أنواء نيسان في أبناء تلمسان وكان بذكر محاسن تلمسان وجمالها وهو في المغرب والمشرق وكان يقارنها بفاس ودمشق"، ولا غرابة في ذلك فهو بالإضافة إلى أصوله العائلية حيث أجداده ووالده وجمال تلمسان الطبيعي كان عمه سعيد المقرئ والذي أسهم في تكوين ابن أخيه تكويناً دينياً موسعياً، ونعتقد أن الغش الذي كانت به سكان تلمسان والعثمانيين هي السبب في هجرة المقرئ نهائياً من تلمسان إلى فاس⁴، فقد رحل من بلاده تلمسان إلى المغرب وخالط هناك السلاطين وبطانتهم ولكنه حيث شعر بالخطر من أحدهم هرب إلى الجزائر ومنها إلى المشرق وفي المشرق أكثر المقرئ من الاتصالات

¹ خديجة الغازي، عبد المجيد بوجلة، «رحلة الحسين الورتلاني في الجزائر والحجاز من خلال كتابة الرحلة الورتلانية»، مجلة دراسات تاريخية، مجلد 10، العدد 1، جامعة أبو بكر بلقايد تلمسان، الجزائر، 2022، ص 336

² المقرئ التلمساني، نفخ الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ترجمة إحسان عباس، ج 1، دار صادر، بيروت 1141هـ، ص 06.

³ ناصر دين سعيدي، من التراث التاريخي والجغرافي للغرب الإسلامي، تراجم مؤرخين ورحالة جغرافيين، دار الغرب الإسلامي، ط 1، 1999، بيروت، ص 327.

⁴ أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج 2، مرجع سابق، ص 212، 213.

وقلمه الخصب ولسانه الدرب يأهله لانه لذلك كما أن المقري أكثر من التردد على الحرمين حتى أنه كان يحج كل عام تقريبا مع ركب الحج المغاربي.¹

كان جده ابن عبد الله المقري قاضي الجماعة بفاس ودعه المفتي أبا السيد المقري أخذ عنه العلم وزين له طريق تحصيله وأجلسه إلى العلماء، كما حفّزه إلى طلب العلم بالسفر إلى فاس، هذه البيئة العلمية التي نشأ بها المقري، كانت إحدى العوامل الأساسية في نبوغه فأهله ذلك أن يكون أحد من رفع لواء العلم لبلاد المغرب الإسلامي، وفي مقدمة كتابه "أزهار الرياض" يشير المقري إلى بداياته الأولى في مجالس الدرس التي كان يتردد عليها أيام شبابه. فيقول "فقطعنا نبذة من الشباب في مواطن الأحباب ما بين دراسة ودراية ورواية وممارسة أمور يبتعد عن طريق الفواية وملازمة دروس ومثول بين يدي أشياخ ومجالسهم وقبل انتقاله إلى المغرب الأقصى إلى التلة من العلماء وفقهاء تلمسان والتحق بحلقات علمائها وذكر المقري في مؤلفاته بأنه درس في تلمسان على شيوخ إعلام وجمع رصيда معرفيا أكسبه مكانة علمية بين أفراد عرّف بذكائه وسرعة حفظه،² وقد كان المقري عرضة لعداء أهل فاس لمكانته المتميزة ومنزلته الخاصة والذين اتهموه بالميل إلى قبيلة الشراقية التي تعود أصولها إلى منطقة تلمسان والتي كانت تحظى بمنزلة خاصة لدى الشيخ محمد السعدي فقرر عند ذلك مغادرة المغرب وقد غادره عن طريق البحر من ساحل تطوان في شهر رمضان 1127 هـ 1617 م، مرة على مدينة تونس وسوسة وبلغ الإسكندرية ومنذ قصد القاهرة وأقام بها نحو شهر ثم توجه إلى الحجاز لأداء فريضة الحج 1028هـ 1618 م لم يحالف الحظ أحمد المقري في مقامه بالقاهرة فقد عاش حياة ظنك ومعاناة ولم يجد السعادة والاستقرار فظل يفزعه الشوق ويستبدله الحنين إلى تلمسان وفاس وجد المقري في الاشتغال بالتدريس برواق المغاربة بالأزهر والتفرغ للكتابة التأليف

¹ أبو القاسم سعد الله، على خطى المسلمين، المرجع سابق، ص38.

² إسماعيل فتحي، بن حامد سعديّة، «رحلة المقري 1041هـ، 1631م، ودورها في التواصل الثقافي بين الجزائر والحجاز»، مجلة المعيار، المجلد 15، العدد 1، جامعة محمد بوضياف المسيلة، الجزائر، 2024، ص 371.

والتردد على البقاء المقدسة والأسفار فدرس بالمسجد الأقصى عام 1037 هـ وأدى فريضة الحج خمسة مرات وجاور بالمكة المكرمة وأقام بالمدينة المنورة.¹

وفي شهر محرم من 1029 هـ 1026 م عاد المقري من الحرمين الشريفين إلى مصر،² ومنذ ذلك التاريخ أخذ يكرر السفر من القاهرة إلى الحرمين الشريفين وبين المقدس ودمشق وكان دخوله إلى مكة المكرمة للحج خمس مرات وزيارة المدينة المنورة سبع مرات، أما بين المقدس وفقد سافر إليها ثلاث مرات ودمشق مرتين وعند العزم العودة إليها والاستقرار بها في المرة الثالثة وفاه أجله عام 1632م فيكون بذلك المقري قد قضى حوالي 14 عاما منتقلا بين مصر والحجاز والشام كلها في طاعة الله وعبادته وتدريس العلم وتأليف الكتب ووضع المصنفات المختلفة وترك المقري ثروة هائلة من المؤلفات التي كتبها بتلمسان وفاس ومصر والحجاز والشام.³

أسهم الجزائريون مساهمة واضحة في كتابة الرحلات ولاسيما خلال الق 12م رغم الصعوبات الجغرافية والمخاطر التي واجهوها اثناء سفرهم الطويل وكانت بعض رحلاتهم نتيجة الحج، لذلك تكون رحلات حجازية وبعضها نتيجة لطلب العلم وبذلك تكون رحلات علمية.⁴

المسالك والطرف الحبية للحجاج الجزائريين " لقد كان الجزائريون مثلهم مثل المغاربة تحذوهم لهفة الشوق والحنين إلى زيارة البقاع المقدسة، منذ أن أصبحت بلادهم إسلامية، لهذا فقد كان يخرج من إيالة الجزائر في العصر الحديث ركب الحج واحد كل عام ويتشكل عن طريق تجمع العديد من قوافل الحج الفرعية القادمة من جميع أنحاء الإيالة من الغرب والوسط والشرق والصحراء للتجمع في مكان واحد وهو بسكرة،⁵ و التي كانت نقطة انطلاق الركب الحج الجزائرية، ولما كان ركب الحج

¹ ناصر الدين سعيدوني، مرجع سابق ص 328

² أبي العباس أحمد المقري، رحلة المقري إلى المغرب والمشرق، محمد بن معمر، منشورات خبر مخطوطات الحضارة الإسلامية في شمال إفريقيا، جامعة وهران، مكتبة الرشاد للطباعة والنشر، الجزائر، 2004، ص 07

³ المصدر نفسه، ص 8.

⁴ أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج2، مرجع سابق، ص 381.

⁵ عمار عمورة، الجزائر بوابة التاريخ ما قبل التاريخ، ج 1، ط1، دار المعرفة، الجزائر، ص 143.

المتوجهة إلى الحج في طريقه إلى الأراضي المقدسة يكون الركب الذي يخرج في السنة القادمة في طريق العودة بعد أن أدى فريضة الحج كثيرا وما يلتقي الركبان في تونس أو طرابلس.¹

حيث تنوعت مسالك وطرق الحج المغاربة بصفة عامة والجزائريين بصفة خاصة باتجاه أرض الحجاز واختلفت من عصر إلى آخر وهذا تبعا لظروف كل عصر وكل دولة من دولة لأخرى، ففي العصر الحديث كانت تتم فريضة الحج في الجزائر العثمانية عبر طريقين، الطريقة الأولى وهي الطريق البري، والطريق الثاني وهو الطريق البحري. حيث تخرج السفن قاصدة مكة عن طريق الإسكندرية أما الطريق البري فيتم عن طريق ركب الحجاج.²

أولا الطريق البري :

لقد كانت الوجهة الأساسية لركب الحج الجزائري في أداء فريضة الحج واستنادا لما ورد في الرحلات الحجازية وتتبع مسار الرحلة هذه فقد يقع الاختلاف والاتفاق بين الرحالة الجزائريون حول عدة نقاط منها نقطة الانطلاق، كذلك الطرق المتبعة أو مسار الرحلة، والثالث ذكر المدن والمواقع التي استقروا بها والتي وطنوها³

1-مرحلة الذهاب من الجزائر الى مكة

ومما تشترك فيه معظم الرحلات الحبية، هو خروجها يوم الخميس وهي عادة تقريبا عند كل الركب وهو ما تحدث عن الورتلاني حيث قال: «خرجنا يوم الخميس لما فيه من التيمن البركة»⁴.

¹ جلال إيمان، بن يوسف منى، مرجع سابق، ص 36

² أحمد بوسعيد، مرجع سابق ص7

³ الحسين الورتلاني، مصدر سابق، ص 60

⁴ إبراهيم بن بجمان المصعبي، رحلة المصعبي، تحقيق يحي بن بهون حاج امحمد، وزارة الثقافة للنشر، الجزائر، 2007، ص18.

وكذلك نجد عند رحلة المصعبي حيث كان انطلاقه من رحلة يوم الخميس 15 رجب 1696 م. والذي خط سيره في طريق الذهاب كالتالي بني يزقن إلى غرداية ثم فج وادي خالد ثم الجريد ثم الزاب ثم جربة ثم مصر لم مكة) وقد استغرقت رحلته ذهابا حوالي 120 يوما وإيابا حوالي 100 يوم والوصول كان في ربيع الثاني 1197 هـ أما خط رحلة الورثاني ذهابا وإيابا كان إنطلاقا من (مجانة ثم زمورة ثم بسكرة، ثم سيدي عقبة ثم زليتن ثم أولاد سيدي ناجي، ثم الحامة ثم توزر ثم طرابلس ثم ممرانة ثم سرت. ثم برقة ثم الإسكندرية ثم القاهرة. فالمكة وتشترك هذه الرحلات في نقطة إنطلاق من كل جهات الوطن، وهي انطلاقهم من بسكرة ثم منطقة الجريد وهي حاليا (وادي سوف) ثم تمر نحو توزر ثم تونس ثم صفاقس ثم قابس¹

وخلال دخولهم مصر فإن جميع الرحلات الحبية سواء منها الجزائرية أو غيرها تلتقي في محطة واحدة وهو درب المصري، ومعظمهم يفضلون هذا الطريق، ويمرون بعدة محطات حتى الوصول إلى مكة².

المحطات الى يستريح فيها الحجاج: أما عن أهم المحطات التي تجمع الحجاج فنجدها كثيرة، وكانت أشهرها مدينة الجزائر فكان المنادي ينادي الحجاج "من أراد فليأتي إلى هنا" فينطلق ركب الحجاج من ميناء الجزائر نحو ميناء الإسكندرية المصري. أما مدينة قسنطينة محطة أكثر تنظيما وأشهر المحطات، فتولت عليها قيادة الركب وتنظمها العديد من الأسر في هذه المنطقة، وبالتالي كانت قسنطينة محطة كبيرة تضم ركب الحجاج الى تتوافد عليها من الجهات الشرقية والوسطى. أما ركب الحجاج التي تنطلق من مدينة توات فتتطلق من نقطة إنطلاق وتلاقي جميع الركب الحبية، وكانت بسكرة مدينة مشهورة بتلاقي الركب³.

2 حنيفي هلايلي. أوراق في تاريخ الجزائر في العهد العثماني، ط1، دار الهدى للطباعة والنشر، الجزائر، 2008م، ص 502.

² إبراهيم بن بجمان لمصعبي، مصدر سابق، ص 18.

³ عبد الرحمن المجاجي، ادب الرحلات الاندلسية والمغربية حتى نهاية 9هـ أطروحة دكتوراه في اللغة العربية وإدائها، كلية الدراسات العليا، الجامعة الأردنية، 2006م، ص 48، 49.

الحجبة فكانت من أهم محطة يتوافد عليها الحجاج من مناطق الإيالة الجزائرية، فتنتقل من مدينة بسكرة ثم مدينة الزيبان ثم منطقة الجريد واد سوف حاليا ثم إلى تونس ثم صفاقس ثم جربة ثم يلتقون في مصر كما كان كل من حجاج مالي وسنغال يتوافدون على محطة بسكرة وينطلقون نحو منطقة الجريد وتونس وصفاقس وجربة ثم تلتقي كل الركب الحجية في منطقة مصر أو الدرب المصري ثم ينطلقون نحو الحجاز¹.

ب / مرحلة العودة من مكة إلى الجزائر، مرحلة الحجاز من مكة إلى المدينة المنورة: بدأ المجاجي رحلة عودته بعدما أكمل الحج متوجها إلى المدينة المنورة فتبدأ هذه المرحلة من واد فاطمة الزهراء ثم أبيار عرفان ثم نزوة ثم بدر ثم عريش مصطفى ثم جديدة ثم جبل المفرج ثم أبيار علي ثم المدينة المنورة.

من المدينة المنورة إلى مصر يمر بالينبوع ثم الوجه ثم النخيل ثم عجرود ثم رايع ثم عقبة ثم ظهر الحمار ثم مغارة شعبيب ثم عيون القصب ثم حورة ثم النبط ثم أبيار عنتر ثم العقبة ثم النابغة.

مرحلة مصر والاسكندرية: ويمر بمحطة البركة ثم باب الدرب ثم الإسكندرية

مرحلة من مصر إلى الجزائر: تبدأ من الخروج من مصر صحراء برقة و يمر فيها الحاج بعدة محطات وهي تميم ثم سروال (بمحاذاة البحر) ثم ابن غنية إلى ساحل حامد إلى طرابلس ثم قابس إلى قفصة ثم قيصران ثم زريبة حامد ثم واد منصف ثم سيدي عقبة ثم بسكرة إلى مليانة وصولا للأشلق ثم مجاجة² ويختلف الوصول حسب إنطلاق الركب فالمنطقة التي انطلق منها الركب يعود إليها بعد إتمام الحج ونظرا لطول الطريق البري بين الجزائر والحجاز فقد كانت القوافل تتوقف في الطريق عند بعض البلدان حتى يتم تجهيزها بكل ما ينقصها وكذلك أخذ قسط من الراحة لمواصلة رحلة الحج، فالقافلة تتوقف كل صباح وتنصب الخيام ليستريح الحجاج عدة ساعات وتقديم العلف للجمال وحول هذا الموضوع يفيدنا الرحالة جوزيف بس حيث قال "وبمجرد توقف القافلة كان عملي هو إشعال نار صغيرة و إعداد

¹الحسين الورثاني، مصدر سابق ص19

3 عبد الرحمان المجاجي، مصدر سابق، ص 48

القهوة...وبين الساعة الحادية عشر والساعة الثانية عشر نسلق طعاما للغذاء وبعد أن نتناوله نستلقي مرة أخرى ونظل نائمين الى حوالي الساعة الرابعة بعد الظهر وعندها تدق الطبول يكون معنى ذلك أن نجمع خيامنا و أن نحمل حمالنا على مواصلة الرحلة وفي وقت صلاة المغرب وكذلك وقت صلاة العشاء تتوقف القافلة للأداء الصلاة.¹

ثانيا: الطريق البحري: لم يقتصر ركب الحج من الجزائر إلى مكة، على الطريق البري فقط، بل أحد حظه من البحر والسفن كذلك، ويقصد بالركب البحري بجماعات الحجاج التي تسافر عبر البحر، ممتطية السفن الشراعية ووقتئذ، على أن الركب البحري لا يمكن قطع صلته بالركب البري. فرحلة الحج من الجزائر قد تبدأ برا ثم تقول الى البحر والعكس صحيح فركب الحج الجزائري قد يضطر إلى المساريين في رحلة حج واحدة. لقد تمكن الجزائريون بفضل انضمامهم للدولة العثمانية من ضمان ممر إضافي لرحلاتهم نحو الحجاز، على خلاف الركب المغربي الذي ظل برّيا في الأساس، إنه ممر مهم قد يضطر إلى اجتيازه بصفة جماعية أثناء الطوارئ والنكبات، مثلما حدث في أحد المواسم حيث تعزز السفر إلى الحج برا، لسبب وباء شديد في الجزائر فلجأ الناس، على غير العادة، معظمهم إلى الذهاب للحج برا.وعندما تكون السفن جاهزة للإبحار نحو ميناء الإسكندرية، ينادي المنادي في مدينة الجزائر معلنا ميعاد إقلاعها، فينتهز كل من نوى الحج في ذلك العام الفرصة بسعادة للسفر بحرًا. لكن تلك السعادة مشوبة بحذر خوفي من تقلبات البحر.²

لقد كان الناقلون البحريون للحجاج أوروبيين في الغالب، فإن ميناء حلق الوادي بمدينة تونس قد تفوق على بقية الموانئ، في إستقبال ونقل الحجاج الجزائريين والمغاربة، وأضحى هذا الميناء في أواخر القرن 12/18 هـ يضاهاى مواني أزمير وإسطنبول والإسكندرية. فيستقبل سنويا اثني عشرة سفينة مخصصة لنقل الحجاج و التجار منه الى ميناء الإسكندرية، في حين لا يستقبل ميناء مدينة الجزائر

¹الحسين الورثيلاني، مصدر سابق، ص 23

² المصدر نفسه، ص 23

سوى أربع سفن فقط لذلك الغرض وذلك سبب موقع ميناء الجزائر وبعده النسبي، وكذا تحرش بعض البلدان الأوروبية له باستمرار.¹

لقد تم كراء مركبين كبيرين في إحدى الرحلات البحرية أحدهما إيطالي والآخر إنجليزي لنقل الحجاج الجزائريين المسافرين عبر ميناء تونس وجميعهم حجاج من الجهات الشرقية. وذلك أن الحجاج الجهات الشرقية كانوا أكثر الجزائريين توافدا على ميناء تونس، نظرا للقرب الجغرافي، وللعلاقات المتميزة بين باي تونس وباي قسنطينة، وقد شارك الرحالة الورثيلاني في توديع ركب كبير من حجاج الجزائر المنطلقين من جبل زواوة والمجتمعين لاحقا بقسنطينة، القاصدين تونس لركوب البحر²

لقد اشتهرت الجزائر العثمانية بأسطولها الحربي دافع الصيت، وكان من ضمنه عشرات السفن الخاصة بالنقل والشحن كانت توجه في الغالب للأغراض الدبلوماسية العسكرية³.

ومن بواكير نشاط البحرية الجزائرية في العهد العثماني أن سفينة جزائرية هي من حملت مبعوثي السلطان المغربي السعدي أحمد المنصور الذهبي وهديته ورسالته إلى السلطان العثماني مراد الثالث في سنة 1589 م إنطلاقاً من ميناء تيطوان باتجاه ميناء إسطنبول. كما سيق الرحالة الزياني مثلاً عن النشاط العسكري قائلاً: "فنزلت من مصر للإسكندرية، إذ أخبروني أن مراكبها وردت من الجزائر، موسوقة بالزرع للأزامير، ومنه تحمل العسكرية للجزائر"⁴.

لكن ذلك لا يعني انتقاء السفن الجزائرية المخصصة لنقل الحجاج، بدليل وجودنا ناقلين جزائريين خواص، مثل الرايس الحاج أحمد بن سماية الذي امتلك مركبا سعته 230 فرداً. والرايس الحاج أحمد

¹ أحمد الشريف الزهار، مذكرات الحاج أحمد الشريف زهار نقيب أشرف الجزائر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، سلسلة دوائر المغرب العربي، 1974 م، ص 11

² الحسين الورثيلاني، المصدر السابق، ج 1، ص 8

³ على بن محمد التمكنوتي، النفحة المسكية في السفارة التركية، المطبعة الملكية، الرباط، 2002 م، ص 7

⁴ المصدر نفسه، ص 8.

بن سماية الذي امتلك مركبا سخته وسخر سفينته لحل الحجاج وصدقات فقراء الحرمين الشريفين سنة 1205هـ/1693م¹.

صفات الحاج الجزائري: تميز الحاج الجزائري بحبه لدينه وتمسكه به، كان يسعى دائما للذهاب لأداء فريضة الحج رغم الصعوبات التي واجهته خلال فترة الرحلة، إلى أنه كان صبورا و متمسكا بحلمه حيث أنها كانت بمثابة فرصة لا تعوض للتقرب من الله عز وجل.

كل هذه القداسة لفريضة الحج لذا الجزائريين جعلتهم يحرصون عليها حتى في أحلك الظروف وأصعب الأوقات والأزمنة حتى أثناء الفترة الاستعمارية رغم المنع والتضييق، ومحاصرة هذا الحاج الذي تعنته بجميع الصفات السلبية كما ورد في الصحف الاستعمارية قبل الحرب العالمية الأولى وما بين الحربين التي تعطيها نفارا على هذه العدا والخوف من فريضة الحج والحجاج، فقد اشتكى المعمرون في مواسم الحج من زحف جميع الحجاج من الأرياف إلى المدن الساحلية الذين تعنوا بجميع النفوس السلبية بأنهم تأتون شعه غبرا في قمة القدرة، كما تجمع المصادر أن غالبية الحجاج الجزائريين كانوا من ميسوري الحال ومنه من كان من القياد والأغوات والباشوات والشخصيات الدينية والبعض منهم شارك في الحج في العديد من المواسم كما شهد تقارير أخرى أن غالبية من الحجاج الجزائريين كانوا من ذوي البنية القوية وذلك بسبب شروط الواجل توفرها في الحجاج المفروضة من طرف القوانين الاستعمارية، كما جاء في تقرير فرنسي يصفون نظرة الحجازيين الى الحاج الجزائري باعتباره صحيح البنية نظيف ميسور الحال جميل الهيئة والهندام كثيره الجود والصدقة كما يعرفون بارتدائهم الملابس البيضاء، وهناك تقارير أخرى مناقضة وصفت الحاج الجزائري بالكسول الذي يتحرك حتى لرمي القاذورات بعيدا عن مكان إقامته في الحجاز مما ساهم في نقل العدوى والأمراض، كما كان أكثرهم يفضلون النوم إضافي في السفن والمستشفيات بالرغم من وجود الأسرة².

¹ أحمد بوسعيد، مرجع سابق، ص 75

² هوارى قبائلي، مسألة الحج في السياسة الاستعمارية الفرنسية بالجزائر 1894 - 1962م، أطروحة لنيل درجة الدكتوراه في التاريخ، كلية العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية، اشراف بوعلام بلقاسمي، جامعة وهران، 2013-2014م، ص 228، 230.

وبالنسبة لآداب الحجاج الجزائريين فكانت من أهم صفاتهم أعمال البر والاستمرار في التخلف يخلف رمضان الكريم بعد الخروج منه، ثم المرحلة الثانية وهي الإستعداد الروحي للحج من أجل تطهير النفس والتخلص من العادات السيئة الرذيلة حيث أن الحجاج الجزائريين قبل الحج كان مملوء بالذنوب والسيئات وأن مقصد الحج هو التطهر والتنقية من هذه الذنوب من أجل الدخول للحج طاهر ونقي، كما امتاز الحجاج الجزائريون بالتكتم رغم المعاناة التي يلقونها خلال هذه الرحلة الشاقة وأثناء إقامتهم في الحجاز فلم يكن الحج الجزائري يتماشى مع الظروف كأنها عقيدة راسخة فيلتزم الصمت حول الحالة الاجتماعية والاقتصادية في الحجاز وحول الحكومة هناك، ولا يتكلم عن المعاناة النفسية والجسمية التي تعرض إليها من شعب كان يرى بأنه شعب الله المختار، كذلك ازداد تكتما بحجة عدم إخبار السلطات الاستعمارية بذلك التي يمكن أن تتخذ ذلك رديعه السلطات الاستعمارية بذلك التي يمكن أن تتخذ ذلك رذية في الطعن عن الإسلام والتصنيف أكثر من الحجاج، حيث كان الحاج الجزائري بمجرد وصوله إلى أهله ينسى كل المشاكل والمتاعب والمشاق، ويبدأ في سرد هذه الرحلة المقدسة ويحكي لأهله متعة الرحلة، في البلد الحرام وشوقه للعودة إليه كما امتاز الحجاج الجزائريين بكرههم لكل البدع والمحدثات التي كانوا يرونها زيادة في الدين وتعبيرا فيه¹.

كما كان يفرض الاستقبال حيث لا يقبل دفع الرشاوي التفتيش وعلاوة من أجل الحصول على مختلف الخدمات وهناك تقرير يصف الجزائريين بالطيبة ورقة القلب ولكن بمجرد أن تمشي على أقدامهم يتحولون إلى متوحشين²، هذا بالإضافة إلى بعض السلوكيات السلبية التي تتفاوض مع القيم والأخلاق والدين الحنيف حيث اشتكى الورتلاني في رحلته إلى بعض المخالفات من بعض الحجاج الجزائريين في الماضي مثل عدم إحترام القيم الدينية والأخلاقية وإثارة المشاكل والسكر وحتى السرقة كما أشار إلى أن بعض النساء كان يتصرفن بشكل غير لائق، وقد أدى هذا إلى كره بعض الشعوب لهم مثل المصريين، لكن هذه التصرفات كانت حالات فردية وليست ممثلة لكن الجزائريين حيث قال أما الركب الجزائري فلا حكم عندهم أصلا ولا يقفون عند الأمر والنهي لا سيما أهل عامر فما فرقهم أحدا في

¹ جلال إيمان، بن يونس منى، مرجع سابق ص 53.

² هوارى قبايي، مرجع سابق، ص 230 ، 231 .

هواهم إلا ليغضوه وجعلوه عدو لهم وقد أصابتني منهم عداوة عظيمة من أجل أمرهم بالسنة والأحكام الشرعية لاسيما السير بسير الشيخ أمير الركب والنزول بنزوله وشرناهم لأنهم يذهبون كشوفات العورات ويبدون زينتهن لكل الناس وقد سمعنا ببعض الفاسقات تعترف بنفسها للرجال،¹ كان هذا في زمن الورتلاني خلال القرن 17 م لكن تواصلت هذه الحالات التي يمكن أن تسميها بالمعزولة لا يمكن تعميمها.²

المبحث الثالث: حجم الركب الجزائري ومراحل سيره

تعتبر ظاهرة الحج ركن من أركان الإسلام لذلك اهتم الجزائريين بأداء هذه الفريضة وذلك من خلال حرصهم على السفر لأداء هذه الفريضة على أكمل وجه وفي ظروف جيدة من خلال تنظيم حجم الركب الجزائري بهدف ضمان السير الحسن أثناء الرحلة بالنسبة للحجاج المتوجهون نحو البقاع المقدس

حجم الركب الجزائري وأسباب التباين في عدد الحجاج:

حيث أخذ حجم الركب الجزائرية يزايد بشكل ملحوظ في مواسم القرن 11 هـ 17 م حيث بدأت ضخامة الركب تظهر من خلال المسافة بين بداية الركب أي في المقدمة وبين نهاية الركب أي إلى نقطة إنتهاء مسير الركب وذلك من خلال استحوازه على مساحه واسعه أثناء نزوله أو عبوره،³ وهذا ما أقر به الرحالة المغربي العياشي عن ركب الحج الجزائري وصوره في المشهد التالي قائلا "وقصدنا الجابية والركب الجزائري أمامنا يتراءى لأولنا آخرهم وفي اليوم الثالث نزلنا الجابية عصرا ومررنا بهم وهم نزول فبعثوا إلينا أن تأخروا عنا حتى نرحل أما منكم فأنف أصحابنا من ذلك فتجاوزوا الجابية ولم ينزلوا بها ولا عرجوا عليها".⁴

¹الحسين الورثيلاني، مصدر سابق، ص 623.

²هوارى قبائلي، مرجع سابق، ص 236.

³هوارى قبائلي، مرجع سابق، ص 118.

⁴العياشي الرحلة، ماء الموائد، ليبيا طرابلس وبرقة، دار المعارف، الإسكندرية، ص 496.

أما مرحلة موسم الحج في القرن الموالي 12 هـ 18 م مثلت هذه المرحلة تزايد وتنامي في أعداد الحجاج وذلك نظرا لانتعاش وتحسن الوضع الثقافي والاقتصادي بالجزائري عامة،¹ حيث قدر الرحالة الورثيلاني عدد الحجاج الوافدين على الركب مع قافلة منطقة الزواوة قائلا "وجاءنا الركب ومن جبل الزواوة نحو 300 رجل،² وهذا من منطقة الزواوة فقط وليس العدد يشمل كل الحجاج الجزائريين ومنه العدد سيكون أكثر من هذا بالآلاف أو يزيدون على ذلك.

كما حدث في موسم حج 1193هـ 1779 م وذلك بعد وصول الأركاب المغاربة في أزمت متقاربة إلى مصر ماجت مصر وهاجت في أيام خروج الحج بسبب الأطلاب وجمع الأموال وطلب الجمال والبغال والحمير ولم يعهد حج مثل هذه السنة في كل شيء، وسافر فيه خلائق كثيرة من سائر الاجناس.³

كما شهد في أواخر سنين الحكم العهد العثماني في الجزائر خاصة في عهد حسن باشا وبعد شهرين ونصف من ولايته أمر تسريح المراكب للحج، وعين أمين بيت المال أمينا على الصرة ودفع له مال الصدقة التي تدفع كل سنة لفقراء الحرمين الشريفين، وفي هذه السنة ذهب الناس أفواجا للحج،⁴ وتوافدوا بأعداد كبيرة على مصر في موسم حج 1233 هـ 1818 م والانتقال لأداء فريضة الحج في وهران وفي أثناء اليوم الأول من رحلته رأى محي الدين المئات من العرب الذين يطالبون مشاركته في رحلته المباركة، وأصبحوا يجتمعون في مراكز الإنطلاق من الغرب الجزائري بالآلاف ويقيمون بحرا من الخيام حول خيمة أمير الركب⁵ ومنه هكذا كان حجم الركب الجزائري وعدده.

حيث تبدو الإحصاءات بخصوص حجم الركب الجزائري تقديرية وذلك نظرا لتعدد منافذ الحجاج وصعوبة ضبط الأعداد قبل الوصول الى الحجاز حيث يقول جوزيف بتس joseph betts في رحلته عن أن قوافل الحج تتوقف في كل مدينة تمر بها، وذلك من خلال إعطاء أوامر يصدرها أمير الحج

¹ أحمد بوسعيد، مرجع سابق، ص 116.

² الحسين الورثيلاني، مصدر سابق، ج 2، ص 496

³ أحمد بوسعيد، مرجع سابق، ص 119.

⁴ أحمد الشريف الزهار، مصدر سابق، ص 144.

⁵ هنري تشرشل، مصدر سابق، ص 43.

أمرا لها بالتوقف في كل مدينة لتييح الفرصة لمن يرغب الإلتحاق بالقافلة حيث يستقبل أهل المدن الحافلة التي تتوقف بكل بهجة نظرا لمكانتها الدينية.¹

أما الأعداد الإجمالية للحجاج المسلمين الواقعية في صعيد عرفات سنويا فقط كانت تتراوح ما بين 70,000 و 100,000 حاج ومع توفير شروط أمنية لضمان حماية القافلة بشكل رسمي من خلال إعطاء تكاليف انتقال و إعانة لألف جندي مكلفين بحراسة القافلة،² ومنه نستنتج أن عدد الحجاج الجزائريين المسلمين قد حققوا نسبة متباينة في موسم الحج واستطاعوا أن يقدموا استقلالية وخصوصية لركب الحج الجزائري وتنافس مع باقي الأركاب المغاربية الأخرى وحرصه على ضمان وصول الحجاج والحجيج مع مختلف عوائد واللوازم المخصصة للرحلة إلى البقاع المقدسة.

مواقيت خروج ركب الحج الجزائري:

لقد كان موعد خروج ركب الحج الجزائري يخضع لعدة عوامل ومنها جهة تجمع الركب وإتمام التحضيرات وحجم الركب , شخصية أمير الركب طريق السفر في المقاطع الأولى البر والبحر لكن الخروج الأساسي بالنسبة لمعظم الحجاج الجزائريين يكونوا عقب انقضاء شهر ربيع الأول أي بعد المولد النبوي الشريف بالجزائر وذلك تيمنا وتبركا, حيث يشير الرحالة الفلالي القبلوي إلى خروج الركب في الشهر الموالي لربيع الأول قائلا "وخرجنا من عين صالح ضحى يوم الإثنين الموافق 11 ربيع الثاني حيث كان الخروج من منطقة القبائل الصغرى في أحد مواسم الحج في ركب كبير وذلك بداية شهر جمادى الثاني وأيضا شبيهة بذلك الخروج في موسم آخر عندما غادر الركب منطقة توات أقصى الجنوب الجزائري يوم الاثنين الأخيرة من شهر جمادى الثاني السابق لشهر رجب،³ حيث يقول أبو ناصر الدرعي "وهذا الزمان الأول حيث يبكر الحجيج للخروج من ديارهم فيخرجون بإثر أكل طعام

¹ جوزيف بتس، مصدر سابق، ص 22

² روبير مانتتران، تاريخ الدولة العثمانية، ج1، ترجمة بشير السباعي، دار الفكر للدراسات النشر والتوزيع القاهرة، 1993، ص 562، 563.

³ أحمد بوسعيد، مرجع سابق، ص 121.

المولد النبوي، فتكون معهم فسحة فيسيرون سيرا معتدلا يلائم ويوافق الراحل والراكب، وأما هذه الأوقات يؤخرون الخروج إلى رجب ولا يسعهم إلا إزماع السير إزماعا وإلا عوقوا فيفوتهم الحج،¹ كما وصلت قافلة رسمية إلى تونس تضم حجاجا من قسنطينة يوم 15 رجب 1193 هـ 1779 م، لكي تسافر من مينائها لاحقا إذن ومنه كان خروج ركب الحج الجزائري في رجب يلائم الركب البحري خاصة ولا يلائم خروج ركب الحج البري والذي يستغرق هذا الأخير ويحتاج إلى شهور من السير حتى يصل البقاع المقدسة مع بقيه الحجاج المغاربة الوافدون لأداء فريضة الحج²، ومنه نستنتج أن مواقيت خروج الجزائريين وركبهم كانت في بداية رجب وذلك نظرا للتحكم في مدة السفر، فكان رجب هو بداية موسم ورحلة الحج لركب الجزائري، أصبح يمثل الموعد والوقت الأساسي لبداية الرحلة نحو مكة حيث يقول أبو القاسم الزياتي "وكان لأهل هذه المملكة اعتناء عظيم بالأشهر الثلاثة رجب وشعبان ورمضان"³.

المراحل التي يقطعها ركب الحج الجزائري:

لقد اعتمد ركب الحج الجزائري أثناء رحلته لأداء فريضة الحج على الوحدة الرئيسية المستخدمة لقياس أبعاد الطريق إلى الحج المرحلة، فيقال غالبا من محطة من محطات الطريق، وصلها ركب بعد زمن من السير "ووصلناها بعد كذا مرحلة وتعادل المرحلة المسافة التي يقطعها المسافر في يوم مشيا على الأقدام، أو على الدواب سيرا معتدلا معتادا، أما حسابيا فتقدر بعشرة من الفراسخ،⁴ وبما أن الفرسخ ثلاثة أميال والميل تقريبا 1.6 كلم أو 1.8 كلم فإن المرحلة بضرب الأبعاد $10 \times 3 \times 1.6 = 48$ كلم وهي مسافة تقريبية، بسبب وجود بعض الارتياب في المعطيات المعتمد عليها، حيث إعتاد ركب

¹ أبو العباس أحمد بن محمد بن ناصر الدرعي، الرحلة الناصرية 1709-1710، دار السويدي للنشر والتوزيع أبو ظبي، الجزء الأول، ط 1، 2011، ص 172.

² أحمد بوسعيد، المرجع السابق، ص 121

³ أبو القاسم الزياتي، الترجمانة الكبرى في أخبار المصور برا وبحرا 1734 - 1833، ترجمة عبد الكريم الفيلاي ط 2، دار النشر للمعرفة والتوزيع الرباط 1971م، ص 173.

⁴ الفرسخ: معناه في اللغة السكون واحد من الفراسخ وهو لفظ فارس مغرب، يعادل ثلاثة أميال وقيل سنة بذلك لأن صاحب إذا مشى واستراح من ذلك كما سكن ينظر: ابن منظور، لسان العرب، دط، تحقيق عبد الله الكبير وآخرون، دار المعارف، القاهرة، ص 3381.

الحج الجزائري أن يبدأ مسيره اليومي بعد طلوع الفجر وأداء صلاة الصبح، ولا ينزل إلا مع اقتراب موعد العصر، وهذا من أجل أداء صلاة الظهر والعصر جمعا وقصرا وبعد الاستراحة يواصلون السير ثم المبيت عقبة جمع صلاة المغرب والعشاء حيث كان الجزائريين يضعون من النزول علامة رواحهم إذا طلب منهم ذلك في محطة من المحطات أول النهار، وكما أن كل من أخذ موضعه ومكانه وموقعه في الرحلة فإنه يبقى محافظا عليها طيلة فترة الرحلة وعند نزول الحجاج يتسرعون في الأشغال المعتادة من بناء الخيام وحط الرحال ورعي الإبل وجلب الماء وإعداد الطعام وتأمين الحراسة. وعلى العموم فإن الركب الجزائري لا يمكن ضبط مدة رحلته للحج بزمن دقيق بل تبقى الأمور تقديرية وذلك

بسبب مجموعة من العوامل والمؤثرات التي يتبين حجم تأثيرها على الحجاج من ركب لآخر ومن تلك العوامل ومنها مدة الركوب الى الراحة قبل وبعد قطع المراحل المشهورة بصعوبتها وأيضاً كثرة محطات طريق الحج التي يمر عليها ركب الحج الجزائري وذلك من أجل قضاء حوائج الحجاج واستبدال رواحهم سواء المدن الكبرى المشهورة أو المعابر المنازل التي تزدهر بمناسبة موسم الحج وهذا كله يؤدي إلى تعطيل وإطالة سفر ركب وطول المسافة وتغيب الحجاج عن أوطانهم لأزمة مديدة.¹

ومنه نستنتج أن ركب الحج الجزائري قد كان مميز وذلك من خلال تميزه عن باقي الأركاب المغاربية الأخرى حيث كانت تتراوح بين شهري ربيع وجمادى في الغالب أعظم رحلات ركب الحج الجزائري وخروجه لتأدية فريضة الحج وذلك كضمان الوصول في الأوقات المناسبة وكان ركب الحاج يعتمد على وحدة قياس خاصة وهي المرحلة ويعتمد عليها الحجاج الجزائريين في استغلالها للأوقات الراحة وذلك من خلال فراغ بين المرحلة والمرحلة التي تليها، وهكذا يكون رفض الحج الجزائري قد حقق أداء فريضة الدينية الإسلامية في أكمل وأجمل وأميز وجه برؤية الحرمين الشريفين وطرق حول الكعبة الشريفة.

¹ أحمد بوسعيد، مرجع سابق، ص 122، 123.

المبحث الرابع: الصعوبات والتحديات التي واجهت الحجاج الجزائريين خلال رحلتهم الحجبة

واجه الحجاج الجزائريين خلال رحلتهم الحجبة العديد من الصعوبات التي جعلت من سفرهم شاقا ولم يكن سهلا خاصة مشقة الطريق عبر الصحاري هذا إضافة إلى خطورته ولكن كل هذه التحديات لم تمنعهم من خوض رحلتهم.

1-مشكل الأمن: يعتبر مشكل الأمن من الصعوبات التي كانت تواجهه القوافل سواء كانت هذه المسالك برية أو بحرية فكثيرا ما كانت تتعرض لهجمات من قبل اللصوص وقطاع الطرق،¹ فكان النهب والسرقة والاختلاس حيث كانوا يسرقون بالليل ويخطفون بالنهار وقل من سلم منهم من الحجاج خصوصا المغفلين الذين لا خبره لهم بأحوالهم، فقد كانوا يتبايعون مع الناس ويخطفون من أيديهم المبيع ويذهبون به فقليل ما يلحق بهم لكثرة الازدحام وقد غسل الحجاج ثيابهم ونشروها وجلسوا عليها يحفظونها فإذا رأى أحدهم غفلة صاحبها وثب عليها كالنسور فاخطفها ومر هاربا وقع ذلك كله لكثير من الحجاج،² لذلك ظل توفير الأمن في الطريق الهم الأول للحجاج وذويهم بسبب كثرة اللصوص والمجرمين والأشرار على طول طريق الحج والخطر الداهم الذي كان ينقض على الحجاج سفرهم ليستعدون لمواجهة في كل موسم حج وهو هجوم قبائل الأعراب على ركب الحج.

لقد كان الحجاج الجزائريون يضطرون إلى إقتحام الأهوال في سبيل الوصول إلى الحرمين الشريفين يكفي ذلالة على تلك الأهوال المشهد الذي عاينه الورثيلاني ومن معه من حجاج الركب الجزائري بعد أن تعرضوا لهجوم³ الإعراب⁴، قطاع الطرق المسلحين من الصبح إلى قرب العصر، فطالما إشتكى الحجاج من بعض القبائل المغبرة على ركبهم باستمرار ومن كثرة شرها وإبدائها لهم ومن تلك القبائل

¹جلال إيمان، بن يونس منى، مرجع سابق، ص 45.

²ابن ناصر الدرعي، الرحلة الناصرية 1709- 1710 م/ 1121هـ 1122 هـ، ج 1 ط1، تحقيق عبد الحفيظ ملوكي، دار السويد للنشر والتوزيع، الإمارات، 2011 ص 162.

³أحمد بوسعيد، مرجع سابق، ص 146.147.

⁴ الأعراب هم الرحلات وغيرها بدو والرحل من قبائل العرب غالبا ما يشيع ذكرهم في معظم كتب الرحلات وغيرها من المصادر المشرقية والمغربية الحديثة باسم العرب أو العربان. ينظر: أحمد بوسعيد، مرجع سابق، ص 146.

المذكورة عرب النمامشة في إقليم بايلك الشرق حيث كانوا للركب بالأدى ثم يهربون إلى الصحراء وهذا الاعتداء على الحجاج بغرض سلب أموالهم وأملأهم ورواحلهم، وقد كاد قطاع الطرق غالبا ما ينجحون في تحقيق أهدافهم نتيجة انتهاجم أسلوب المباغته.¹

المعيقات الطبيعية: هذا بالإضافة إلى عامل الأمن نجد عامل آخر طبيعي كان عائق أمام رحلة الحجاج فتلخص المعلومات الجغرافية في وصف الطريق الصحراوي الدولي الذي أصبح يسمى بالمحجة أو المحجة الكبرى بمعنى أنه الطريق الرئيسي للحج حيث أن العياشي إختار عنوان "ماء الموائد عنوانا لرحلته ويقصد به تعبيرا عن رحلة العطش خلال الصحراوات القاحلة كما في صحراء بلتة حيث يقال عليها غرقة ولا برقة وصحراء التية بين مصر وسواحل الجنوب الشام وإلى جانب العطش كانت القوافل تواجه القحط والمحل وقلة الزاد،² فندرة الماء كانت من أهم المصاعب والمتاعب التي واجهت الركب وأقلقته أثناء الرحلة فحين يجدون الماء يتوقف الحجاج يتزود به ويسقوا الحيوانات وكانت أصعب المناطق درب الحجاز الذي يحتوي على مياه مالحة كما عان من شدة الحرارة.³

كما ذكر المكناسي في رحلته البحرية الحج أنه بعد وصوله تيطوان لم يتمكن المركب التقدم لشدة هيجان البحر في ذلك الأوان وقد كان فصل الشتاء وقد أتى من الأمطار المتوالية والرياح المتراسلة بما أتى طال مقامهم بتاطوان أربعة أشهر ونصف لا يستطيع الخروج من كثرة الأمطار والطين ولا الهبوط،⁴

¹ أحمد بوسعيد، مرجع سابق، ص 149

² أبو سالم العياشي، مصدر سابق، ص 31.

³ بكري حمزة، دادة محمد، «ركب الحج الجزائري من خلال رحلتي الحسين الورثيلاني وعبد الرحمن المجاجي»، مجلة عصور الجديدة، مجلة محكمة صنف مجلد 10، عدد 01، جامعة وهران 1، أحمد بن بلة، 30 مارس 2020م، ص 306.

⁴ محمد بن عبد الله الوهاب المكناسي، رحلة المكناسي، أحراز المتعلم والرقيب في حج البيت الله الحرام وزيارة القدس الشريف والخليل والتبرك بقبر الحبيب 1785 م، تحقيق محمد بوكبوت، ط 1، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 2003، ص 51.

كما ذكر أنهم كانت رحلتهم إلى الحج عن طريق قرطاجنة¹ إلى أن الريح كان غير موافق فبقوا يترددون به في البحر شهرا ويومين حتى تغير الماء وتأذى الناس من شربه،² إضافة إلى الصعوبات المتعلقة بطبيعة التضاريس متميزة في صعوبة المسالك حيث كابد الحجاج في طريقهم الحجارة والرمل وما يضعف عن الاحتمال واكتألت فيه النعال والجمال ويؤكد عبد السلام الناصري في قوله "ثم ارتحلنا ووقعنا في صبة عظيمة وما تعديناها حتى قارب الزوال"، ونفس الوصف سجله أبو الطيب الشرقي في منطقة بسكرة حيث أنها تهاطلت عليهم أمطار غزيرة وغمرتهم مياه الوادي حتى أتلفت الكثير من المناعب وأحيانا تفيض الأنهار وتشكل أودية جارية فيضطرون الى اجتيازها بصعوبة حفاة الأرجل وهذا ما حدث للمجاي وركبه كما يصفونه نوع آخر من المصاعب ترتبط بطبيعة الأرض التي يمشون عليها فتارة تكون صخرية وتارة أخرى تكون ضيقة المسالك لأنها أراضي جبلية تجعل الحجاج كأنهم في دوامة يشق فيها مشي البشر ما يفرض عليهم التخلي عن العديد من الرواحل فإذا خرجوا منها حمدوا الله تعالى واستدل ذلك في قوله:³

أصاب الحجاج فيها عثر وشدة

فيا لها من طريق صعب سلوكها

رحلنا جبلا ليست فيه سهولا⁴

وصرنا أيضا من ثم طول نهارها

معاناة الحجاج الجزائريين بسبب مستجدات الأوضاع:

إضافة إلى الصعاب الطبيعية والبشرية فقد كانت الركب تمر بمناطق تعاني من اضطرابات اجتماعية وثورات ومعارك وصراعات بين قبائل تؤدي إلى هلاك أعداد هائلة من البشر وهو ما يجعل الركب على

¹ قرطاجنة: مدينة على الساحل المتوسطي لإسبانيا بناها حدر بعل القرطاجي سنة 221 ق.م وظلت عاصمة لإسبانيا البونيقية حتى الغزو الروماني، ينظر: محمد بن عبد الوهاب المكناسي، مصدر سابق، ص51.

² المصدر نفسه، ص 55.

³ سعاد آل الشيخ، «طرق ومسالك أركاب الحج المغاربة بالجزائر العثمانية»، مجلة دراسات تاريخية، المجلد 10، العدد 1، جامعة غرداية، الجزائر، 2022م، ص223.

⁴ المرجع نفسه، ص 223.

المحك عند وصوله إلى هذه الأقطار زيادة على الرعب الذي تبثه في صفوف الحجاج، بالإضافة إلى تعرض الركب للنكوس والابتزاز من قبل حكام بعد الأمصار مثل ما ذكره "المصعبي"¹ إبراهيم ابن دحمان "عن الابتزاز الذي تعرض له في مصر في فترة حكم "إبراهيم باشا" الكبير حيث كان يحتاج شيوخا كبيرا أو شخصية مرموقة ويطلب من مرافقيه فديته ليترك سبيله،² لذلك عان ركب الحج الجزائري من اضطرابات سياسية وفتن داخلية المتجددة التي كانت في الولايات العثمانية بسواحل البلاد المغاربية خاصة، رغم قيام الخلافة العثمانية الإسلامية ومحاولات سلاطينها وولات إيالاتها لتوفير الحماية للحجاج والرعايا، غير أن ولات الأقاليم الأتراك خالفوا توجيهات سلاطينهم فمثلا قام والي بولاق ضواحي القاهرة بالتعدي على ركب الجزائر حيث أمسك جماعة من الحجاج والقاهم في السجن ولم يخلي سبيلهم الا بعد ان اخذ منهم المال³.

الجانب الصحي للرحلة: كان الوضع الصحي من أهم المصاعب التي واجهت الحجاج الجزائريين ، حيث أن كانت بعض المناطق موبوءة بأمراض فتاكة تهلك القوي وتقضي على الحياة في بعض الحالات،⁴ منها الطاعون الذي ذكر في رحلة "جوزيف بتس" Joseph btts "الذي كان منتشر في القاهرة حيث كان الطاعون يحصد الناس حصدا حيث قيل قضى على 6000 خلال أسبوعين لذلك أسرعوا في مغادرة القاهرة إلى الرشيد ومن الرشيد إلى الإسكندرية حيث وجدوا السفينة من الجزائر على استعداد نقلهم إلى هناك وقد صعد على ظهر السفينة بعض الأشخاص المصابين به قسرى الطاعون

¹المصعبي: هو إبراهيم بن دحمان بن أبي محمد بن عبد الله ابن عبد العزيز التميمي المصعبي، توفي 1817 م، له رحلة حجازية منظومة بالشعر الفصيح. ينظر: محمد بن موسى باباعمي وآخرون، معجم اعلام الاباضية، تحرير محمد صالح ناصر، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1421هـ/2000م، ص 532.

²دهان سليمان ولويس مصطفى، «تنظيم ركب الحج الجزائري خلال العهد العثماني بين قليلة المقدس والتواصل الحضاري»، ج مجلة أفكار وآفاق، عدد9، جامعة حسيبة بن بوعلي، الشلف، جامعة الجزائر 2، 2017، ص 62.

4 أحمد بوسعيد، مرجع سابق، ص 167.

⁴دهان سليمان، نويصرة مصطفى، مرجع سابق، ص 62.

بيننا وقد شفي البعض ممن أصيبوا وألقوا في البحر حوالي 20 جثة توفوا بسببه،¹ وبمجرد وصولهم الى السواحل الجزائرية حاصر الطاعون "جوزيف بتس" لكنه نجا بفضل رعاية الله،² وبسبب هذا الوباء كان الحجاج يصطدمون عند الوصول إلى مكان عامر باستنكار أهله خوفا من الوباء حتى أن الولاة يمنعونهم من الدخول احتراسا من نشر العدوى التي ينقلونها معهم بسبب ارتجالهم واختلاطهم بمختلف الأجناس.³

خلال رحلة الحج من فيليب فيل الى جدة التي امتدت من 12 ماي الى 1 جوان عبر البحر المتوسط حيث ظلت درجة الحرارة رطبة للغاية خاصة في اليل مما أدى ظهور العديد من التهاب الشعب الهوائية ، بعضها كان مصحوبا بنوبات الحمى الشديدة ما أدى الى وقوع خمس وفيات باستثناء حاج واحد يبلغ من العمر 32 سنة ، لكن بعد 3 أيام توفي ،ومن بين حالات الوفيات الأربعة نحصي حالتها وفاة مفاجئة لشخصين مسنين ،احدهما يبلغ 80 عام والآخر 70 عام، احدهم توفي اثناء شرب القهوة اما الآخر الذي كان بصحة جيدة في اليوم السابق تم العثور عليه ميتا في الصباح وتوفي الثالث بكل اعراض التهاب الرئوي المزوج. كان المرضى الذين تم استدعائهم للعلاج الحجاج يعانون من الحالات التالية: احتقان رئوي، انزعاج رئوي مصحوب بحمى، التهاب الملتحمة، التهاب الجفن، التهاب الأمعاء الخفيف وكان سبب احتقان الرئة هو درجة حرارة الرطوبة في البحر المتوسط⁴. وقد فرضت فرنسا إجراءات للوقاية من الامراض ويظهر هذا في رحلة جورجيفا "georgieff" ⁵ حيث كان تنظيم النقل وكانت المساحة المخصصة في السابق في هذه السفينة جورجيفا واحدة من اكبر السفن التي نقلت

¹ جوزيف بتس، مصدر سابق، ص 75.

² المصدر نفسه، ص 76.

³ جلال إيمان، بن يونس منى، مرجع سابق، ص 47.

⁴ Ferdenard jousseaulme, un voyage perberins algeriens a la mecque. Imprimerie central du nidi (hamelin frères). Montpllier. 1894, p7.

⁵ جورجيفا وهي السفينة التي كانت تستخدم خلال فترة الاحتلال الفرنسي لنقل الحجاج الجزائريين الى البقاع

المقدسة. ينظر: Ibid, p9

الجزائريين الى مكة المكرمة في عام 1893م¹ وربما كانت السفينة التي كانت اقل ازدحاما بالركاب من خلال تحديد انه يجب على السفينة ان توفر لكل فرد بغض النظر عن العمر مساحة لا تقل عن 2 متر مربع هذا الاجراء يخفض عدد الركاب المسموح لكل سفينة بنقلهم الى النصف تقريبا سيسمح بمراعاة الشرط التالي يجب ان يبقى سطح السفينة خاليا من الأشياء الضخمة اثناء العبور ويجب تخصيصه ليلا ونهارا للركاب على متن السفينة واتاحته مجانا لهم ,كما يجب تخصيص مستوصف منشأ بانتظام تزفر شروطا جيدة من السلامة والصرف الصحي للمرضى ويجب ان يستوعب 5 اشخاص على الأقل لكل 100 حاج على متن السفينة بمعدل 3 امطار مربعة لكل فرد.²

القوانين الفرنسية: هذا إلى الجانب الصحي كانت القوانين الفرنسية من ضمن الصعوبات التي واجهت الحاج خلال رحلته الحبيه مثل قانون 1894 م المنظم لعملية الحج خلال رحلته في شكل مرسوم نشرته جريدة المبشر، هذا القرار نجده يحتوي على مواد ففي مادته الأولى يشترط أن يمتلك الحاج قيمة التذكرة المقدرة بألف فرنك مع ضرورة تسديده من مختلف الضرائب المستحقة اتجاه الدولة.³

ولم تقم الإدارة الاستعمارية بمنع الحج لأن هذا سيهدد ويزعزع مكانتها نظرا ما تمثله هذه الفريضة بالنسبة للجزائريين إل أنها حاولت تأطيره الإشراف عليه من خلال سلسلة من القوانين تميزت بالتضييق قدر الإمكان على الجزائريين وإصدار قوانين تمنع الرحلة لأداء فريضه الحج لأنفقه الأسباب.⁴

¹ Ferdenard jousseaulme, OP CIT, p36

² Ferdenard jousseaulme , IBID ,P37

³ محمد الأمين رحمانى، «رؤية الإدارة الفرنسية لمسألة الحج الجزائري وموقف الجزائريين منها»، مجلة القرطاس، عدد 11، جامعة الجيلالي ليابس - سيدي بلعباس، جانفي 2019م، ص 28

⁴ هوارى قبائلي، «ظاهرة الحج الغير النظامي في الجزائر في الفترة الاستعمارية 1830 1954م»، مجلة محكمة، دار الملك عزيز، ع 2، جامعة وهران، الجزائر، ص 68.

الفصل الثالث: السياسة

الاستعمارية تجاه فريضة الحج

المبحث الأول: نظرة الاحتلال الفرنسي لشعيرة الحج

عمل الاستعمار الفرنسي منذ دخوله إلى أرض الجزائر على محاربة الدين الإسلامي فيها مستعملا شتى الوسائل والأساليب للقضاء على الهوية الوطنية الإسلامية باعتبارها تشكل محور أساسي في تحريك الشعب الجزائري من بين هذه المؤسسات الدينية التي عملت السلطة الفرنسية على محاربتها هي فريضة الحج باعتبارها الركن الخامس من أركان الإسلام والتي كانت تمثل الجانب الروحي والمعنوي الهام في الشخصية الإسلامية عموما والجزائرية خصوصا لذلك عملت على التضييق عليه.

1- الإدارة الاستعمارية والنظرة السلبية لفريضة الحج الجزائري:

لقد كانت مسألة أداء الحج فريضة الحج في الجزائر بالنسبة للإدارة الفرنسية عملا سلبيا وهذا يرجع إلى عدة أمور ومن بينها:

1-1 المقاومة ومشاعر التعصب:

لقد عملت السلطة على منع فريضة الحج وذلك لأن الحج في نظرة الفرنسيين يزيد الحجاج تعصبا وقد أعلن الأميرال "ديقيدون" 1871 Digidon - 1873 م صراحة بأنه لن يرخص في الحج لأن الحجاج يرجعون أكثر كراهية للفرنسيين،¹ وتغيرت هذه السياسة بعض الشيء في عهد الجنرال "شانزي" shanzi إلى أن فرنسا ظلت تمنع الحج وتتنظر إليه نظرة سلبية وذلك لأن الحج يولد في النفوس ويبعث فيها روح الإيمان لدى الحجاج فإنه تلقائيا تولد لديهم فكرة الكره للآخر الذي يخالفك في الدين وهي الفكرة التي علق عليها شارل روبر أجيرون بقوله: «يخالفك في الدين هذه الفكرة مسبقة جاهزة لم يكلف أحد عناء التحقق منها لأن الحجاج الجزائريون يزدادون شراسة وإصرارا في محاولة التخلص من المحتل» كما كانت فرنسا تضع في حسابها للمعتمرين الذين طالبوا بعدم إعطاء الرخص لأداء فريضة الحج تخوفا من انقلاب مواجهة شعبية كما نجد أن الجنرال لا فيجيري قد احتج على حج سنة 1876

¹ أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، مرجع سابق، ص 403.

لسكان جرجرة عندما رخصت الإدارة الاستعمارية لهم بذلك وهذا كله يصب في غاية واحدة وهي التخوف من تفتن الحجاج ومحاربة المحتل الاستعماري وخير دليل على ذلك هو تمتع اليهود والمسيحيين آنذاك بالجزائر من ممارسة شعائهم الدينية ومنع الجزائريين من ممارسة حريتهم الدينية الإسلامية،¹ ومنه هذا كله كان أمر مخطط له من قبل رؤساء وقادة الاحتلال الفرنسي منذ الوهلة الأولى التي وضعت أقدامهم فيها الجزائر.

1-2 فك العزلة والحصار على الجزائريين والتضامن معهم:

كان الحج بالنسبة للإدارة الاستعمارية يمثل لهم أداة لفك العزلة والحصار على الجزائريين وذلك من خلال الرحلات التي يقومون بها قصد أداء فريضة الحج و التخوف من إقامة علاقات صداقة وكثرة التحدث عن السياسة الفرنسية في الجزائر على أن فرنسا تظهر الجزائريين وهذا من خلال الملاحظات التي أبداهها جبرفي المهمة السرية لدى شريف مكة،² وهو الأمر الذي كان يخوف الإدارة الاستعمارية لذلك اصدر الحاكم "جبرفي" 31 أوت 1858م قرار يقضي بتقليص عدد الحجيج إلى مكة قدر الإمكان، بكيفية تمكن من اجتتاب انخراط الحجيج في الطرق الدينية التي تجهر بعداوتهم لهيمنتها وبكيفية تمكن من إجهاض أي فرصة تسمح بنسح علاقات مع المحرضين اللاحقين للبلدان الإسلامية، وإلى جانب القرار الذي أصدرته جريدة المبعثر في 15 فيفري 1858م عن تأثير الحجاج الجزائريين بالعوامل الخارجية وتحريضهم على رفض الطاعة والولاء للسلطة الفرنسية وكذلك عن التضامن في المملكة العربية السعودية التي كان ينظمها الملك سعود في قصره بجدة مع وفود الحجيج لإبداء التضامن مع الشعوب الإسلامية المستعمرة وبما في ذلك الجزائر،³ وكانت بمثابة نقطة لتوجيه الشعوب المستعمرة والرغبة في الإستقلال لهذا كان الحج مصدر تخوف لدى السلطات الفرنسية.

¹ محمد الأمين رحمانى، مرجع سابق، ص 188

² أبو القاسم سعد الله تاريخ الجزائر، الثقافي، ج4، مرجع سابق، ص 406

³ محمد الأمين رحمانى، مرجع السابق، ص 189

1-3 الحفاظ على سمعة فرنسا:

لقد كانت فرنسا تتخوف من سمعتها إزاء الجرائم والسياسة المجحفة التي تبنتها أثناء احتلالها على الظلم و التعسف الذي سينقلها الحاج الجزائريون إلى مختلف البلدان والأماكن وهو ما جعلها تحارب وتمنع الحج حيث يقول محمد البشير الإبراهيمي فإذا كانت تعتبره في الحج تخوفا من تشهير الحاج السياسي بسياستها والتتديد بها بين المسلمين فقط أخطأت تقدير فإن مسلمي الشرق لا يحتاجون الى من يندد بسياسة فرنسا وظلمها ولا يحتاجون إلى من يكشف لهم عن مساوئ الاستعمار الفرنسي فهو يحملون من ذلك كله فوق ما تعلم لأن من ذاقه منهم ذاق السهم الزعاف, ومن سمح عنه سمع ما يصم الآذان ويسيل العبارات.¹

1-4 عدم عودة الحاج الجزائريين:

كانت فرنسا ترى بأن الجزائريين الذين يقومون بأداء مناسك الحج يفضلون البقاء في البقاع المقدسة وعدم العودة إلى الجزائر والبقاء تحت سيطرة فرنسا واعتبرتها إساءة لسمعتها حيث يقول أبو القاسم سعد الله في كتابه تاريخ الجزائر الثقافي أن منع الهجرة ومنع الحج وعدم استفادة فرنسا من حوالي 50,000 جزائري يعيشون في العالم الإسلامي وهذا كله من علامات الضغط,² حيث كانت كل من الحجاز والشام مركز دعم بالنسبة للجزائريين ومكة والمدينة المنورة وذلك لأن الجزائر كانت تخصص أوقاف تسمى أوقاف مكة والمدينة المنورة,³ وهذا كله لأن بعض الجزائريين كانوا يذهبون إلى الحج عن طريق رخصة من قبل الإدارة الفرنسية وهذا كان نتيجة تسجيلهم لاستيلاء على الأراضي إلا أنها في الأخير تقطنت وتداركت الوضع سريعا, حيث قام القناصل بإرسال تقارير يطالبون فيها من حكومتهم التدخل لمنع الهجرة الفوضوية كما سموها لأنها تسيء إلى سمعة فرنسا لدى الدول ولاسيما الدولة العثمانية

¹الإبراهيمي محمد البشير أثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي 1954-1964، جمع وتقديم الإبراهيمي أحمد طالب، الجزء الثالث، دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولى، 1997، ص 76.

²أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج 5، مرجع سابق، ص482.

³المرجع نفسه، ص482.

وإنجلترا،¹ وهكذا كانت فرنسا متخوفة من زعزعة مكانتها واسمها وهيمنتها أمام باقي الدول والبلدان من مختلف الأقطار التي تجول العالم كله.

2 الإدارة الاستعمارية والنظرة الإيجابية لمسألة الحج:

لقد استغلت فرنسا ركب الحج الجزائري كأداة لخدمة مصالحها الاستعمارية واستطاعت أن تحصي جملة من الأهداف وفق ما يخدم أغراضها الاستعمارية ومن بينهما .

1-2 كسب الرأي العام الإسلامي:

لقد استغلت فرنسا فريضة الحج لتمليح صورتها أمام العالم الإسلامي، وهذا من خلال إرسال وفود حج رسمية من طرف فرنسا وكذلك نظمت رحلات حج رسمية أشرفت الإدارة الفرنسية عليها وخصوصا خلال الحرب العالمية الثانية لكسب الرأي العام الإسلامي لصالحها ومحاولة امتصاص غضب واضطهاد الشعوب المستعمرة².

2-2 تحقيق النفوذ في المنطقة العربية: حيث كانت فرنسا تدرك غياب أي تأثير لها بمنطقة الحجاز وذلك مقارنة بالحضور الإنجليزي في المنطقة حيث يقول جيرفي أن تأثير فرنسا السياسي والتجاري نسبة معدوم في الحجاز، وهم يقولون أن النحس قد أصاب الجزائر وتونس بتسلط فرنسا عليهما ووقوعهما في أيدي النصارى وفرضت عليهم الضرائب الثقيلة... إلخ هذه هي الصورة السوداء التي وجدها جيرفي عن بلاد في الحجاز ولذلك عملت فرنسا على ربط علاقات تجارية مع هذا البلد وبذلك أوصى بأن تنشر فرنسا في أوساط مكة مناشير حول تونس والجزائر تذكر فيها بما قامت فيها من تقدم، وبذلك تتطور علاقات فرنسا السياسية والتجارية مع الحجاز وكي تفتح المجال التجاري والسياسي مع المشرق وخاصة الحجاز، عن طريق إستغلال فريضة الحاج لتلبية وتحقيق مصالحها، وفي عهد الحاكم العام "شارل جوناو" الذي أظهر نوع من التسامح مع المسلمين الجزائريين في مجال الحج فقد كتب أحد

¹ محمد الأمين رحمانى، مرجع سابق، ص 190.

² المرجع نفسه، ص 191.

الفرنسيين مشجعا على الحج باعتباره سيعطي نتائج إيجابية لفرنسا وقال هذا الكاتب "إن الحاج الجزائريين يرجعون دواويرهم ويقارنون بين ما رأوا في الحجاز وما يعيشونه في الجزائر، ففي الشرق سيجدون التعصب والكحول وسيجدون الجنود عاجزين عن وقف الهجوم"¹.

على كسوة الكعبة وأعلن "جونار" سنة 1907 عن الترخيص بالحج وقيام الإدارة بالتزاماتها الدينية نحو الجزائريين ثم تعرض للمنع نتيجة أسباب صحية كما جاء في الإعلان. وفي سنة 1917 حدث تطوران هامان: الأول هو إنشاء الفرنسيين لجمعية الأوقاف الأحباس والأماكن المقدسة الإسلامية وكان الهدف منها جلب المسلمين وإرضائهم خلال الحرب ورئيسها هو قدور بن غبريط، وكانت الجمعية وسيلة فرنسية للتدخل في الحجاز وفلسطين بعد أن شعرت فرنسا أن الإنجليز قد خططوا لحصر الفرنسيين في لبنان وسوريا فكانت الأوقاف والحج وسيلة سياسية لنشر التأثير الفرنسي في مناطق التأثير الإنجليزي وبن غبريط من رجال الإدارة الفرنسية المخلصين لها.²

مهمة ليون روش: عاش بمدينة الجزائر منذ سنة 1832 وتقلد عدة وظائف في الإدارة الاستعمارية وأهمها المهمة التجسسية على الأمير عبد القادر سافر صوب الحجاز في 6 نوفمبر 1841م، وهذا في قافله حج برية تضم 400 حاج ودخل المدينة المنورة في 22 ديسمبر وكانت مهمته الحصول على فتوى من العلماء هناك تنص على معاونة المسلمين للكفار الذين غزوا بلادهم بالقوة وبالفعل حصل روش على مراده قبل فراره وعاد إلى الجزائر في جوان 1842.

مهمة جبرفي كورتيلون: كان مدينا عكس ليون روش الذي كان عسكريا وكان الغرض منه الحصول على فتوى دينية مجددا واستغلت موسم الحج عام 1893 ومهمته تمثلت في حصوله على فتوى تحد من حركه الهجرة التي كانت مستفحلة في تلك الفترة بالإضافة إلى ما تم اعتباره مواجهة الجامعة الإسلامية التي كان يقودها جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده.³

¹ أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج 4، ص 406، 408.

² المرجع نفسه، ص 412.

³ محمد الأمين رحمانى، مرجع سابق، ص 194.

ومنه نرى أن النظرة السلبية للإدارة الفرنسية كانت عالية على النظرة الإيجابية وذلك أن فرنسا في بدايتها كانت تعمل على التضييق على الحج ومحاولة محاربته بشتى الوسائل بالرغم من أن النظرة الإيجابية تجاه فريضة الحج كانت تخدم فقط مصالحها الاستعمارية ومحاولة تلميع صورتها أمام الرأي الإسلامي فكانت تارة تسمح للحج بطرق مدروسة وتشريع قوانين ممارسة تخدم فئة المناصرة لها غرار باقي فئات المجتمع الجزائري الذين كانت فرنسا تستغل رحلاتهم لأداء فريضة الحج لاستغلاله لصالحها وبسط نفوذها وخدمة لأهدافها بالجزائر وخارجه وبسط نفوذها وكذلك اعتبرت الحج فرصة لكسر هيمنة أعدائها الإنجليزي في المشرق العربي تحت قناع الزيف المتسامح مع الدين الجزائري وتلميع صورتها ومكانتها وسرعان ما تحولت هذه النظرة الإيجابية المزيفة إلى نظرة سلبية بصفة كبيرة حاكمة على الدين الإسلامي وخاصة الحج الذي كان يشكل حاجز أمام احتلالها للجزائر وللعقول الإسلامية بصفه خاصة.

2-3 الحج في سياسة فرنسا:

اعتمدت فرنسا على حج صحية لتقييد حرية الحج منذ عام 1848 م وذلك بهدف حمايه الحاج الجزائريين من أوبئة الطاعون والكوليرا فأصبحت بسبب هذا الذهاب للحج يكون برخصة أي يكون خاضع لترخيصات من قبل الإدارة الفرنسية وفي عام 1884م أدى إلى تقدم حقيقي نحو التخفيض التدريجي لرحلات الحاج وبوصول جول "كامبون" إلى منصب الحاكم العام 1891م قام هذا الأخير بتخفيف موقف السلطات تجاه الحج باسم سياسة سكان الأهالي فتم السماح برحلات الحج الثلاث التالية حتى أن جاء وباء 1893م الذي ساهم في فرض الحجر الصحي والتقليص من الرحلات بسبب الوباء وأيضا نتيجة الهجرة المتزايدة من الجزائريين نحو المشرق استشرع الفرنسيون من الخطر الذي يهدد أمنهم¹، من بين الإجراءات والشروط التي فرضتها الإدارة الاستعمارية على الأهالي الجزائرية الذين يريدون القيام بهذه الفريضة وهو ما نص عليه قانون 10 ديسمبر 1894 م بأن يدفع الحاج مبلغا من المال كرهن وضرورة الحصول على جواز سفر خاص بالحاج كما صدرت عام 1907 م الشروط

¹نبيل شريخي، مرجع سابق ، ص272.

التي يتحتم على الحجاج الخضوع إليها وهي حصول على جواز سفر من سلطات العمالة تبرير حيازة مبلغ مالي قدره 1000 فرنك وإحضار كفيل أو ضامن قادر على الوفاء بالدين بالإضافة إلى إثبات وضعية عائلته وأنها خارج الحاجة¹.

إن كل هذا يهدف إلى الحد من فريضة الحج وغلق قوانين وشروط تعزيزية تقف في وجه الجزائريين وتمنعهم من أداء الفريضة والبقاء داخل الجزائر المستعمرة وكل هذه الآراء السلبية حول فريضة الحج تبين بوضوح مدى خوف سلطات الإحتلال من أثر هذه الرحلة المقدسة العابرة للحدود والمتخوفة من أثارها على عقول الحجاج الجزائريين وكان لابد من هذا التشويه الممنهج و البحث عن سبل أخرى لنيل من عقيدة الجزائريين وذلك عبر بث التفرفة والتمييز بين مكونات الشعب الجزائري، وذلك بدءا من ابتداء الأسطورة البربرية Myché Kabyles وأعمال الفرد بيل Alféd bell ورونيه باسيه Rene basset شاهدة على ذلك واعتبار الدين الإسلامي الدين المفروض من طرف المحتل العربي،² ومنذ البداية لم تغفل السلطات الاستعمارية لمخاطر هذه الرحلة الدينية على مصالحها وظلت تراقب حركات الحجاج وترسل الجواسيس ليزودنها بالأخبار معتقدا عربيا متخلفا معاديا للتحديث والعصرنة ورأت في الحاج ذلك المتشرد الذي تلح السلطات الاستعمارية على محاصرته حيث يصف الصحفي بول لا فيث Paul la fitte الحاج بعد عودته بما يلي ويبقى كامل حياته رجلا متخلفا ورافضا لكل محاولتا التقرب منه،³ وكل محاولتا لمخاطبة روحه، وهكذا كانت فرنسا تنتظر لفريضة الحج الجزائري وتمنعه منذ البداية لأنها تعمل على القضاء على الإسلام ونشر المسيحية محاربة الدين الإسلامي.

كما عالجت جريدة البصائر جانب تنظيم الإدارة الاستعمارية لفريضة الحج، حيث عالجت كيفية التحصيل والإجراءات التي يجب أن يقوم بها الحجاج الحصول على رخصة السفر إلى الحج حيث

¹ نبيل شريخي، مرجع سابق، ص 273.

² هوارى قبائلي، مرجع سابق، ص 30.

³ المرجع نفسه، ص 24.

جاء في المقال أما التكاليف اللازمة في حق الحجاج الراغبين في السفر مع الباخرة الفرنسية الرسمية أو كيفية الحصول على تذكرة السفر، حيث احتوى هذا الإعلان على مجموعة من الشروط التي وضعتها الإدارة الفرنسية أثناء تنظيم الحج في الجزائر وأهمها:

طلب تصريح من السيد عامل العمالة وهذا الطلب يجعل قيمته أربعة فرنكات ويبحث إلى شيخ البلدة أو حاكم الحوز رئيس الملحق وصحبته ما يلي:

- شهادة حسن السيرة الذاتية ونسخة من دفتر الجنايات

- شهادة من رئيس الحوز شيخ البلدة وغيرها، أن عائلة الحاج لا يحق بها ضرر بسبب ذهابه.

- شهادة طبية من طبيب محلف أو من الإدارة الصحية تاريخها على الأقل عشر أيام قبل ذهاب مضمونها أن الحاج ملقح من العيضة والوباء الجدري، وعندما تكون هذه الشهادات مجتمعة يعطي التصريح للحاج بمجرد تقديمه ورقة كراء في الباخرة من سمو الوالي العام لعموم الجزائر،¹ وهذه الشروط كلها تعجيزية وتبقى مجرد حبر على الورق ولم تطبق منها فرنسا أي غاية في خدمة وتحسين رحلة الحج إلى البقاع المقدسة.

- كما ذكر محمد البشير الإبراهيمي الشروط التعزيزية التي وضعتها الإدارة الفرنسية من أجل انتقال كامل المسلمين لتأدية هذه الفريضة البراءة من التعمم والإجراءات المدينة والسياسية وما هو الإجرام المدني إنه السرقة وأكل أموال الناس بالباطل. ولا نقول الزنا وشرب الخمر لأن قوانين الاستعمارية تبيحها الإجرام السياسي حب الوطن والعمل على نفع أبنائه وبغض الاستعمار والعمل لمقاومته لهذا تعتبره الإدارة الاستعمارية مانعا من أداء الواجب الديني.²

¹ «كيفية التحصيل على رخصة الحج»، عيون البصائر، السلسلة الأولى، عدد 51، 15 جانفي 1938، ص 7.

² محمد البشير الإبراهيمي، أثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، الجزء الثالث، عيون البصائر، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1997، ص 75.

كما جاء الإعلان الصادر سنة 1937م تحت عنوان الحج الى بيت الله الحرام، حيث نظمت الجمعية الإسلامية الفرنسية لنقل حجاج شمال إفريقيا إلى البقاع المقدسة مع توفير سبل الراحة من أطعمة وبيوت الصلاة ورايو لسماع الأخبار وتوزيع جريدتين باللغة العربية على متن باخرة مندوزة من أجل ضمان راحة الحجاج وكذلك الاهتمام بالعناية الصحية للحجاج حيث يسافر مع الحجاج ثلاثة أطباء لمعالجتهم الأدوية اللازمة مجاناً،¹ وكل هذا من أجل تلميع صورتها وكسب دعم وتأيد في الحجاز والتنافس مع بقية الدول خاصة إنجلترا والدولة العثمانية وكسبت ثقة الحجاج لضمان العودة وعدم الخروج سيطرتها والتمرد عليها.

المبحث الثاني: القوانين والتشريعات اتجاه الحج

شهدت فترة الاحتلال الفرنسي للجزائر تدخلات واضحة في شؤون الدين الإسلامي خاصة ما تعلق بأداء فريضة الحج حيث فرضت عليهم قوانين لتنظيم حج الجزائريين بهدف مراقبة والسيطرة عليهم ومن بين هذه القوانين:

- قرار العام 1830 وهو أول قرار صدر في الجزائر يمنع عن الحج وذلك سبب عدم رجوع الجزائريين إلى الجزائر، بعدما فظّلوا الهجرة والاستقرار في الشرق على العيش في ظل سلطة الكافر.
- وبين سنوات 1840 1860 حاولت فرنسا مرة أخرى استدراك الأمر من خلال سن قوانين تسمح بالحج إلا من هم فوق السن 40 لكسب ود سكان من جهة وعدم دفعهم إلى الثورة من جهة أخرى، نظرا لما تكتسبه هذه الشعيرة من أهمية في أركان الإسلام فكانت عملية الحج يتم تحت مراقبة السلطات الاستعمارية عن طريق إرسال مراقبين في شكل مرافقين للحجاج حيث حتى ينقل الأخبار.

¹ «الحج إلى بيت الله الحرام، سنة 1355. 1937»، عيون البصائر، السلسلة الأولى، 1 جانفي 1937 ص 6.

➤ قرار 20 جويلية 1845 وهذا القرار ألزم الحجاج بأخذ تصريح من أجل أداء فريضة الحج وهذا القانون تم العمل به إلى غاية 1914م إضافة إلى قرار 20 جويلية 1845، الذي يقوم على مصادره السلطة الحجاج عن عودتهم خوفا من أي ثورة مختلفة.¹

➤ **إبتداء عام 1848** عاودت الإدارة الاستعمارية عمليات تضيق الخناق على الذهاب إلى الحجاز وإخضاع هذه العملية لمعايير سياسية حيث كانت الأولوية في الذهاب للحج لرجال الدين الرسميين وشيوخ الزوايا مع إلزام البعض بتقديم تقارير مفصلة بعد العودة كما تم اشتراط هذه السنة حصول الحجاج على جوازات السفر ولهذا السبب تناقص عدد الحجاج،² كما اشترطت فرنسا في هذا القانون على الحجاج امتلاكهم مصادر مالية كافية للسفر إلى الحج لاجتناب وقوعهم في أزمة مالية فيفرض على الدولة الفرنسية إرجاعها على حساب خزينتها. كما فرضت الرقابة على مكاتب الحج للتقليل من إعداد الحجاج،³ هذا بالإضافة إلى قرار 25 أفريل 1853 م الذي اشترط على الحاج إستخراج جواز السفر مع إثبات استطاعته المادية والجسدية من أجل الحج،⁴ كما اشترط قانون 1855م التصريح مسبقا عن السلاح الذي بحوزته قبل ذهابه ونوع السلاح،⁵ ثم جاء قرار 16 أكتوبر 1858 م الذي حاول التقليل من الالتزامات المفروضة على الحاج لمنح جواز السفر وبذلك تم التخفيف من المنع شيئا ما،⁶ ولقد تغيرت عقلية فرنسا وتعاملها من الحجاج الى الأسوء عندما لاحظت بعض التعصب على الحجاج الجزائريين العائدين من البقاع المقدسة التي اعتبرت الحج حسب مراسلة وزارية بتاريخ 26 سبتمبر 1864م، أصبح مسألة سياسية وليس دينية بالنسبة للجزائريين وهو ما

¹ سعاد مصطفى، «القوانين الفرنسية الخاصة بالحج وموقف الجزائرية منها 1830 1930»، مجلة التاريخ العالم العربي، جامعة الجزائر 2، أبو القاسم سعد الله، الجزائر، ص 20.

² هواري قبائلي، مرجع سابق، ص 175

³ وضاح نوفل، مرجع السابق، ص 175.

⁴ سعاد مصطفى، مرجع سابق، ص 21.

⁵ هواري قبائلي، «سياسة فرنسا في الجزائر تأطير فريضة الحج نموذجا 1939 1984»، المجلة الجزائرية

للمخطوطات، العدد 12، جامعة مصطفى إسطنبولي معسكر، جانفي 2015 م، ص 264.

⁶ هواري قبائلي، مرجع سابق، ص 150.

يفسر تناقص منح جوازات السفر الخاصة بالحجاج وهو ما سنوات الستينات من القرن 19 م وأصبح جواز السفر محل مقايضة بحسب الولاء والطاعة لفرنسا،¹ في حين تم الترخيص بالحج سنة 1873م فاندفع الناس اندفاعا شعبيا اضطرت الإدارة إلى تجديد عدد الحجيج 1500 حاج جزائري كما منع السفر إلى الحج عام 1874م بسبب انتشار وباء والكوليرا والطاعون في ليبيا والحجاز، وكذلك الأمر بالنسبة لموسم الحج عام 1877م بسبب الظروف السياسية وقد رخص بالحج في سنوات 1875 1876 1878 م.²

وتقد تقرر من عام 1881 م إلى مطلع عام 1868م حظر السفر إلى الحج لاعتبارات المألوفة وهي انتشار الأوبئة وتوتر العلاقات الدولية في الرأي العام الأوروبي الذي أظهر على الدوام تخوفا من الحج سوف ينتابه الفزع ان تحقق السفر، ذلك ما ورد في بعض المناشير سنة 1882 م ونظرا للهزائم الذي لاحقت الإنجليز في الصعيد المصري أعلن "تريمان" Triman من جديد عام 1884م ثم منع السفر من جديد إلى غاية 1891.³

وبالنسبة للحج في سياسة كاميون 'Gambon' الذي فتح الطريق إلى مكة للمسلمين الجزائريين هي إشارة قوية وفورية إلى التحول في السياسة الاستعمارية الفرنسية وبهذا برهن على رعاية فرنسا وقدم نفسه مدافعا عن حقوق المسلمين كما استطاع أن يجسد فكرة أن فرنسا كقوة إسلامية من خلال جعل الحج رمزا لحسن النية الفرنسية اتجاه الإسلام حيث حاول إستغلال الحج لإقامة علاقات مع الزعماء الدينيين في الحجاز وفي عام 1891م نظم "كاميون" Gambon أول رحلة للحج في فترة ولايته أبحرت مثلها 1527 حاج إلى جدة، زودوا بمواد التعقيم ومواد طبية متنوعة وطبيب الفرنسي⁴، و1717 حاج في عام 1892م و7000 في عام 1893م وهي السنة التي صادف فيها عيد الأضحى

¹سعاد مصطفىاوي، مرجع سابق، ص 21

²شارل روبير أجرون، الجزائريون المسلمون وفرنسا 1871 1919، ج 1، نقل للعربية حاج مسعود، دار الرائد للكتاب، الجزائر، 2007 ص 564.

³شارل روبير أرجيرون، المصدر نفسه، ص 579.

3- Aldo D'AgostINI ; French Policy and The Hajj in la Late- Nineteenth- Century Algeria Governor Cambon ;ReformAttembt ;sPiIgrima⁴ ge ; To Mecca ; P124

يوم الجمعة وفي سوء الحظ تفشت وباء الكوليرا في مكة المكرمة حيث توفي أكثر من 2000 حاج، ثم تنظيم عملية الحج من جديد ومنع لمدة سنتين ثم رخص به في سنة 1896م وقد رخص "كاميون" Gambon ب 4 عمليات أثناء مدة ولايته التي استمرت لمدة 7 سنوات.¹

كما يعتقد أن الحجاج القادمين من الجنوب لدى المناطق المصابة بالعدوى تشكل خطرا دائما لنقل العدوى للحجاز عن طريق المرضى أو المصابين ولتفادي هذا الخطر سيخضع الحجاج لفترة مراقبة وتطهير قبل دخولهم المناطق المقدسة لهذا تم إنشاء أماكن للحجز،² وفي عام 1893م انتقل الوباء إلى مدينة الجزائر من المناطق الشرقية بسبب عودة الحجاج من مكة المكرمة حاملين معهم العدوى وكان هذا آخر وباء ضرب الجزائر،³ كما أثبت تقرير الطبيب الفرنسي المفوض والمرافق للحجاج الجزائريين سنة 1893م أن بعض الأمراض التنفسية كالاتهابات التعصبية المصحوبة بالحمى كان سببها السفن التي كانت تفتقر إلى أدنى شروط الرعاية الصحية من التهوية والرطوبة وضيق المساحة رغم وجود أدوية في صيدلية السفينة ورغم توفير المطهرات والمعدات مثل: كلوريد الجير الكبريت وغيرهم إلى أن بعضهم كان يموتوا في طريق الذهاب وليس العودة إلى من الحج وزحمة الحجاج وأن بعضها من تلك الأمراض التي عانى منها الحاج سيما بيئة وظروف نقلهم من الجزائر إلى الحجاز.⁴

• قرار 1894/12/10 م: وهو قرار تنظيمي تزامن مع موجة هجرة كبيرة للجزائريين للبلاد الإسلامية خصوصا خلال فترة ما بين 1890 و 1911 م وكانت السلطات الفرنسية تنظر إلى هذه الهجرة

¹ شارل روبير أجيرون، تاريخ الجزائر المعاصر من انتفاضة 1871 إلى اندلاع حرب التحرير 1954 م، ترجمة محمد حمداوي وآخرون، شركاه، الأمة للطباعة والنشر، الجزائر، 2013، ص 279.

² Bouel fredere, cholira et peste dans le musulman 1860,1903, etude de dhgiene internatine paris maisson et cie etideure lebrairesde lacademie de medecine.

³ مصطفى الأمين مدريل، «الأمراض والأوبئة في الجزائر خلال القرن الأول من الاحتلال الفرنسي»، مجلة آفاق فكرية، مجلد 11، عدد 1، جامعة الجيلالي، سيدي بلعباس، الجزائر، ماي 2023، ص 199.

⁴ خديجة حالة، «الأمراض والأوبئة في الجزائر بعد موسم الحج خلال مرحلة الاستعمار الفرنسي»، مجلة الحقيقة للعلوم الاجتماعية والإنسانية، المجلد 11، العدد 1، 2023، ص 351.

على أنها تعبير عن اتخاذ الجزائريين للفكر الإسلامي وتأثرهم به، ما اعتبرته تهديدا لاستقرار مستعمرها كما رأت أن هذه الظاهرة ناتجة عن اضطرابات داخلية ذات خلفيات دينية وكانت تخشى أن تؤثر على أمن المنطقة، خاصة وأنها لم تكن راغبة في أن يكتسب الجزائريين مثل هذه التجارب ويتعرضوا للنفوذ لا تسيطر عليه.¹

صدره الحاكم "جول كامبون" Jules Gambon في شكل مرسوم بتاريخ 1894/12/10 م جاء في هذا المرسوم في حوالي 34 مادة واعتمد بنوده على تقرير الندوة الدولية للصحة المنعقدة في باريس 3 مارس 1894 م التي حذرت من اطار الأوبئة القادمة من المشرق و كذا تقارير حكام المقاطعات الثلاث للجزائر و بالرغم من قرار 1894 م كان يسعى ظاهريا لتنظيم عملية الحج في نظر الفرنسيون إلا أنه يستفيد منه خاصة الموالين لفرنسا وأصحاب المال في مادته الأولى يشترط القانون أن يمتلك الحاج قيمة التذكرة المقدرة ب 1000 ألف فرنك مع مراعاة مؤونة عائلته في حالة سفره مع ضرورة تشديده لمختلف الضرائب المستحقة اتجاه الدولة، أما في مادته الرابعة فيشترط موافقة الحاكم العسكري على طلب الحج ويجب أن تكون سوابق الحاج خالية من أي عملية تخريبية أو معادية للحكومة الفرنسية،² والواقع أن الحاج كان ميسرا تارة تسمح به الحكومة الفرنسية وتارة تمنعه وهي التي تشرف عليه كما أنها كانت تختار الحاج من بين الذين تعرفهم وجعلتهم تحمدونها ويشثون عليها كما نصت إدارة الاحتلال قانونا تنظيميا آخر جاء ملحق لقانون 1894/12/10 م أن تضمن أحكام بشأن الشرطة المرافقة للحجاج نظافة الباخرة والجانب الصحي لها وغيرها منها الاحكام.³

¹ ابن زينب آمنة، التشريعات الاستعمارية الخاصة بالدين الإسلامي في الجزائر 1830 - 1954 أطروحة لنيل

شهادة الدكتوراه في الطور الثالث، جامعة مصطفى إسطنبولي، معسكر 2020 2021 م ص 154

² سعاد مصطفى، مرجع سابق ص 22.

³ ابن زينب آمنة، المرجع السابق، ص 160.

كما صدرت عام 1907م الشروط التي يتحتم على الحجاج الخضوع لها كالحصول على جواز السفر من سلطات العمالة تبرير حيازة مبلغ مالي قدره ألف فرنك واحضار كفيل او ضامن قادر على الوفاء بالدين ,إضافة الى اثبات وضعية عائلته وانها خارج الحاجة ,وهو ما استدعي من الراغب في الحج القيام بها ¹.

ثم جاء قرار 1908م الذي منع فيه الحج بسبب انتشار الأوبئة حيث تم تسجيل انتشار الجدري والطاعون في الحجاز وحالات الرشح ,كما انتشرت امراض الالتهاب الرئوي والتهاب الأمعاء مما سهل على السلطات الاستعمارية في منعها عن الحج في هذه السنة حيث تحركت السلطات والقوى الأوروبية وفرضت تدابير صحية وقائية سنة 1913م وفي موسم 1929م رغم انه لم يشهد حالات انتشار الوباء الا ان ضربة الشمس وامراض الجهاز العصبي وامراض أخرى أدت الى وفاة 136 حاج جزائري, وفي السنة الموالية 1930م تحسنت الأمور وعمت النظافة في شوارع مكة. كما ان السلطات الفرنسية اتخذت تدابير صحية للتقليل من انتشار الأوبئة ففرضت على الراغبين في الذهاب الى الحج شهادة طبية 30يوم قبل موعد رحلة الذهاب وتشهد هذه الشهادة بتمتعهم بكامل قواهم العقلية والبدنية واجراء اللقاحات الضرورية ².وفي تلك السنة كذلك تم منع شخصين دينيين من الحج برا خوفا من قيامهما بالدعاية السلبية ضد فرنسا اثناء مرورهم بتونس وليبيا ومصر والحجاز .وكذلك كان المنع بين سنتي 1909 و1912م بسبب الأوضاع السياسية في العلم الممهدة للحج ع 1ففي سنة 1912م لم يحج من الجزائريين حسب المصادر الرسمية الا 7 حجاج مع الوفد التونسي حيث سجلت الجزائر ذلك العام هي الأدنى حتى اقل من الصين وتايلند ³,

وبرزت سياسة فرنسا في الجزائر من خلال مظاهر متعددة استعانت بها لتحقيق اغراضها ,كما استعانت بالأعيان والمرابطين والسلوك الديني الرسمي لوضعها موضع التقيد , و اصبح الحديث عن

¹نبيل شريخي، «الحج في الجزائر اثناء الاحتلال الفرنسي من خلال وثائق الأرشيف بين الإجراءات الإدارية واللجوء للرحلة السرية» مجلد 23، عدد12، ديسمبر 2024، ص 273.

²خديجة حالة، مرجع سابق، ص352.

³ هوارى قبائلي، مسالة الحج، مرجع سابق، ص160.

الأوضاع الأماكن المقدسة بمكة و المدينة المنورة اذ انشأت لها مؤسسة خاصة في عام 1917م و أوكلت مهمتها الى قدور بن غبريط , حيث اصبح هناك اهتمام واضح للحجاج الجزائريين من لناعية توفير كل وسائل الراحة لهم خلال مواسم الحج و تحسين الخدمات الاجتماعية كالإيواء و الاطعام و السفر, و جاءت البعثة الفرنسية البقاع المقدسة و التي قادها السيد مصطفى الشرشالي سميت 'بعثة التقارب الفرنسي الإسلامي missom de rapprochement franco-islamique¹.

المبحث الثالث: التحكم في عدد الحجاج

أصدرت السلطات الفرنسية في أوت 1838م قرار منع الحج سواء كان حر أو رسمي, ثم في بداية سنه 1858 وقع تحقيق جزئي بواسطة شروط وضعتها السلطة الفرنسية أنداك تمثلت هذه الشروط في أصل الحاج وسلوكه وأملاكه وأخلاقه حيث أصبح الحجاج هم من تختارهم الإدارة الفرنسية بنفسها ومنذ سنة 1847م كانت جريدة المبشر الرسمية هي التي ترغب الحجاج بعدم السفر عن طريق الإجازة الفرنسية بواسطة موافقتها حيث قامت ببعث قناصل تمثل فرنسا في كل من مصر والحجاز والشام بهدف حماية الحج الجزائريين باعتبارهم رعايا فرنسيين وفي المقابل الإدارة الفرنسية نفسها هي التي تمنع رخص الحج².

وفي عهد الجنرال "شانزي" Shanzi قامت فرنسا بإعطاء ترخيص للجزائريين على القيام بالحج سنه 1873م حيث بلغ الحجاج الجزائريين في هذه السنة حوالي 1500 حاج ثم في سنة 1874 1877م تلتها منع الحج لأسباب صحية تمثل في أزمة الوباء وحيث في سنة 1879م رخص الحاكم الفرنسي "قريفي" Jrevy 1879 1881م بالحج فيها حيث سافر 946 حاج فقط موزعين في الولايات التالية:

¹ أحمد دراوي، الجزائر والجامعة الإسلامية 1876-1924م، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ المعاصر، مرجع سابق، ص144.

² أبو القاسم سعد الله تاريخ الجزائر الثقافي ج 4، مرجع سابق، ص 400، 401.

الجزائر 519 حاج وهران 279 , وقسنطينة 148 حاجا بسبب الوباء المعتاد,¹ أما في سنة 1848م شنت الإدارة الفرنسية عملية التضييق على الذهاب إلى الحجاز وإخضاع هذه العملية لمعايير سياسية حيث كانت هنا الأولوية للذهاب للحج لرجال الدين الرسميين وشيوخ الزوايا ولهذا السبب تناقص عدد الحجاج الى 109 بشكل رسمي, وإذا أضفنا أعداد أعضاء البعثة الرسمية ليصل عددهم الى 89 حاجا, وفي سنة 1851 م كادت سفينه محملة بالحجاج أن تغرق في سواحل "موري" Morée وكان على متنها 207 من الحجاج وعلى العموم فإن معدل الحج في تلك السنوات عرف بعض الارتفاع النسبي بحوالي 1200 إلى 1500 حاج جزائري, أما نسبة النساء فقط كانت بحوالي 2% والباقي كلهم ينتقلون بشكل حر, وفي 31-12-1859 م وصلت إلى مرسيليا سفينة تحمل حجاج جزائريين بعد رجوعها من مكة على متنها حوالي 344 حاج 299 من الجزائر العاصمة, 24 من عمالة وهران 21, من عمالة قسنطينة وغالبيتهم من بني مزاب وكان الحج في تلك الفترة يكون عن طريق دفع تكلفة السفر مسبقا بقيمة 128 فرنك , كما تذكر المصادر أن من بين الحجاج قاضي وهران وستة من الرجال, الطرق و21 من بني مزاب ,و238 من منطقة القبائل ,و76 عربي ,وامرأتين نصبت لهن الخيام في إنتظار إعادتهم لوطنهم وفي سنة 1886م قامت السفينة "inveniy" التي كانت تنقل 883 حاج باللقاء حوالي أربعة منهم بدعوى إصابتهم بالوباء وبعد التحقيق تبين وفاة 18 حاج, وفي عهد الحاكم العام جول كامبون شهد عهده التخفيف في سياسة المنع فقد صدر قانون الحصول على تذكرة السفر ذهابا وإيابا وما قيمته 1000 فرنك و رغم هذا حج في سنة 1893 م حوالي 6913 حاج في ستة سفن , لكن هذا الموسم انتشرت فيه الكوليرا بشكل كبير أدى إليها حوالي 1500 بين الجزائريين والتونسيين وهو موسم شهد فيه حوالي 35,000 ألف حاج من أصل 400,000 لذلك قرر الحاكم العام "كامبون" تنظيم أمور الحج بشكل فعلي و اصدر القرار المنظم للحج في 10 ديسمبر م1894.²

¹المرجع نفسه، ص403، 404.

²هوارى قبائلي، مسألة الحج، مرجع سابق، 135-143.

حيث شهدت سنة 1907م إعلان الحاكم العام "جونار" Gunnar بترخيص أداء فريضة الحج بالنسبة الجزائريين وبعد سنة من إعلانه الترخيص نجده في سنة 1908م منع الحج وذلك نظرا لأسباب خفية سياسية فرنسية و منه تحول الحج الى مسرحية سياسية كانت الإدارة الفرنسية هي التي تشرف على تنظيمه وتقوم باختيار عناصر من الحجاج من الأعيان المعروفين لديها وتصدرهم وتجعلهم يهتفون بعبارات الشكر والتقدير لها لذلك كان معظم الحجاج هم سفراء لفرنسا وبعد ثوره الشريف حسين على منع السلطات الفرنسية للحج شهدت سنة 1916 م حج جزائري بلغ 290 حاج ومعظمهم من رجال الدين ومن الشخصيات المختارة من طرف فرنسا، وأما في عهد الحاكم العام "ديفيدون Diguidon" 1873.1971 الذي منع واضطهد الجزائريين في عهده من أداء فريضة الحج، حملت في عهده الباخرة الفرنسية مجموعة من الجزائريين وهم 273 حاج من بين 619 حاجا فقط وهذه الفئة كانت تحظى برضى السلطات الفرنسية ومن بين هؤلاء الفئات نجد شيخ العرب وزعيم الميعاد الخيري "بوعزيز بن قانة" "وابن علي الشريف" الشريف وقد استمرت السياسة الفرنسية نحو الحجاج خاضعة للمصالح السياسية والاقتصادية ودون مراعاة لمصالح الجزائريين إلى عشية الثورة 1951 م، والتي كانت ماتزال تهتم بالحجاج الذين بلغوا في تلك السنة 1,620 حاج¹. وهكذا كان تعداد الحجاج الجزائريين إبان فترة الاحتلال الفرنسي للجزائر.

حيث تنفيذ التقارير أنه في 31 ديسمبر 1859 م وصلت الى مرسيليا سفينة تحمل حجاج الجزائريين بعد رجوعها من مكة وعلى متنها حوالي 344 حاج أما في سنة 1879 م سافر حوالي 946 حاج لكن عاود منع الحج في سنة 1881م وهذا العام جاء الحاكم العام "تريمان" الذي عرفه الآخر بعداء شديد لتنظيم الحج²، في سنة 1901م تم نقل عدد معتبر من الحجاج كانوا حوالي 4000 حاج على متن سفن "بروتاني"، كما عاودت السلطات الفرنسية تنظيم الحج وذلك سنة 1946م حيث نقلت 564 حاج جزائري في أجواء حسنة لتعاود هذه السفينة نقل الحجاج سنة 1947 م حيث بلغ عدد الحجاج

¹ أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج 4، مرجع سابق، ص 411-414.

² هوارى قبائلي، مسألة الحج، مرجع سابق، ص 152.

596 حاج وفي سنة 1948م بلغ حوالي 580 حاج¹ وأما في سنة 1955م ألغيت رحلة البحرية في اللحظة الأخيرة بعد ما كانت السفينة Athos المخصصة لنقل الحجاج غيرت وجهتها لنقل الجنود إلى شبه الجزيرة الهند الصينية لذلك عوضت بطائرات مع احتفاظ أصحاب التذاكر بنفس التسعيرة وبدون زيادات حيث نقل 750 حاج عن طريق البحر ' فنقلت الحافلات 3500 حاج , وفي سنة 1956م عاودت السلطات الاستعمارية تخصيص السفينة Anne وقامت بنقل 271 حاج وهو عدد قليل جدا وكانت نتائج وتراجع في عدد الحجاج حيث سجلت حج فيها رئيسا حوالي 271 حاج وهو الرقم الأدنى منذ الحرب العالمية الثانية وكانت ذلك بسبب ظروف الثورة التحريرية وانعدام الأمن ووقف النقل البري لتتواصل الرحلة إلى الحج طوال فترة المتبقية حتى سنة 1962 والتي جرى فيها تنظيم الحج بمنافسة بين السلطات الفرنسية وجبهة التحرير الوطني بعد وقف إطلاق النار بين الطرفين.²

وفي عهد الحاكم "كامبون" كان على غير العادة أقل تعصبا من غيره من الحكام حيث أمر بالتواصل مع رجال الدين الجزائريين واهتم بمسألة تكوين الأئمة وسمح كامبون في عهده بأداء فريضة الحج حيث بلغ عدد الحجاج سنة 1891م إلى 1500 حاج, ثم قفز إلى 1717 ليعرف مستوى غير مسبوق سنة 1893 م بعد ما وصل إلى 7000 حاج حيث مات منهم 2000 بسبب وباء الكوليرا, وهذا اتخذته فرنسا سببا لمنع الحج في السنتين الموالتين وبعد استثناء سنة 1896 م سوف يتكرر المنع مرة أخرى سنة 1897 م بسبب الحرب التركية اليونانية ومنه عرف الحاكم العام كامبون بتنظيم موسم الحج لأربع مرات من أصل سبع³, وبمجيء آل سعود⁴, عرف الحج تنظيما جديدا وذلك من خلال فرض ضريبة على الحجاج المتمثلة ما قيمته 12 جنيه إسترلين, على كل حاج وبعد أن هدأت الأوضاع

¹ المرجع نفسه، ص 179، 180.

² هواري قبائلي، مسألة الحج، مرجع سابق، ص 203.

³ هواري قبائلي، «سياسة فرنسا الدينية في الجزائر تأطير فريضة الحج نموذجا 1894 1939»، المجلة الجزائرية للمخطوطات، العدد 12، معسكر، الجزائر، 2015 ص 266.

⁴ آل سعود: هي الأسرة الحاكمة الدينية في المملكة العربية السعودية وإلى يومنا هذا، ينظر: وليد ساسي، الملك عبد العزيز آل سعود ودوره في تأسيس المملكة العربية السعودية 1876.1953، مذكرة لنيل شهادة الماستر تخصص تاريخ معاصر إشراف أسامة بقر، جامعة بسكرة، 2016، ص 32.

السياسية والأمنية عرفت سنة 1926 م موسم الحج بعد انقطاع دام لسنوات شارك فيها بعض المهاجرين الجزائريين وعرف مشاركة 200,000 حاج راكبين على ستين ألف دابة وقفوا كلهم على صعيد عرفة وفي عام 1927م شاركت البعثة الجزائرية التي كانت متمكنة من 189 حاج وهو عدد قليل مقارنة بالتوانسة والمغاربة الذين بلغ عددهم 2500 حاج، ثم سوف يرتفع عدد الحجاج الجزائريين سنة 1928 م إلى 1103 حاج وبذلك فرض على الحجاج المراقبة الصحية الصارمة ونتيجة رفع قيمة الرهن إلى 1500 فرنك إضافة إلى 600 فرنك أخرى للرحلة فإنه جرى موسم حج سنة 1929م في ظروف حسنة بمشاركة حوالي 2133 لكنه سوف يعرف بعض الانخفاض سنة 1930م بحوالي 756 إلى 659 حاج نتيجة الظروف الصعبة التي يعاني منها الحجاج آنذاك.¹

كما نظمت السلطات الفرنسية عام 1916م حيث شارك في الرحلة 293 حاجا جزائريا و200 تونسيا و 168 مغربيا حيث كانت في الجزائر صعوبات،² أما بخصوص أداء فريضة الحج إلى مكة بين سنتين 1909.1912م وقد عاود المنع وذلك بسبب الأوضاع السياسية في العالم الممهدة للحرب العالمية الأولى في سنة 1912م لم يحج من الجزائريين حسب المصادر إلا سبع حاج مع الوفد التونسي حيث سجلت الجزائر مشاركة في ذلك العام هي الأدنى حتى أقل من الصين وتايلاند لكن مصادر أخرى تذكر أن عدد معتبر من الجزائريين في نفس السنة ركبوا ميناء طنجة إلى أننا لا نستطيع إحصاء لصعوبة تميزهم مع الوفد المغربي ونلاحظ اختلاف السياسة في تنظيم الحج بين المغرب والجزائر آنذاك.³

كما أرسلت الإدارة الفرنسية بعثة رسمية إلى الأماكن المقدسة والتي وضعها البعض بأنها عبارة عن محمل مغربي في 2 أوت 1916 م وتضمن ذلك مرافقة وفد مكون 600 حاج مع وفد سياسي مكون

¹ هواري قبائلي، «سياسة فرنسا الدينية في الجزائر تأطير فريضة الحج أنموذجا»، مرجع سابق، ص 272.

² Chantre lue pelekina, **Ges benpire une histoire tunsopéenne bu pelerin avec a la macqueunipriste**, paris pant héron Sorbonne, 2012, p14.

³ هواري قبائلي، مسألة الحج في السياسة الاستعمارية الفرنسية بالجزائر 1894_1962، مرجع سابق، ص160.

من عدد قليل من الشخصيات الدينية البارزة.¹ وفيما يلي نعرض جدولاً يتضمن تعداد الحجاج الجزائريين خلال فترة الاحتلال الفرنسي.

¹ Chantre lui le pèlerinage, à la Mecque a l'époque coloniale 1866-1940, France grand Bretagne Italie de doctorat Université de Poitiers 2012, p323.

الجدول رقم 02: جدول يمثل تعداد الحجاج الجزائريين خلال السنوات من 1848 إلى 1956م

السنة	تعداد الحجاج الجزائريين
1848م	109 حاج
1851م	207 حاج
1859م	344 حاج
1873م	273 حاج
1879م	246 حاج
1886م	883 حاج
1891م	1500 حاج
1893م	7000 حاج
1901م	4000 حاج
1912م	7 ألف حاج
1916م	293 حاج
1926م	200 ألف حاج
1927م	189 حاج
1928م	1103 حاج
1929م	2133 حاج
1930م	756 حاج
1946م	564 حاج
1947م	596 حاج
1948م	580 حاج
1951م	1620 حاج
1955م	750 حاج
1956م	271 حاج

الجدول من إعداد الطالبتين

الجدول يمثل تعداد الحجاج الجزائريين أثناء الإحتلال الفرنسي الجزائر الذين يؤدون فريضة الحج خلال السنوات وذلك ابتداء من 1848 إلى غاية سنة 1956 حيث نلاحظ من خلال الجدول سجل سنة 1848 أول رحلة لأداء فريضة الحج بالنسبة للجزائريين وهذا بعد القرارات التي وضعتها فرنسا ما بين سنوات 1838 و1860 والتي تسمح بالحج إلا من هم فوق 40 سنة حيث بلغ تعداد الحجاج في سنة 1848 حوالي 109 حاج وهو ما يمثل أول تسجيل لعدد الحجاج الجزائريين نحو البقاع المقدسة ومنه يكون العدد ضعيف نظرا لإجراءات والقوانين التي وضعتها الإدارة الفرنسية أما في سنة 1851 فنلاحظ تزايد معتبر في عدد الحجاج الجزائريين مقارنة بالسنة الماضية 1848 حيث بلغ عددهم 207 ألف حاج.

ويرجع هذه الى القرار التي وضعت الإدارة الفرنسية سنة 1845 والذي يهدف إلى تصريح من أجل أداء فريضة الحج في 20 أوت 1845 وأيضا اضافته إلى قرار 20 جويلية 1845 الذي تقدم على مصادرة أسلحة الحجاج تخوف من الثورة عليهم فمنه استطاع الجزائريون من أداء فريضه الحج دون ضغط من طرف الإدارة الاستعمارية أما في سنة 1859 فنلاحظ تراجع في تعداد الحجاج نظرا لقرار 16 أكتوبر 1858 والذي تمثل في التزامات المفروضة على الحجاج ومنها منح جواز السفر مما صعب على جزائريين من أداء فريضة الحج حيث بلغ تسجيل عددهم حوالي 344 حاج وفي سنة 1879 فنلاحظ تراجع ملحوظ في تعداد الحجاج الجزائريين حيث بلغ ذروتها إلى 246 حاج وذلك من خلال التضييق من طرف السلطات الفرنسية إزاء انتشار وباء الكوليرا والطاعون والتدريج بالمحاذير الصحية ويرجع هذا إلى عام 1874م والذي منع فيه الحج مما ساهم انخفاض في عدد الحجاج في هذه السنة، أما في سنة 1886 م فقد ارتفع عدد الحجاج الجزائريين مقارنة بسنة 1879 م حيث بلغ 883 حاج وذلك من خلال تصريح الإدارة الاستعمارية والترخيص بالحج في سنوات 1875 م 1876 م 1878 م أما في سنة 1891م.

نلاحظ من خلال جدول ارتفاع لعدد الحجاج الجزائريين مقارنة بالسنوات الماضية حيث بلغ عددهم 1500 حاج وفي هذه السنة شهدت تواتر في العلاقات والأوبئة ومنه اعلن تيرمان منع الحج إلى غاية

1891 م ،أما في سنة 1893 م فقد بلغ تعداد الحجاج الجزائريين الى 7000 حاج وهذا يرجع الى سياسة كاميون والذي فتح طريق الحج إلى مكة من أجل إقامة علاقات مع الزعماء في الحجاز وذلك من خلال تنظيمه للحج سنة 1891م كما نلاحظ في سنة 1901 م سجل تعداد الحجاج الجزائريين إلى 4000 حاج ومنه انخفاض في عدد الحجاج وهذا يرجع إلى قرار 1894م الذي ينص على تنظيم عملية الحج إلى أنه يستفيد منه إلا الموالين الإدارة الفرنسية والذي يشترط امتلاك قيمة التذكرة المقدرة 1000 فرنك.

وهذه كلها قوانين وضعتها فرنسا للحد من عدد الحجاج أما في سنة 1912م نلاحظ بلوغ عدد الحجاج إلى 7 ألف حاج وهذا يرجع إلى قرار 1908 م الذي منع فيه الحج بسبب انتشار الأوبئة اما في سنوات 1916 1926 1927م فنلاحظ تراجع في مستوى عدد الحجاج الجزائري وذلك يرجع إلى منع السلطات الفرنسية لأداء فريضة الحج نظرا لسنوات انتشار كذلك الأمراض والأوبئة يرجع إلى قرار 1908 م الذي منع فيه الحج, ثم نلاحظ في سنتين 1928 1929 م ارتفاع نسبي في عدد الحجاج مقارنة بالسنوات الماضية حيث بلغ عددهم ما بين 1103 و 2133 حاج ليعود سنة 1930 م وسنة 1946م إلى تراجع وانخفاض في عدد الحجاج ليصبح عددهم ما بين 756 حاج و564 حج وهذا نتيجة تسديد الإجراءات 1946م خاصة مع الحجاج الأحرار واشتراط جوازات وتراخيص الخروج من الجزائر وفق قرار 20 أوت 1945م مما ساهم في تراجع في مستوى انخفاض الحجاج الجزائريين أما سنة 1947م وسنة 1949 م هي الأخرى نشاهد تراجع وانخفاض في تعداد الحجاج وهذا نتيجة الفوضى والإجراءات بين الإدارات فهي تعطي وتلك تمنع وهذه وتوسع وتلك تضيق وهذا ما انعكس سلبا على عدد الحجاج وأدى إلى انخفاض في النسبة حيث بلغت نسبتهم بين 536 حاج و580 حاج أما في سنة 1951 م فقد نشاهد ارتفاع معقول في عدد الحجاج الجزائريين نظرا للقيود المفروضة عليهم في تلك السنة حيث بلغ عددهم 1,620 حاج وهذا يرجع إلى قرار 17 جوان 1952م القاضي بإلغاء جميع الالتزامات وضمان حرية السفر وإلغاء العمل بالتسريح أما في سنة 1955 م نلاحظ تراجع في مستوى انخفاض للحجاج الجزائريين حيث بلغ نحو 750 حاج نظرا لقرار جوان 1953م ليفرض على ملاك السيارات

والمركبات قيود وشروط تعجيزية ساهمت في تراجع عدد الحجاج الجزائريين أما سنة 1956م فنلاحظ تسجيل أدنى عدد للحجاج الجزائريين والذي بلغ عددهم نحو 271 حاج وهذا راجع إلى عودة العمل بالتراخيص مرة أخرى أثناء الثورة التحريرية والذي فرضها مرسوم 17 مارس 1956.

المبحث الرابع: فرض الرقابة والجوسسة على ركب الحجاج

لم تقتصر فرنسا على سن القوانين التي تخص الحج بل فرضت رقابة على ركب الحجاج ، و بعثت جواسيس معهم حتى تعرف ماذا يقولون و ماذا يفعلون في هذا الغرض كذلك معرفة أحوال الجزيرة العربية عموما و منطقة الحجاز خصوصا و هذا عن طريق اعداد تقارير مهمة ميدانية يعدها القناصل المداومين إضافة الى ضباط ذهبوا في بعثات رسمية او محافظين حكوميين رافقوا الحجاج، و الذين كانوا ملزومين بتسجيل كل الملاحظات و الاقتراحات في تقارير خاصة، إضافة الى بعض الخبراء في مختلف الاختصاصات عملوا في المنطقة بدعوى اجراء اكتشافات علمية كعلماء الاثار، البيولوجيا و الأطباء، المهندسين استطاعوا الولوج الى الحرمين خلال مواسم الحج¹ لان البقاع المقدسة كان محرما دخولها على غير المسلمين، فقد احتاجت الإدارة ارسال مبعوثين عليها سواء كانوا عمالا ضمن الوفود المرافقة للحجيج، حيث يقومون بمراقبة هؤلاء و كتابة تقارير عنهم او عن الحج، او الجالية الجزائرية و حتى الوضع العام في الحجاز.

وفي هذا السياق نذكر: 'بروفاش' 'provach' الذي رافق الحجاج الى الحج سنة 1902م وقدم انطباعاته حول الحج² وقد ركز على نقطتين:

الاحطار التي يتعرض لها الحاج الجزائري كاستغلال المطوفين والتجار والامراض في مكة ومنى. اما النقطة الثانية فهي اتهام الاتراك هناك بصنع الكحول وشربها في مكة، وقد رد عليه في ذلك بعض

¹ هواري قبايلي، مسألة الحج، مرجع سابق، 296.

² محمد الأمين رحمانى، مرجع سابق، ص 193.

العلماء المسلمين الحاضرين، كما رد عليه في مقاله ضمنيا ابن شنب¹ ومن ناحية ثانية كانت الإدارة الاستعمارية تعتمد على اشخاص بهيئة وهوية غير هيتتهم وهويتهم الاصلية متتكرين "جواسيس". وقد قام هؤلاء بتدوين و كتابة وتوثيق رحلاتهم لصالح الإدارة الاستعمارية ومن ابرز ما قاموا بمهمات من هذا النوع بالحجاز لصالح الإدارة الاستعمارية بالجزائر نذكر 'ليون روش' 'léon roches' وجيرفي كورتيلمون.² 'Gervais-courtellemont'

1-ليون روش 'Léon roches': عاش ليون روش في الجزائر منذ 1830م و تقلد عدة وظائف استعمارية، كما قام بعدة مهمات لصالحها ، ابرزها مهمته التجسسية على الأمير عبد القادر منذ نوفمبر 1837م⁴ حيث التحق روش بجيش الأمير بمقتضى البند الرابع من معاهدة التافنة الذي ينص على السماح للمسلمين بالعيش أينما أرادوا و لهم الحرية المطلقة في الانتقال من دولة الأمير الى الأماكن التي يحتلها الفرنسيون و برز موقفه بعزمه على اعتناق الدين الإسلامي⁵، وقد انهى مهمته عام 1839م⁶ وقد كلف بمهمة دبلوماسية غير رسمية حيث ارسه الجنرال بيجو سنة 1841م الى الحجاز و ذلك حتى نهاية مقاومة الأمير عبد القادر بعد ان انتحل شخصية حاج مسلم وتسمى باسم عمر عبد الله وكان هدفه الظاهري مقابلة شريف مكة والحصول من علماء الحرم الموافقة على نص فتوى شرعية جاء بها من الجزائر تحت المسلمين الجزائريين على الاعراض عن المقاومة الغير المجدية

¹أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج 4، مرجع سابق، ص 408.

²محمد الأمين رحمانى، مرجع سابق، ص 193.

³ليون روش: ولد ليون روش في مدينة غرونوبل ' بفرنسا في 27-09-1809م من ابوين فرنسيين وتوفي في نفس المدينة في جوان 1901م، شخصية مغامرة يتمتع بذكاء حاد وجرأة في نشاطه المستمر، ساعدته معرفته العميقة للغة العربية على فهم ذهنيات وعادات المسلمين، وأن يكون أحد الرجال اللامعين في هيئة المترجمين الفرنسيين العسكريين، ينظر الى كتاب يوسف مناصرية، ص 13.

⁴محمد الأمين رحمانى، مرجع سابق، ص 193.

⁵يوسف مناصرية، مهمة ليون روش في الجزائر والمغرب 1832م-1847م، طبع بدار هومه، لطباعة والنشر، الجزائر، 2013، ص 30.

⁶محمد الأمين رحمانى، مرجع نفسه، ص 193.

وقبول السيطرة الفرنسية¹، مقابل ان تتعهد فرنسا باحترام مؤسساتهم الدينية والقضائية وقد نجح ليون روش نجاحا باهرا في هذه المهمة، فقد قابل الشريف الأكبر ووقع منه الفتوى التي صاغها علماء القيروان وصادق عليها القاهرة.² والمأسف ان ليون روش كان مدعما من طرف التيجانيين الناقمين على الأمير عبد القادر و لم يهمل روش وصف الحجاز و موسم الحج و مختلف المناسك والمدن والحياة الاجتماعية والاقتصادية³.

سافر روش في قافلة حج برية تضم 400 حاج ودخل المدينة المنورة وشارك كحاج خلال مواسم الحج، وقام بكل الشعائر الدينية التي يقوم بها المسلم، اقام بمكة المكرمة لمدة 15 يوم، لكن اكتشف امره من قبل الحجاج الجزائريين⁴. وأقنع القاضي بسلامهم، وعاد بالحكم عليه بالموت لتنجيسه للاماكن المقدسة لولا إنقاذه من طرف شريف مكة الذي اعطى بأمر تهريبه سرا واستطاع الفرار وعاد الى الجزائر في جوان عام 1842م.⁵

وهناك رحلة أخرى بعد رحلة روش تتمثل في رحلة مغامر اخر اسمه 'جيرفي كورتيلمون' Gervais 'Gourtellemont' و الذي ارسله الحاكم العام 'كامبون' Gambon ' الى الحجاز،⁶ للتجسس على أحوال العالم الإسلامي في الحجاز و كتب هذا جرفي رحلة الى مكة روى فيها مغامرته من الجزائر الى مكة ، و قد تخصص في الحياة الإسلامية، و كان يعتقد ان مكة باعتبارها عاصمة دينية و ثقافية جديرة بالدراسة لذلك قرر زيارتها سنة 1895م و اصطحب معه صديقا جزائريا وهو الحاج 'كلي' ' '.

¹ هواري قبايلي، مسالة الحج، مرجع سابق، 297.

² ليون روش، اثنتان وثلاثون سنة في رحاب الإسلام، مذكرات ليون روش عن رحلته عن الحج، نقله الى العربية محمد خير محمود البقاعي، ج1، ط1، جداول للنشر، لبنان، ديسمبر 2011، ص 14.

³ هواري قبايلي، مرجع سابق، ص 298.

⁴ محمد الأمين رحمانى، مرجع سابق، ص 194.

⁵ محمد الأمين رحمانى، مرجع سابق، ص 194.

⁶ هواري قبايلي، مرجع سابق، ص 298.

akli ' الذي سبق له الذهاب الى مكة 19 مرة , و مادام الامر كذلك فان الحاج 'اكلي ' نفسه ربما كان يقوم بمهمات خاصة بالحجاز لان الحج لم يكن مرخصا للجميع¹.

و قد تم تكليفه بمهمة رسمية شبيهة بتلك التي قام بيها روش هو الحصول على فتوى دينية مجدداً، و قد انطلق جيرفي في رحلته باسم عربي تنكر خلفه و بجواز سفر مزور أعدته الإدارة الاستعمارية له , و كان رفيقه في الحج الحاج 'اكلي' . و كانت الفتوى تدور حول الحد من حركة الهجرة التي استفحلت في تلك الفترة , بالإضافة الى تم ما اعتباره مواجهة لحركة الجامعة الإسلامية التي كان يقودها جمال الدين الافغاني و محمد عبدو ., غادر جيرفي و الحاج اكلي الجزائر في خريف 1894م بالرغم من القرار الصادر بمنع الحج على متن السفينة البحرية 'غلوكوز' ' Glucose ' ² المتجهة صوب جدة , و بعد 10 أيام رست بموانئ جدة .³

روى جيرفي تفاصيل رحلته الى مكة , رفقة الحاج 'اكلي' ففي جدة شكت فيه الشرطة التركية و كاد يكشف و يوقع في مازق , و لكن الحاج 'اكلي' تدخل و انقذه، و بعد دخوله مكة ظل الشك يحوم حوله أيضا و اظهر انه طبيب و قام بعلاج بعض المرضى، و اقام علاقات صداقة في مكة و حصل من هؤلاء الأصدقاء على معلومات ثمينة حول الوضع السياسي و التجاري و الصحي، اما الملاحظات العامة التي ابداهها جيرفي فهي مهمة مادامت تتعلق بالجزائريين في الحج و صورة فرنسا هناك، حيث يقول ' ان الطريق بين مكة و جدة غير امن من هجمات البدو على الحجاج و ان تأثير فرنسا السياسي و التجاري شبه معدوم في الحجاز و الناس هناك يتحدثون عن فرنسا كدولة تظلمت الجزائريين و التونسيين و هم يقولون ان النحاس قد أصاب الجزائر و تونس بتسلط فرنسا عليها و وقوعها في ايدي النصارى⁴.

¹ أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج4، مرجع سابق، ص 405.

² السفينة غلوكوز: هي السفينة التي كانت تحمل الحجاج الجزائريين خلال الفترة الاستعمارية الى الحجاز: ينظر:

أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج4، مرجع سابق، ص405.

³ محمد الأمين رحمانى، مرجع سابق، ص 194.

⁴ أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج4، مرجع سابق، ص 406.

ولكن نص الفتوى يفضح مهمة جيرفي الذي لم يذكر نصها في رحلته والتي أطبق عليها بعض الرومانسية والمثالية، وقد كانت مهمة تقصي الحقائق والاستعلام عن الجامعة الإسلامية ونشاطاتها في الحجاز خاصة وإن فرنسا منعت الحج هذا العام بدعوى انتشار الوباء¹.

¹ هوارى قبائلي، مسألة الحج، مرجع سابق، ص 300.

الفصل الرابع: ردود فعل الجزائريين

المبحث الأول: الحج الغير النظامي في الجزائر الفترة الإستعمارية

نظرا لتعلق الجزائريين بفريضة الحج ورغبتهم في السفر لأداء الحج مهما كانت الظروف وذلك من خلال كسر شوكة سياسة فرنسا المتمثلة في إبعادهم والتضييق عليهم من خلال جملة القوانين والتشريعات والشروط التي وضعتها في وجه الجزائريين إلى أنهم لم يستسلموا عن أداء حجهم وخالفوا كل الأنظمة والإجراءات التي وضعتها فرنسا في طريقهم حيث إتخذوا في سبيل الرحلة إلى الحج ما يسمى بالحج الغير النظامي كرد فعل على السلطات الفرنسية التي منعت الحج تخوفا من طابع الحج العابر للحدود واختلاطهم مع إخوانهم من شتى بقاع العالم.¹

الحج الغير النظامي الحج البري:

على الرغم من أن السلطات الفرنسية عملت على تنظيم الحج في الجزائر بشكل رسمي في 10 فيفري 1930م وبتنظيم شروط حج أهالي إلى أن هذا كله لم يتيح الجزائريين بممارسة الحج الحر بشكل فردي ومستقل عن سيطرة الإدارة الفرنسية في الجزائر وهيمنتها حيث كان هذا الحج يتم بشكل سري في غالب الأحيان، وقد كان هذا الحج السري كرد فعل ضد السلطات الفرنسية التي عملت على وضع جملة من العوائق والصعوبات الإدارية والحواجز التي كانت تضعها أمام الجزائريين لمنعهم من أداء الفريضة الدينية المتمثلة في الحج حيث كان منتشر بشكل واسع حيث أخذ أكثر من شكل وصورة حيث يذكر أن الإدارة الاستعمارية قد اعترفت سنة 1914م بإخفاق سياستها في تنظيم الحج وذلك بسبب انتشار الحج الغير قانوني وهي التسمية التي أطلقتها الإدارة الفرنسية على الحج والتي عملت الإدارة المركزية في باريس على محاربته منذ البداية، ونذكر على سبيل المثال ما أورده أبو القاسم سعد الله في حديثه عن رحلة جيرفي كورتيلون الذي كتب رحلة²، إلى مكة ولقد ذهب هناك وقت غير فيه حج قام بزيارة مكة سنة 1895م وقد إصطحب معه صديقا له جزائريا وهو الحاج أكلي الذي قال أن الإدارة

¹ Anciens bulletin elmoboher sourval officiel de Algérie prenere partie lois el déchets paris 2010 p112.

² محمد الأمين رحمانى، مرجع سابق، ص 195.

كانت قد أُلقت القبض على الجزائري الحاج أكلي بسبب مخالفته لقرار الصادر بمنع الحج لكن يتدخل كروتيلون أطلقت سراحه، وقال أيضا أن الحاج أكلي قد سبق له الذهاب إلى مكة 19 مرة، وما دام الأمر هكذا فإن الحاج أكلي تربطه علاقة مع السلطات الفرنسية آنذاك خاصة وأن الحج منعه في تلك الفترة¹.

ونظرا لمنع الحج العلني من طرف السلطات الفرنسية وقد يكون هذا نظرا إلى قلة العدد الذي سمح له بالحج وإلى حسن اختيار الحجاج من طرف السلطات الفرنسية، فإن الناس جميعا اضطروا إلى الحج السري الذي إختلط أيضا بالهجرة، حيث كان الوباء هو الراية التي يرفعها الفرنسيون لإقناع عامة الناس برفض الرخصة ونتيجة أيضا سنة 1881م والتي شهدت ثورة بوعمامة ومؤامرة القضاة وكذلك تحرير القنصل الفرنسي روشان في الشام من الجمعيات السرية في البلاد الإسلامية فمنع الحج إذن بكل هذه التطورات،² كما تباينت طرق الانتقال سرا لأداء الحج من ما يقوم بذلك منفردا أو من ينتقل مع آخرين جماعيا من الحالات الفردية الكثيرة جدا هو ما ذكره في تقرير "سينسون" Sinson قائد الإقليم العسكري لتقرت عن مغادرة شخص يدعى محمد بن صالح من بيته العائلي في فيفري سنة 1909 م، وتوجه إلى تونس بغية الوصول إلى مكة كما غادر زاوي بن دركاب حسه البلاد منفردا وتوجه أفراد آخرون جماعيا بدون رخصة وبصفة سرية وتباين عدد أفراد تلك المجموعات فقد غادرت ثلاثة من أهالي مازوتة منطقتهم وقصدوا مكة للحج عام 1910 وأكدت مراسلة أخرى مغادرة 10 من الأهالي من مختلف دواوير البلدية المختلطة لتابلات في عام 1909 بعنوان *Départs clandestines de dix indigènes*، كما قدم المتصرف الإداري للبلدية المختلطة زمورة من مقاطعة مستغانم تقرير عن قيام 23 شخص من بلديته بالتوجه إلى مكة انطلاقا من تيارت في موسم حج 1911 وتمثل الحج سرا مختلف فئات الأعمار من ضمنها الأطفال الصغار فقد إصطحب عبد الله ولد بن عبد عودة من تلمسان أبنائه يمينه يبلغ عمرها 13 سنة وشريفة 7 سنوات ونهى أربع سنوات ورافق

¹ أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي 1830 1954، ج 4، مرجع سابق، ص 450.

² المرجع نفسه، ص 404.

ساري عبد القادر ولد الخوتي أمه للحج عام 1911، سرا وعمره 12 سنة،¹ وهكذا قد حاولت الإدارة الفرنسية مرارا وتكرارا تقيس الحج الحر من أجل أن تفرض سيطرتها عليه لأنه كان يشكل عامل إزعاج بالنسبة لها، وقد فرضت عليهم شروط تتمثل في الضمانات المالية الكبيرة حتى تضمن عودتهم حيث وصل المبلغ إلى الحاج الأحرار كضمان لعودتهم إلى 25,000 فرنك، وقد حج عبد الحميد بن باديس سنة 1913، إتجه إلى أداء فريضة الحج لكنه إستغرق مدة زمنية طويلة حيث زار عديد المواسم والحواجز الإسلامية في رحلة علمية طويلة عرج فيها عن الحجاز وسوريا ولبنان ومصر وهذا يدل على أنه بطريقة فردية، كما نجد الحج العربي نجد أنه كما نجد الحاج العربي التبسي نجد أنه أدى فريضة الحج وطاف ببعض البلاد العربية الإسلامية.²

لم يستسلم الجزائريون الذين يرغبون في أداء فريضة الحج لسياسة فرنسا التي ضيقت على حقوقهم الدينية وحرمانهم منها، إذ عرفت في هذه الفترة ما يعرف بالحج الغير النظامي أو الحاج الحراقة، وهذه التسمية أطلقها السلطات الفرنسية على الحاج الجزائريين الذين تمردوا وأقاموا بالعصيان ومقاومة الإدارة الفرنسية الاستعمارية، ولقد ظهر مصطلح الحاج الغير النظاميين رسميا في 1845م. 1261هـ وذلك من خلال مشاركة 97 حاجا جزائريا مع البعثة الرسمية في وقت حج فيه من 1200 إلى 1500 حاج بشكل حر وبهذا الأمر قامت فرنسا بتشديد الإجراءات سنة 1846م 1262 هـ.³ ولقد أخذت بعض العائلات والأفراد تهاجر سرا وعلانية، ويبدو أن هذه الظاهرة تزايدت بشكل كبير في نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن 20 فهي تقرير رسمي وصف ظاهرة الحج الغير النظامي للحجاج وذلك في سفينة ماسيليا Massilia ورفضهم النزول واختلاطهم بالحجاج الشرعيين وهناك تقارير تكشف عن وجود قرابة 170 حاجا من أعداد المرحلين من الحجاج العالقين في الحجاز، فهي رسالة من محافظ وهران يخبر فيها عن ثلاثة حجاج خرجوا من أولاد زيان الشرافة الذين راسلوا أهلهم من ليبيا بعد أن إستضافهم رجل يدعى الحاج إبراهيم الجزائري كانوا ينتظرون إعانات من ذويهم لإكمال رحلة الحج وبما أن أنه أصبحت

¹ نبيل شريخي، مرجع سابق، ص 279.

² محمد الأمين رحمانى، المرجع السابق، ص 196.

³ هوارى قبائلي، ظاهرة الحج الغير نظامي في الجزائر في الفترة الإستعمارية، مرجع سابق، ص 72.

كل الطرق تؤدي إلى مكة عبر تونس وليبيا، وعبر السويس أو المغرب حيث حج نحو 2426 مع البعثة المغربية وهو عدد كبير جدا جاؤو كلهم بشكل سري برغم قرار المنع الذي أصدرته السلطات الفرنسية في تلك السنة¹ وتعتبر الحرب العالمية الأولى أزهى مراحل ظاهرة الحج السري أو ما يعرف بالحج الغير النظامي بالنسبة للجزائريين وبالرغم من السلطات الفرنسية إتخذت بعد التدابير للحد من ظاهرة الحج السري حيث أصدرت قرار 1916م. 1334 هـ الذي أوصى بعزل الحجاج السريين بعد رجوعهم إلى أرض الوطن وذلك خوفا من قيامهم بنشاطات ودعاية ضد فرنسا، ففي سنة 1933/ 1351 هـ إتهم سمسار أوروبي من عنابة يسمى دومينيك نويستي بتحرير بعض الوثائق المزورة لبعض الحجاج الراغبين في الذهاب لتأدية فريضة الحج بصفة غير شرعية وتم في نفس العثور على تسعة حجاج غير نظاميين على متن سفينة فوراً تسللوا من ميناء الجزائر وفي سنة 1934م - 1352 هـ عثر على سفينة مادونا على أربعة عشر حاجا سريا، من بينهم طفل لا يتجاوز 12 من العمر بشكل سري لكن سرعان ما إختفت هذه الظاهرة للحج وذلك نظرا للأوضاع الدولية وانقطاع المواصلات في الحرب العالمية الثانية لكنها ستعود بعد توقيف التنظيم الرسمي للحج من طرف الإدارة الفرنسية.²

شكلت الهجرة الجزائرية نحو الديار الإسلامية صدمة بالنسبة للإدارة الفرنسية وضعت السلطات الحاكمة في مأزق حقيقي وجرح كبير، حتى أطلق عليه البعض بالوباء الحقيقي، حيث لجأ الفرنسيون في سبيل تثبيط الهجرة وكبح حجمها، حيث قامت السلطات الفرنسية بإصدار فتاوى من علماء الدين بالمشرق العربي وفي سنة 1911م لجأ الحاكم شارل جوناك إلى غلق الحدود الجزائرية خاصة مع تونس، في حين قام السلطان العثماني بإنشاء لجنة مكلفة بشؤون الهجرة والمهاجرين، وقد ضمت اللجنة في عضويتها شخصيات بارزة، وأوصى بمعاملة المهاجرين بنفس معاملة الأتراك خاصة الذين يقبلون الحنية العثمانية، كما شكلت الهجرة في احتدام وتصادم التنافس بين الفرنسيين والعثمانيين حول الولاء لأبناء الأمير عبد القادر.

¹ هواري قبايلي، ظاهرة الحج الغير نظامي في الجزائر في الفترة الإستعمارية، مرجع سابق، ص 81، 82.

² المرجع نفسه، ص 83، 84.

كما لعب أبناء الأمير عبد القادر دورا هاما في تشجيع الهجرة والدعاية للجامعة الإسلامية¹، وهذا كله من أجل الرد على السلطات الفرنسية في محاولة منها إلى منع الجزائريين من إقامة وممارسة نشاطاتهم الدينية وأهمها تقييد فريضة الحج.

وقد أرجع علال الفاسي واقع الهجرة ما بين 1898م إلى 1899م نحو بلاد المشرق وتركيا إلى أسباب سياسية، تتمثل في عدم قبول ورفض الوجود في الفرنسي في الجزائر في شكل هجرة احتجاجية وكان على رأس هذه النخبة أحمد أبو دربة أول محام جزائري تخرج من كلية الحقوق والصحافي صادق دندن والنائب المالي الحاج عمار وغايتها العمل على تحقيق الجامعة العربية لكشف وفضح السلطات الفرنسية أمام الرأي العالمي جراء سياسته الظالمة في حق الشعب الجزائري.²

كما تشير بعض المصادر الفرنسية إلى الدور الهائل الذي لعبته الزاوية الرحمانية في منطقة القبائل والمهدي السكلاوي فقد ننصح أهالي المنطقة بمغادرة الأرض المضطهدة وأن يهاجروا إلى الأراضي الإسلامية ليحافظوا على دينهم وديانتهم ودنياهم، وهكذا كانت الهجرة نحو البقاع المقدسة هروب من ظلم الإستعمار وسياسته في حق الجزائريين.

وامتدت ظاهرة الحج الغير النظامي إلى النساء فقط اشار تقرير المندوب الحكومي زانيتاشي على متن السفينة أتوس AthosII ومع خروج السفينة من تونس بدأ الحجاج الغير شرعيين يظهرون ومن بينهم امرأة إسمها بودة، أم الخير بنت مسعودة من عين التوتة جاءت من مدينة باتنة إلى مدينة الجزائر مشيا على الأقدام كما ذهب الحاج المذكور دحو محمد بن معسكر مشيا على الأقدام لمدة سبع أشهر حتى وصل إلى السويس ومنع من الدخول إلى الحجاز ويشير أيضا إلى العثور على قرابه 12 حاجا وجدوا في رحلة الذهاب من الجزائر كانوا قد تسللوا إلى السفينة،³ ومنهم نستنتج رغم الشروط والقوانين التي

¹ أحمد دراوي الجزائر، الجامعة الإسلامية 1876 1924، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ المعاصر،

كلية الآداب والعلوم الإنسانية قسم التاريخ بوزريعة جامعة الجزائر، السنة الجامعية 2007 2008، ص 71.

² علال الفاسي، الحركات الاستقلالية في المغرب العربي، دار الطباعة المغربية، المغرب، 1984، ص 9.

³ هواري قبائلي، «ظاهرة الحج الغير النظامي في الجزائر»، مرجع سابق، ص 86 ، 87.

وضعتها فرنسا للقضاء والحد من الحج الغير النظامي في الجزائر إلى أن الحجاج الجزائريين تمكنوا من أداء فريضة الحج رغما من شروطها وسياساتها واستطاعوا أن يتسللوا داخل السفن والهجرة نحو أداء فريضة الحج دون موافقة السلطات الفرنسية وبدون رخص والضرائب التي فرضتها الإدارة الفرنسية لم تمنع هذه الفئة من الدخول والذهاب إلى البقاع المقدسة.

تدابير الإدارة الفرنسية في مواجهة ظاهرة الحج الغير النظامي في الجزائر:

لقد حاولت السلطة الفرنسية الاستعمارية في الحد من ظاهرة الحج الغير النظامي في الجزائر عبر شتى جملة من القوانين الردعية ومن بينها اصدار قوانين لا تسمح بحج إلى البقاع المقدسة إلا من هم فوق 40 سنة، وفي سنة 1912م أصدرت فرنسا قرار يمنع السفر والهجرة عموما وليس الحج فقط، وذلك بسبب الهجرات الكبيرة التي شهدتها الجزائر، حيث أصدرت فرنسا قوانين ضد نقل الأمراض من طرف الحجاج الى السفينة إلى غاية إنقضاء 10 أيام لتجنب نقل الأمراض وعدم الإلتزام بهذه الإجراءات يعرض صاحبه من 3 إلى 15 يوما وبغرامة مالية تتراوح ما بين 5 إلى 50 فرنكا، وكل هذه الإجراءات من أجل التضيق على الحج.¹

حيث شهدت سنتي 1902م.1904م تميزت هذه المرحلة بالتضييق الشديد وفرض اجراءات عقابية على الحجاج السريين الذين كانوا يرفضون القيود الفرنسية ويتسللون عبر الحدود لأداء فريضة الحج حيث يتوجهون الجزائريون في رحلة محفوفة بالمخاطر تستغرق سنوات وعندما يعودون الى وطنهم يتصادمون بالسياسة الفرنسية وعقوبتها التي تتمثل في السجن الى تسعة أو ستة أشهر 16 اشهر في معتقلات تادميت لكن كل هذا لم يكن يخيف الجزائريين اكثر من تخوفهم من تلك الاجراءات التعرضية والإذلالية والتي تتمثل في عقوبة تعزيزية تطالب الحج السري كحلق اللحية والتي كان يفضل عليها الحاج الجزائري البقاء في الحجاز متشردا وبدل التعرض لهذه العقوبة حيث كانت هذه العقوبة والمتمثلة في حلق اللحية اشد قسوة على الحاج من اي عقوبة اخرى لان المسلم الجزائري لا يستطيع التخلي على اللحية والتي تمثل رمز لديانته وخاصة الحجاج الجزائريين فاللحية تمثل محل تقديس بالنسبة

¹نبيل شيرخي، مرجع سابق، ص 276.

للحجاج ولا يمكن الاستغناء عنها. لذلك استهدفت فرنسا هذه هي الخاصة لتطبيق سياستها كشرط تعجيزي في وجه الحجاج، كما اقدمت كذلك على قانون يلزم الحجاج بأخذ تصريح من اجل اداء فريضة الحج 20 اوت 1945م كما عملت ايضا على بالتحجج بالأمراض بهدف منع الحج،¹ ومنه عملت فرنسا جهودها الكامل في منع التضييق على الحج الغير النظامي في الجزائر.

كما نسقت الحكومة العامة الفرنسية في الجزائر مع سلطات الحماية في تونس لإلغاء القبض على كل الجزائريين المتسللين، كما جرت تشديد المراقبة على الحدود مع ليبيا وفي سوريا فخصصت فرنسا وحدات للدراسة من الحورانية والدروز وبهذا أصبح يشكل عدد الحجاج الغير النظاميين المقبوض عليهم بتهمة الحج الغير شرعي حيث أصبح يمثل تحدي للإدارة الاستعمارية مما يبرز فشل الإدارة الفرنسية في الاشراف على مسألة الحج والحجيج في الجزائر. والواضح أن ظاهرة الحج الغير النظامي ارهقت كامل الإدارة الفرنسية حيث صرحت سنة 1952م 1369هـ انها لم تصبح قادرة على تحمل أعباء ترحيل الحجاج الغير الشرعيين وفي الفترة نفسها اشارت تلغراف موجه الى وزارة الخارجية من القنصلية الفرنسية بمصر بوجود ما يقارب 250 مغاربي من الحجاج الغير شرعيين ومنهم من مكث في الحجاز أكثر من سنة ومنهم من يريد الرجوع الى وطنه واهله حيث ركزوا على السفن عند العودة نظرا لكونها اقل حراسة من السفن التي تتوجه في البداية اي طريق الذهاب².

ومنه يمكن القول بان بالرغم من الجهود التي بدلت الإدارة الفرنسية في محاربة الحج الغير نظامي الى انها فشلت في محاربته فكانت في كل مرة تقترب من الحد منه الى انها تفاجئ من جديد بمجموعة من الحجاج الغير النظاميين وهذا يدل على اصرار وقوه الحاج الجزائري في الدفاع عن هويته الوطنية والوقوف في وجه الاستعمار الفرنسي بشتى الوسائل والاساليب لان الدين هو الركيزة الأساسية لدى كل جزائري مسلم يحمل حبه لدينه ووطنه.

¹سعاد مصطفى، مرجع سابق، ص 20.

²هوارى قبائلي ظاهرة الحج غير النظامي في الجزائر، مرجع سابق، ص 96.94

المبحث الثاني: الاحتجاجات

نتيجة السياسة الفرنسية في الجزائر تجاه فريضة الحج وباعتبار أن الجزائريين هم المستهدفون بصفة خاصة من قبل السلطات الفرنسية وذلك من خلال جملة من القوانين والتشريعات التي أصدرتها فرنسا لمنع وتقييد ممارسة الحج على الجزائريين والعمل على محاربة اداء الفريضة تصاعدت جملة من الاحتجاجات كرد فعل على هذه السياسة التي تمس عقيدة المسلمين الجزائريين واثارت غضبهم تجاه الإدارة الفرنسية لذلك تصاعدت هذه الاحتجاجات في التصدي والمقاومة للإدارة الاستعمارية في منعها لأداء فريضة الحج.

لقد كان موقف الجزائريين من محاولة فرنسا منع الحج قويا اذ ورغم هذا المنع الذي تكرر لسنوات وبحجج متعددة الا ان الجزائري لم يتراجع في التوجه نحو اقدس بقاع الارض واطهرها واکرمها فكان الجزائريون يحجون سرا , ويشترون جوازات سفر مزورة كما استعملوا حتى الدراجات الهوائية والدواب والسير على الاقدام, فالحج يمثل بالنسبة للجزائريين امنية العمر وهذا ما لاحظناه في المجتمع الجزائري رغم الظروف القاهرة والعوز والفقر والقوانين الصارمة التي شنتها فرنسا الى ان الجزائريين لم يتوقفوا في القيام بفريضة الحج طيلة التواجد الفرنسي في الجزائر.¹

كما أن بعض ردود فعل الجزائريين كان لها عدة صور فمثلا بعض الحجاج الجزائريين كانوا يذهبون عبر السفن الانجليزية من تونس لانخفاض اسعارهم وعدم تركيزها على الوثائق والاجراءات الإدارية ثم يعودون في السفن الفرنسية وهي الظاهرة التي ستغضب السلطات الفرنسية كما نجد ايضا بعض الجزائريين يتجهون بحجة الرحلات العلمية وربما حتى السياسية من اجل الحصول على ترخيص للسفر من هناك يقوم الجزائريون بفريضة الحج.² حيث شرع جيلوت Guillot ابتداء من 23 جانفي 1905م في تدوين تقريره على متن الباخرة امريكا وهي سفينة بخارية تابعة لشركة الملاحة الفرنسية سيبرمان فابر بلغ مجموع حجاج شمال افريقيا في ذلك الحين حوالي 6400 حاجه على 2200 مغربي 2326

¹سعاد مصطفىاوي، مرجع سابق، ص 24.

²محمد الأمين رحمان، مرجع سابق، ص 196.

تونس و 1866 جزائري حيث يرجع السبب الرئيسي في قلة العدد مقارنة بالمشرق واقصى الشرق الى صرامة الإدارة الفرنسية المفروضة على الحج بذريعة المحاذير الصحية والتي تدفع العديد من المغاربة الى المغادرة سرا الى الاماكن المقدسة.¹

حيث يتولى الإشراف على سفينة القافلة التي تؤدي الى الحج الذي يشرف على مسؤولية ادارة الخدمات الصحية ويقوم بتعيين طبيب مسلم لكل قافلة تضم اربعمائة حاج الذين يشتركون في رحلة الحج من قبل الإدارة الفرنسية ويرافقون الحجاج طوال فترة اقامتهم في الحجاز وكل هذه الصرامة من اجل تتبع واستفسار عدد الحجاج الجزائريين الذين يحملون الرخصة تثبت توجههم لأداء فريضة الحج.

حيث نشرت في 13 مارس 1936م صحيفه لا ديفانس اليومية التي يتأسها لمين لامودي وهي احدى وسائل الصحافة التابعة لجمعية العلماء المسلمين مقالا احتج فيه على ارتفاع اسعار التذاكر والمضايقات الإدارية التي يتعرض لها الحجاج كما يكتب الصحفي ابو الزهرة بالنسبة للتونسيين والمغاربة احرارا في اختيار سفينتهم كما اتهموا المكي مدير الجمعية الفرنسية للحج الى الاماكن المقدسة الإسلامية في موسم حج عامي 1935 1936 والذي اتهم باستغلال النفود السياسي الذي منحه اصله الشريف وانه ايضا مرتبط "بين غبريط" Ben Ghabrit هذه الشخصية البارزة المطلة على الصالونات الباريسية.

كما كانت طريقة نقل الحجاج الجزائريين من المسائل التي اثارها وندد بها نواب الحركة الوطنية في الجمعية الجزائرية ومنهم "حمد بومنجل" , و "بوتارم" وشكال "دحو" , "ايت شعلال" وبوخروخ وذلك في موسم حج عام 1950 م وتقديم شكوى الى الحاكم العام على هذه الطريقة التي لا تليق بتقل الحجاج وعلى السياسة التي تتبعها فرنسا المفرطة في حق الحجاج كما نجد ايضا الشاذلي المكي الذي بعث بتليغرام لعبد الرحمن غرام يندد فيها بسوء المعاملة الفرنسية للحجاج حيث جاء في تليغرام ما يلي لقد غادرت السفينة Anne Marie الجزائر في الخامس سبتمبر متجهة الى الحجاز وهذه السفينة عبارة

¹ أحمد نظيف، «الحاج بول جويلوت، مذكرات موظف استعماري عن رحلة الحج»، موقع حبر، 2023، ص10.

عن مركب شحن اجريت عليه تعديلات لنقل الحجاج الجزائريين والذين يسافرون في نفس الظروف التي يتم فيها نقل قطعان الحيوانات لقد تركت السفينة ان ماري وراء ما 80,000 حاجا جزائريا رغم انهم دفعوا تذاكر النقل واستوفوا جميع الاجراءات اللازمة للذهاب الى الحج.¹

وفي سنة 1946م واثناء رحلة الذهاب الى الحج وعلى ظهر السفينة بث أنصار الحزب الشيوعي في اوساط الحجيج الدعاية لمسألة فصل الدين عن الدولة. حيث وزعوا منشائر تتدد بتدخل الإدارة الفرنسية في شؤون الدين الإسلامي.

كما ندد الحجاج بظروف الاكتضاظ وسوء التغذية وانعدام اسباب الراحة على متن السفينة بلاطة Plata سنة 1929م بعدما دفع البعض تذكرة درجة اولى ووجد انفسهم في الدرجة الثالثة كما اشتكى المندوب المالي السيد علام الله من الظروف المزرية التي سافرت فيها البعثة الجزائرية وذلك لما تحميلة ضيق وانعدام شروط النظافة على متن سفين بلاطة وزاد على ذلك قله الماء والإهانة التي يتعرض لها الحجاج من طرف طاقم السفينة،² كما ندد نواب عن حركة الانتصار للحريات الديمقراطية في موسم حج لسنة 1953 بتخصيص سفينه ان ماري السيئة الذكر وقدم هؤلاء النواب شكوى جاء فيها باسم الساكنة المسلمة Au nom de la population musulmane نحن منتخبا حركة انتصار الحريات الديمقراطية ندد بشدة بالتدخل السافر وغير المقبول للإدارة في شؤون الحج وكذلك ضد ظروف السفر الصعبة بسببه تعتمد الإدارة على اختيار سفن شحن قديمة مثل ان ماري وهي سفينة مخصصة لنقل الحيوانات كما اننا نطالب بتعويض تسعين حاج زج بهم اسفل السفينة رغم دفعهم ثمن تذاكرهم الموقعون على الشكوى احمد مزغنة بوقادوم احمد خيضر ونواب الجمعية الجزائرية بلحاج احمد بودة شرشالي دماغ العتروس فروخي مصطفىاوي.³

¹ هواري قبايلي، «مسألة الحج في برامج الحركة الوطنية من خلال الأرشيف الفرنسي»، مرجع سابق، ص 597.

² هواري قبايلي، مسألة الحج في السياسة الإستعمارية الفرنسية بالجزائر 1894 1962، مرجع سابق، ص 189.

³ هواري قبايلي، «مسألة الحج في برامج الحركة الوطنية»، مرجع سابق ص 600.

كمان نددت صحيفة الدفاع la dofense في مقال لها بعنوان Le scandale du pèlerinage في 13 مارس 1936 م بقوه بالقيود والغلاء المفرط في التكاليف خاصة تذكرة السفر الى الحج، في وقت تسهل في الإدارة الفرنسية كل الصعاب للحجاج المسيحيين الراغبين في الحج منطقة "لورد" Lourdes حيث كل شركات النقل البحري والقطارات ترخص من اسعارها في فترة الحج الى هذه المنطقة كما نندت الصحيفة باختيار السفينة Sinaina من طرف الإدارة الفرنسية لنقل الحجاج رغم قدمها وعدم صلاحيتها لنقلهم الى البقاع المقدسة.¹

وتوالت الشكاوى من سفينة مندوزة بدعوى قلة شروط النظافة وغياب كل أسباب الراحة والنظافة وحملها لأعداد لا تستجيب قدرتها لذلك قام اعضاء من الحزب الشيوعي والشيخ الإبراهيمي بجمع معلومات عن السفينة ونشروا بيانا للتنديد بشركة صاحب الامتياز الناقلة للحجاج. حيث سمتها الصحافة الإسلامية بالسفينة المندوبة.² وهكذا تعالت الاصوات والشكاوى من قبل الجزائريين على الظروف والمآسي التي يعيشها الحجاج اثناء القيام بأداء فريضة الحج نحو البقاع المقدسة عن طريق تقديمه عرائض للحد من التصرفات الأخلاقية للإدارة الفرنسية وعدم احترامها لمقدسات الدين الاسلامي والحد من التدخل في شؤون الدينية للجزائريين.

الهجرة خارج الجزائر:

حيث عمل الجزائريون على جعل الهجرة هو السبب الرئيسي من اجل القيام بفريضة الحج واحتجاجا للسيطره عن الشؤون الإسلامية حيث سجلت هذه الظاهرة بقوة في عهد الحاكم العام جول كامبون كما يورد أبو القاسم سعد الله واتخاذ الحج سببا للهجرة أو ربما يقرر الحاج نفسه بعد الإنتهاء من أداء فريضة الحج البقاء في الحجاز أو بلد إسلامي آخر وعدم العودة للجزائر حيث نجد عائلة الشيخ الطيب العقبي والتي هاجرت مع رفقة عائلات اخرى من منطقته بسكرة سيدي عقبة الى الحجاز عام 1895م والذين بلغ عددهم حوالي 100 شخص ويتحدث الشيخ العقبي بنفسه قائلا عن احمد مريوش فيقول انتقلت

¹ هواري قبائلي، مسألة الحج في السياسة الاستعمارية الفرنسية بالجزائر، مرجع سابق، ص 194.

² المرجع نفسه، ص 195.

عائلتنا قاصدة مكة لحج الكعبة المشرفة ويرجع احمد مريوش السبب في الهجرة الى سياسة القهر التي اتبعتها السلطات الفرنسية تجاه العديد من العائلات الجزائرية فطلبت الرخصة من الإدارة الفرنسية آنذاك الخروج بشكل طبيعي من الجزائر وهكذا تمكن الجزائريون من اداء فريضة الحج بشكل سري¹.

اصبح البعض من الجزائريين ينتهز فرصة الحج للبقاء في الحجاز نهائيا ففي سنة 1836م من اصل 1293 حاجا أثر 120 حاجا البقاء بصفه نهائية في البقاع المقدسة ولذلك عملت على التقليل وكبح هذه الهجرة التي اصبحت تهدد مستقبلها وتزعزع مكانتها، ومنه كان الحج بمثابة القلب النابض لدى كل مسلم جزائري فابرغم من الجهود التي بذتها فرنسا للقضاء ومنع أداء الفريضة الإسلامية والتمكن من أداء فريضة الحج سواء من خلال السماح لهم وبذلك تكون بصفة منظمة تشرف عليها فرنسا أو بعدم إرضاءهم ورغم عنهم اتخذت شكل فردي وجماعي سري وعن طريق الهجرة والرحلات العلمية من اجل تحقيق الركن الخامس من أركان الإسلام. ويبدو أن إندلاع الثورة الجزائرية لم يوقف هذه الهجرة بل زادها من حدتها حيث سجل تقرير سنة 1955 تزايد في الحاج الذين يؤمنون بصفة فردية ويدخلون الحجاز عبر الأردن وهذا ما دفع بالسلطات الفرنسية الى ارسال 165 قطار من القمح لفائدة الرعايا الفرنسيين المقيمين في السعودية بمناسبة موسم الحج².

كما شهدت الفترة ما بين الحربين العالميتين الأولى والثانية هجرة الجزائريين حيث كانت هذه الهجرة انتقائية من طرف النخب التقليدية الذين فضلوا البقاء فيها اي في الحجاز نظرا لأغراض شتى دينية وروحية بالدرجة الاولى وهربا من الظلم الإستعماري ومن حكمه خاصة وان هذه الفترة شهدت بروز الفكر الاصلاحى مما ساهم هذا الاخير في هجرت النخب وبعض التجار والإقامة وعدم الرجوع الى الجزائر مما يميز رحلة الجزائريين الاستقرار في الحجاز هي انها خصصت مناطق معينة امتدت وشكلت كل من سيدي عقبة , بسكرة , تقرت , وادي السوق دون غيرها من المناطق الاخرى واصبح البعض ينتهز فرصة الحج لإقامة نهائية في الحجاز ففي سنة 1936 من اصل 1292 حاجا للبقاء

¹ محمد الأمين رحمانى، مرجع سابق، ص 197.

² هواري قبائلي، مسألة الحج في السياسة الاستعمارية الفرنسية بالجزائر 1894-1962م، مرجع سابق، ص 273، 276.

في البقاع المقدسة من الى عنصر النسوة.¹ وهذا كله نتيجة السياسة الفرنسية وقوانينها الصارمة في حق الجزائريين ككل ومنعها من إقامة الشعائر الدينية المقدسة التي كانت واجبة على كل مسلم جزائري ولمحاربة هذه السياسة الظالمة ، عمل الحجاج الجزائريين من اقامه شعائرهم الدينية مستخدمين شتى الوسائل والاساليب لتحقيق هذه الغاية الدينية والتي تمشي في قلب كل الجزائري ، كما كتفت الحكومة الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية جهودها في موسم الحج من خلال توزيع المنشورات بجميع اللغات على الحجاج للتدديد بفضائح الحرب ومعاناة الجزائريين من القوى الاستعمارية.²

المبحث الثالث: موقف تيارات الحركة الوطنية من السياسة الاستعمارية تجاه فريضة الحج

1- موقف جمعية العلماء المسلمين من فريضة الحج

تعتبر فريضة الحج من أهم المسائل والموضوعات التي نالت اهتمام وانشغال السلطات الفرنسية وذلك لما تحمله رحلة الحج الى البقاع المقدسة من اخطار تهدد كيان الاستعمار من خلال أداء الفريضة خارج الحدود وترى في فرنسا فرصه للخروج عن سيطرتها وقيودها وتخوفا من تمنى سياسة ضدها لذلك قامت بعدة اجراءات للحد منه حيث ظهرت مجموعة من الاعيان والشخصيات الإسلامية كرد فعل على هذه الاجراءات المتمثلة في منع الحج تبنت مواقف تبلورت في الدفاع عن فريضة الحج الجزائري.

أ- الدعوة الى الحج

اهتمت جمعية العلماء المسلمين بفريضة الحج في الجزائر وذلك من خلال اهتمامها بالحجاج حيث كانت تقوم بتجهيز احتفالات كتكريم لحجاج بيت الله الحرام من طرف جمعية التربية والتعليم الإسلامية حيث كانت تحتفل بهم في نادي الاتحاد حيث جاء في القول وكان يضيف عن افواج الراغبين في السلام على الحجاج والتبرك بهم فرأت هذا العام ان تحتفل بهم في الجامع الكبير فذهب السيد الحاج

¹ هوارى قبائلي، مسألة الحج، مرجع سابق، ص 273.

²- Chantre luc, Le peleringes D'Empire, op cit, p 428.

ادريس المحامي كاتبها العام والنائب البلدي والسيد حسين بن شريف امين ماليتها والنائب البلدي فطلب الاذن من الكاتب العام بدار العمالة فأذن لهم وبعد هذا الاذن اصدرت الجمعية منشورا على الناس يوم الثلاثاء هذا نفسه جاء فيه جمعية التربية وتعليم الإسلامية بقسنطينة تكرم حجاج بيت الله الحرام.¹ كما عملت الجمعية على نشر مقالات تحفز فيها الناس على الحج الى البقاع المقدسة فنشرت في أحد مقالاتها البصائر مقالا لأحمد بن محمد جمال الحريري بعنوان دعوة إلى الحج الصادر سنة 1937م وتقول فريضة الحج أصبحت سهلة والحج أصبح ميسور الحال لكل أحد من الناس ولا فرق في ذلك بين الغني والفقير والنفقات صارت لا توازي ربع ما كان ينفقه الحاج في الزمن الماضي وذلك لأن أجور السيارات والجمال والمساكن وقيمة الأطعمة وسائر المأكولات والملبوسات من جميع الأصناف وكل ما يحتاج إليه الحاج في مكة المكرمة والمدينة المنورة وجدة وكافة بلاد الحجاز كلها أصبحت بأسعار رخيصة مما يجعل جميع المسلمين في مرور عظيم بهذا الرخاء العميم وأيضا توفر الأمن لذلك يجب أن لا يضيعوا الفرصة الإسلامية المقدسة.²

كما حفزت جريدة البصائر في مقالها المضمون بالحج 1938 الأمة الجزائرية على أداء فريضة الحج باعتباره مؤتمر إسلامي عظيم كبير ويقصده المسلمون كل عام، وهم فرحين ومبشرين ومكبرين، حيث استدلت في تحفيزها على أداء فريضة الحج على قول الرسول صلى الله عليه وسلم عندما سأله أبو هريرة رضي الله عنه أي عمل أحسن قال إيمان بالله ورسوله قبل ثم ماذا قال الجهاد في سبيل الله قيل ثم ماذا قال حج مبرور وفي نفس المقال وضحت وصرحت بأن الحج هو مركز لتعاون والتناثر ويحقق التعارف بين جميع المسلمين وفرصة للتخلص من الأعداء والخصوم في حج سنة 1357 والموافق ل 1938 عملت الحكومة السعودية على نشر نداء عام من للحجاج في مقالها بعنوان نداء عام يوجهه مكتب الدعاية للحج الصادر سنة 1938م يدور حول توفير خدمات للحجاج ومنها توفير الجمال

¹ عبد الحميد بن باديس، «إحتفال جمعية التربية والتعليم الإسلامية بالحجاج»، البصائر، السلسلة الأولى، العدد

104، 20 مارس 1937، ص 25.

² أحمد بن محمد جمال الحريري «دعوة إلى الحج»، البصائر، السلسلة الأولى، عدد 50، 08 جانفي 1937 ص 6.

والسيارات والطائرات أي كل ما يتعلق بتسهيل الأمور على الحجاج وتوفير الأمن وكل هذا من أجل القيام بفريضة الحج الى إلى البقاع المقدسة والتشجيع عليها.¹

ب - موقف جمعية العلماء المسلمين من السياسة الفرنسية تجاه الحج

خصصت جريدة البصائر مجموعة من المقالات تناولت فيها موقف جمعية العلماء المسلمين من التجاوزات والانتهاكات التي يتعرض لها الحجاج من قبل الإدارة الفرنسية حيث سخطت جمعية العلماء المسلمين الجزائريين عن المعاملة السيئة التي عومل بها الحجاج سنة 1357هـ الموافق ل 1937 فحاولت ايجاد حلول لذلك حسب قول الطيب العقبي في مقالة حول رحلة الباخرة مندوزة الى الحجاز والتي حققت معاناة الحجاج الجزائريين لذلك قامت الجمعية بتأسيس لجنة الدفاع عن حجاج بيت الله الحرام في 28 جانفي بنادي الترقى وأول عمل قامت به الجمعية هو ارسال برقية الى رجال الحكومة العليا بباريس والى الوالي العام في القطر الجزائري م لومبو M lobo تحتج بها على ما وقع وتستجد الحكومة لإنقاذ الحجاج كما قاموا باحتجاج لدى السلطات العليا مطالبين بحريتهم الحرية في اختيار سفرهم الى الحج بعد اجراء كل معاملات القانونية،² حيث جاءت في جريدة البصائر تحت عنوان نشرته جريدة البصائر حول عنوان نشرته جريدة الطان في العلاقات بالحجيج ولما بزغت شمس الغد خرج الأستاذ ابن باديس للعلاقات بالرفاق الحجاج ،وبعد الجلوس الوفود لتقدم احتجاجات على عدم استجابة السلطات لمطالبهم المتعلقة بالحج ولما صعدوا على متن الباخرة وبعد التعرف بالسيد السوبر يقي، وكميسار البلدة تقدم الأستاذ عبد الحميد ابن باديس أمام الوفد والسيد بن أوزان.³ وهذا يدل على المجهودات التي قامت بها الجمعية في الدفاع على فريضة الحج من الانتهاكات الإدارية الفرنسية.

2 هيناس عمارية، ميهوب زواوية، قضايا الدين الإسلامي في صحافة جمعية العلماء المسلمين الجزائريين جريدة البصائر أتمونجا 1930-1976، مذكرة لنيل شهادة الماستر كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة ابن خلدون تيارت، 2021-2022، ص45

² هيناس عمارية، ميهوب زواوية، مرجع سابق، ص 49.

³ «الشمال الإفريقي اليومية الفرنسية»، جريدة البصائر، السلسلة الأولى، ع1، 2 فيفري 1936، ص49

قام الشيخ حسين محمد الصغير المدعو أحمد بن شريف ممثل جمعية العلماء ومراسل جريدة المغرب العربي والبصائر في موسم سنة 1951م بإلقاء دروس أثناء الرحلة على ظهر السفينة تحمل في موجات في طياتها الاتجاه الإصلاحية كان على اتصال مع الشيخ البشير الإبراهيمي ويعلمه بكل ما يحدث كما قام الشيخ محمد البشير الإبراهيمي أثناء حجه في سنة 1953م بالاتصال بالعديد من الشخصيات الإسلامية أهمها الرئيس "محمد نجيب" حيث تباحثوا حول الأوضاع في الجزائر وبفضل هذا اللقاء ألقى محمد نجيب خطابا في موسم الحج ندد فيه بالسياسة الفرنسية المنتهجة في المغرب العربي¹.

كما نجد محمد البشير الإبراهيمي في مقاله بعنوان "الحج الصادرة" 1947م ويقول في هذا الصدد: «سكتنا عن مرارة السكوت عن لا رضى بما نضع الحكومة في شعيرة اسلامية محطة ولا قرار لعبثها بديننا ولكننا سكتنا انتظارا لانسداد الستار حتى تقدم الحجة وتنقطع المعاذير أضيفت قضية الحج إلى قضايا المساجد والأوقاف والتعليم الديني وتحمل الحملات الصادقة في سبيل تحريرها فالتعلم هذه الحكومة السائرة على منهج لا يتبدل في المطالبة بحقنا الديني الطبيعي وفي التطلع منها والتشيع عليها وإننا لها بالمرصاد»².

ومن هنا نستنتج أن فرنسا قامت بمنع الحج والوقوف في وجهه كما فعلت مع المؤسسات الدينية كالوقف والمساجد والزوايا وذلك لتسهيل مهمتها في بسط سيطرتها ونفوذها في الجزائر. حيث قال أيضا "يتحكم الإستعمار الفرنسي في الحج ويجري عليه ألعابه حيث يخرج عن حقيقته الدينية التي هي معاملة بين المسلم وربه إلى مساومة تجارية سياسية أحد طرفيها الدين والضمير وإلى معاملة استبدادية بين حاكم مسيحي مستبد بيده الباب ومفتاحه والرخصة والذهب والمركب وطرق السفر والبر والبحر والجو وبين مسلم مغلوب على أمره ليس له إلا الإيمان في قلبه رأى الإستعمار شرطه الثقيل على المسلم فأضاف إليها شروطا من عند تثقل الكواهل وتجرح الضمائر وتنافي الروح الديني وتشوي الإخلاص القلبى،

¹ هواري قبائلي «مسألة الحج في برامج الحركة الوطنية من خلال وثائق ميناء الأرشيف الفرنسي 1945-1954»، مجلة الحضارة الإسلامية، العدد 2، أكتوبر 2021، ص 595.

² محمد البشير الإبراهيمي، أثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، الجزء الثالث، عيون البصائر، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1997 ص 73.

وزادت امتداد الفوضى في الاجراءات واختلفت الادارات فهذه تعطي الرخص وهذه تمنع وهذه توسع وتلك تضيق والحاج المسكين يجد نفسه بين هذه الاجراءات كالكره تتقاذفها اللحج وأما لهم في الحج تبقى معلقة وأوقاتهم ضائعة حتى ظنوا أن ليست حكومة مسيطرة ولا نظام متبع ولا قانون نافذا ونقول مؤكدين أن كثيرين منهم لم يستقروا إلى ساعة السفر وأنهم مسافرين مع أن الرخص والنقذ في جيوبهم وأثار التلقيح في جنوبهم لكثرة ما سمعوا من الوعود المتناقضة مر بالإعطاء ومرة بالحرمان حيث رأينا في الأيام الأخيرة أن رجال البوليس يبلغون أمرا حكوميا صادرا من دار العامل يقضي بإلغاء الترخيص لمن حجوا في العام الماضي لذلك يجب فصل الدين عن الحكومة لتجنب هذه الاعتداءات المتكررة في حق الحاج الجزائريين فليسعوا إليها متساندين وليعملوا عليها متوحدين فإذا حصلنا الفصل رجعنا إلى الأصل وإذا نقضنا الأساس لهذه القضية انتقضت فروعها.¹

ومنه يمكن القضاء على السياسة الفرنسية تجاه فريضة الحج من خلال محاربتها وفصل الدين عن الحكومة لتجنب التدخل فيه من قبل الإدارة الفرنسية، حيث كانت لجمعية العلماء المسلمين إتصالات ومعارف عديدة وعميقة مع شخصيات في الحجاز تعود هذه الإتصالات والعلاقات إلى فترة إقامتهم المبكرة في البقاع المقدسة في مراحل التكوين العلمي سمحت لهم بإقامة علاقات ومعارف مع أهم النخب في الحجاز من علماء وأعيان وأثرياء مما سيساعدهم هذه العلاقات في خدمة القضية الوطنية الجزائرية ولم يقتصر هذا كله على الجانب الجزائري فقط بل عملت جميع الحركات الوطنية التحررية في أقطار المغرب العربي على إستغلال فريضة الحج لبث أفكارها والتنسيق فيما بين أعضائها والإستعمال بالجهات الخارجية في المشرق.²

فالحج هو إحدى الوسائل العامة التي إستعملها دعاة الجامعة الإسلامية لتبليغ أفكارهم ونشر دعوتهم عبر الأقطار المتباعدة وبمناسبة أن إحدى غايات الحج الأساسية هوا تحقيق وحدة المسلمين وتمنين أواصر الأخوة و التكافل بينهم فالحج بالنسبة للمسلمين هو المؤتمر الإسلامي السنوي العام فيه تتباحث

¹ محمد البشير الإبراهيمي، أثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، عيون البصائر، مصدر سابق، ص75، 76.

² هوارى قبائلي، «مسألة الحج في برامج الحركة الوطنية»، مرجع سابق، ص592.

الوفود الإسلامية والنواب المسلمون العار يكون من إبطار المعمور الإسلامي كافة في مصالح الإسلام وفيه يقوم هؤلاء بوضع الحطط ورسم الصواعق للدفاع عن بيضة الإسلام ونشر الدعوة في سبيل الرسالة لذلك فالحج شاهد ومبلغ وحامل لرسائل عديدة ذات معاني دينية وسياسية أيضا يصب بعضها في إطار الدعوة إلى الجامعة الإسلامية ويمثل الحج ركن من أركان الجامعة الإسلامية حيث عينت له الإهتمام الكبير نتيجة سياسية والإدارة الفرنسية تجاه الحج والعمل على عرقلته من خلال جملة الإجراءات التي وضعتها ونتيجة هذه السياسة المحجفة لقيت تلك التصرفات إستعجالات داخليا وحملة واسعة من طرف الصحافة العربية والعثمانية في المشرق كما إستعملت التقارير على حكومة باريس من طرق قناصلها في المشرق تحذر من مغبة تضرر سمعة فرنسا في العالم العربي¹.

ت -النشاط السياسي والدعائي للأحزاب الحركة الوطنية أثناء مواسم الحج: لقد شكل موسم الحج فرصة بالنسبة لعدد من زعماء الحركة الوطنية وذلك من خلال قضاء فريضة الحج خارج البلاد والإبتعاد عن الإدارة ومرافقتها لمعظم الحركات الوطنية الجزائرية. لذلك الحج وسيلة مهمة بالنسبة للقادة وأعضاء الأحزاب و التيارات الوطنية لكن الإدارة الفرنسية كانت تمنع الحج في حق الزعماء بعد تقطنها من الخطر الذي سيلحق بها نتيجة هذه الفريضة وبالاغتماد على الأجهزة الاستخباراتية الفرنسية التي تزودها بمختلف هذه المعلومات. لكن كل هذا لم تمنع زعماء الحركة الوطنية من استغلال الحج لاتصال مع بعض النشطاء المشاركة في سنة 1946م وبالضبط في ليلة الثاني من نوفمبر إلتقى الأمير منصور في مزدلفة ببعض الحجاج الجزائريين من ضمنهم أشخاص من مدينة المحمدية معسكر حيث تطرقوا إلى القضية الجزائرية وأكد لهم أن بريطانيا تحاول إقامة مملكة حرة في الجزائر بقيادة الأمير سعيد حفيد الأمير عبد القادر².

وهكذا وصل النشاط السياسي للحركة الوطنية ولم يترك وسيلة للتعريف بالقضية إلا واستعملتها وذلك بدءا بمراسم توديع الحجاج والتتديد بالإدارة الفرنسية تجاه الحجاج وسياستها والمطالبة بفصل الدين عن

¹ أحمد دراوي الجزائر والجامعة الإسلامية 1876_1924، اشراف مولود عويمر، مرجع سابق، ص66.

² هوارى قبائلي «مسألة الحج في برامج الحركة الوطنية من خلال الأرشيف الفرنسي»، مرجع سابق، ص595.

الدولة وهي القضية التي كانت محل الصراع بين الإدارة الاستعمارية والحركة الوطنية ولم تغيب الحركة الوطنية في استغلال موسم الحج حيث حاول الطبيب الدكتور الخالدي النزول في بورسعيد حيث التقى هناك فرحات عباس الذي كان مدعوا في حفل الذكرى الثانية لاندلاع الثورة المصرية ليشق طريقه بعد ذلك إلى القاهرة كما حاول المناضل أحمد خيضر بالاتصال ببعض الحجاج في السويس وبعدها التقى بالبشير الإبراهيمي.¹

كما قام الحزب الشيوعي بانتهاز فرصة الحج البث ونشر الدعاية الشيوعية حيث تم العثور عن منشائر شيوعية في رحلة الذهاب في هذه السنة في 1950م مطبوعة في الإتحاد السوفياتي وزعت على ظهر السفينة وقد وجهت أصابع الاتهام للبعض من طاقم السفينة أما في سنة 1953م حج مرة أخرى الشيخ البشير الإبراهيمي وقام بالاتصال بالعديد من الشخصيات الإسلامية أبرزها الرئيس محمد نجيب تباحثوا خلالها الأوضاع في الجزائر وربما بسبب هذا اللقاء ألقى محمد نجيب خطابا حاد في موسم الحج ندد فيه السياسة الفرنسية المستعملة في المغرب العربي كما وزع على الحجاج خطابا شديد اللهجة بقلم مصطفى بشير المدعو المهدي محمد لخضر ممثل الإتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري في القاهرة حيث كان كاتباً صحافياً في جريدة "la République algérienne" كما حاول طاقم السفينة mekka وهي سفينة مصرية كانت السلطات الفرنسية تقوم بكرائها من أجل نقل الحجاج الجزائريين في الخمسينات قامت بالدعاية للوحدة العربية ورفعوا صور محمد نجيب وهو ما تم العثور عليه في وهران وعنابة صور الرئيس المصري.

كما كانت الطريقة التي تنتقل الحجاج إلى البقاع المقدسة من المسائل التي أثارها وندد بها نواب الحركة الوطنية في الجمعية الجزائرية وذلك من خلال الظروف التي نقل فيها الحجاج في موسم حج 1950 وسوء معاملة فرنسا للحجاج الجزائريين والظروف التي يعاني منها الحجاج عن طريق تدخل الإدارة الاستعمارية في الشؤون الدينية حيث جاء هذا المركب سوف يحط اليوم أو غدا في بورسعيد أسألك باسم كل علاقات روابط الأخوة التي تجمع الجزائر ومصر وأتوسل لسيادتكم لإرسال مندوب من طرفكم

¹ هواري قبايلي مسألة الحج في السياسة الإستعمارية الفرنسية بالجزائر، ص 383. 384

إلى بورسعيد أيجري تحقيقاً حول هذه القضية وكل الإجراءات الفرنسية التي تعتبر حقداً ضد العروبة والإسلام... سأكون ممتن إذا تدخلتم باسم الأخوة والإنسانية لدى السلطات الفرنسية لكي تضعوا حد لهذه الممارسات ضد الإسلام ولكي يتم وضع سفينة أخرى تحت تصرف الحجاج في رحلة الإياب في الجزائر وهي التي طالما تشددت بمبدأ فصل الدين عن الدولة واضحت تحشر نفسها في أمور لا يفهمها ولا تعني إلا المسلمين أنفسهم في وقت تمنح حرية كاملة للكاتوليك اليهود في إدارة شؤون دينهم¹.

ومنه خطاب ظاهر في مطالبه بعدم تدخل الإدارة الفرنسية في الشؤون الدينية للجزائريين وخاصة في أداء الفريضة إلى البقاع المقدسة لأن هذا يخص الجزائريين فقط دون سواهم وعلى السلطات الفرنسية احترام هذا ويدعوا إلى الكف عن إلحاق الأذى وسوء معاملة الحجاج أثناء الرحلة و توفير ظروف جيدة وأمنة أثناء الرحلة وهكذا كان موقف التيارات الوطنية من سياسة فرنسا المقاومة في منع الحج على الجزائريين لكنهم لم يسكتوا في التنديد وتقديم الشكاوى وإيصالها إلى الرأي العام والعالمي من أجل تحقيق الإستقلال وتحويل القضية الجزائرية في المحافل الدولية من خلال إستغلال فريضة الحج في إيصال الآراء والأفكار والبحث عن دول مناصرة تدعم و تدافع عن القضية الجزائرية. كما كان موقف الشيخ بن باديس والذي درس في الزيتونية بتونس قام بالحج عام 1914م ولقد حاصرته الحرب العالمية الأولى في الحجاز وبقي هناك ثلاث سنوات حيث اتبع في المدينة المنورة المصلح محمد البشير الإبراهيمي وبعد عودته من الأراضي المقدسة ذهب إلى القاهرة حيث التقى رشيد رضا في مناسبات عديدة قبل أن يعود إلى قسنطينة وفي عام 1925 م أسس صحيفة السحاب وإلى جانب ابن باديس لآبد من ذكر الشيخ الطيب العقبي وبعد دراسة في الحجاز أصبح مدير لجريدة القبلة والتي دعت إلى التشيع بمبادئ الدين والدعوة إلى الحج وعن التطبيق الخاطئ لقانون الفصل بين الدين والدولة للسلطات بالسيطرة ومحاربة الإسلام وهذا كله خاطئ².

¹ هواري قبايلي مسألة الحج في برامج الحركة الوطنية من خلال الأرشيف الفرنسي، مرجح سابق، 597 .

² chantre luc pèlerinages, **D Gnpire une histoire tunsopéenne pèlerinage à la Mecque**, universitaire paris 1, pant heon Sorbonne, 2018, P 318.

كما لعبت أيضا الطريقة الأخوية لإسلام في شمال إفريقيا دورا هاما في تنظيم المقاومة ضد المحتل ومنها الطريقة القادرية لعبد القادر والرحمانية للمقراني خلال الثورة الكبرى 1871م التي تسعى إلى تفكيك الهياكل القاعدية لاستعمار عن طريق اللجوء إلى الجمعيات الدينية وخوف فرنسا على مصالحها وانتشار الثورة ضدها عملت على منع الحج والتضييق على الجزائريين وذلك ضمان لعدم تحريض الشعب على الإدارة الاستعمارية وعدم القيام بثورة ضدهم عن طريق الالتفاف والخروج خارج البلد قصدا إقامة فريضة الحج والبحث عن حل لاستقلال الجزائر وهكذا كانت ردود فعل التيارات والأحزاب والجمعيات الوطنية الجزائرية ضد منع الحج في الجزائر،¹ ويبدو أن هذه الدعاية ضد فرنسا وكل القوى الاستعمارية أثناء مواسم الحج ساهمت في الإساءة لسمعة فرنسا والتي كانت تقوم بها الحركات الوطنية المناهضة وهذا ما أشار إليه التقرير الفرنسي سنة 1949م وحذر من عواقب هذه النشاطات هذه المخاوف كانت مبررة إذا أخذنا في الحسبان النشاط الكبير الذي كانت تمارسه الحركات الوطنية في الحجاز.² وفي الأخير نستنتج أن الحركة الوطنية استعملت فرصة الحج لبث دعاياتها ونشاطاتها وهو بمثابة فرصة لالتقاء الشخصيات السياسية في الداخل والخارج. رغم التضييقات التي وضعتها فرنسا أمام الحجاج إلا أن هذا كله لم يمنع نشاط الحركة الوطنية في التعريف بالقضية الجزائرية وكشف حقيقة الاستعمار الفرنسي.

¹- chantre lui, **le pèlerinage à la Mecque a l'époque coloniale (1866_1940)**, France grand, Bretagne Italie de doctorat, Université de Poitiers, 2012, P130

²هوارى قبائلي، مسألة الحج، مرجع سابق، ص378

الخاتمة

الخاتمة:

خلال فترة الاستعمار لم تكن السياسة الفرنسية اتجاه فريضة الحج في الجزائر دينية فقط بل كانت سياسية و امنية و سعت ادارتها الى فرض رقابة صارمة على الحجاج و تقييد حريتهم بهدف الحد من تاثيرات الحج الدينية و السياسية و ادراكها لدور هذه الفريضة في تقوية الوعي الإسلامي و الوطني لدي الجزائريين . ومن خلال دراستنا لموضوع السياسة الاستعمارية الفرنسية تجاه فريضة الحج من 1830 وإلى غاية 1954 توصلنا إلى مجموعة من النتائج التي من أهمها:

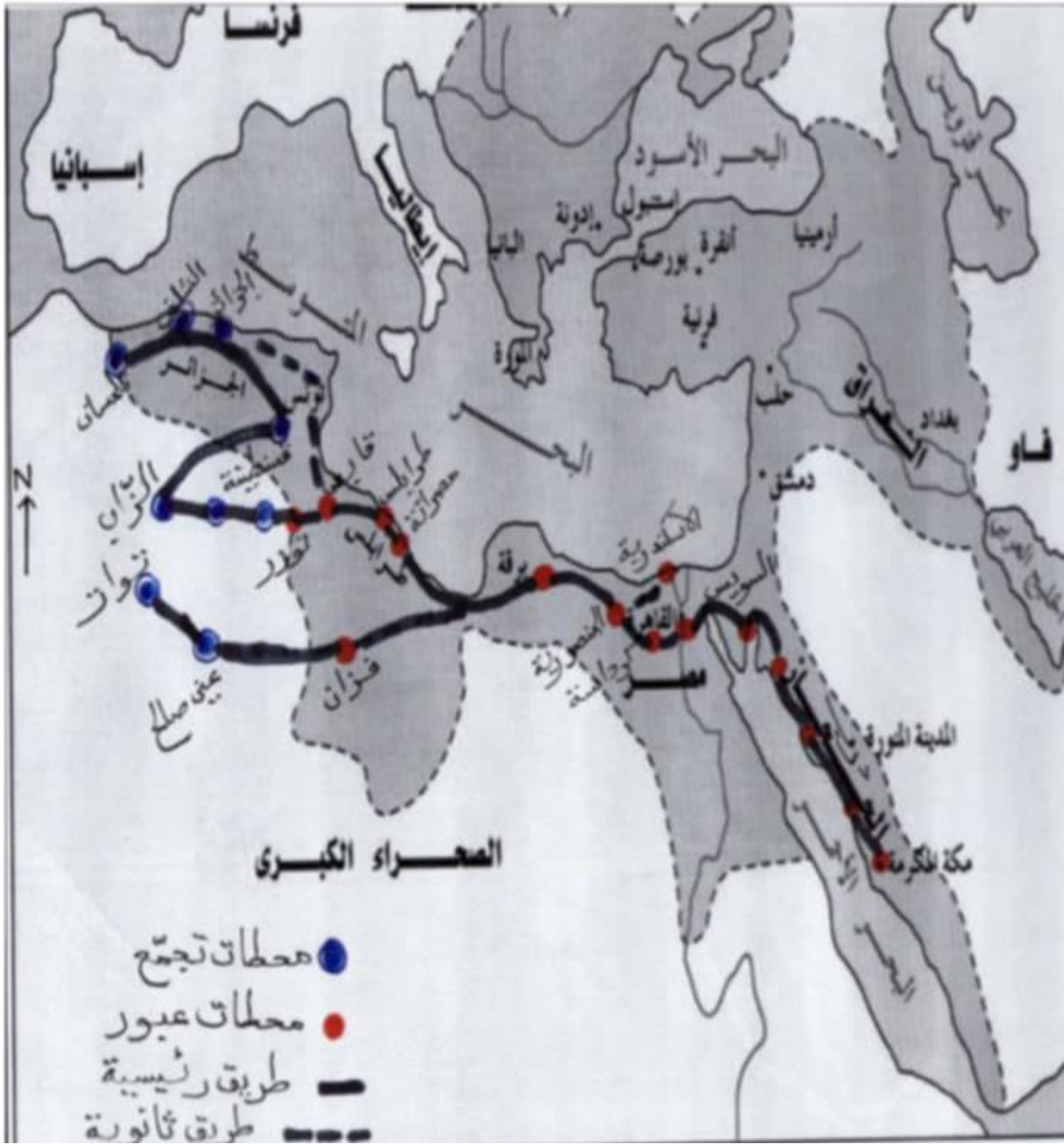
- كانت الإدارة الاستعمارية ترى في الدين الإسلامي بمختلف مؤسساته وأركانه عائقاً كبيراً في طريق فرض سيطرتها على الجزائريين وفي طريق تطبيق سياستها الاستيطانية.
- منذ احتلالها للجزائر اعتمدت الإدارة الاستعمارية الفرنسية سياسة قمعية اتجاه كل ما يبتبط بالدين الاسلامي وعلى رأسها المؤسسات الدينية ، فقد عملت على مراقبتها و التضيق عليها من خلال سن مجموعة من القوانين والتشريعات التي كان ظاهرها تحسين أوضاع الجزائريين ودمجهم في الحضارة الأوروبية، لكن الهدف الحقيقي منها كان طمس هوية المجتمع الجزائري والقضاء على مقوماته التي على رأسها الدين الإسلامي.
- منذ بداية احتلالها للجزائر سارعت الإدارة الاستعمارية الى اغلاق المؤسسات الدينية الإسلامية ونشر الديانة المسيحية، وتهجير العلماء والأئمة الجزائريين . وقد جاءت هذه الإجراءات بدافع الخوف من التأثير القوي للدين الإسلامي في نفوس الجزائريين ، باعتباره عنصراً مركزياً في الحفاظ على هويتهم ومقاومتهم للاستعمار.
- كان ركب الحجاج الجزائريين قبل الاحتلال الفرنسي يتميز باستقلاله في مساره عن باقي ركب الحجاج المغاربة، وقد عرف بكثرة الحجاج رغم ما كان يواجهه من صعوبات جمة ، على رأسها بعد المسافة، تقلبات الطقس و انتشار الامراض إضافة إلى مخاطر اللصوص وقطاع الطرق وغيرها من التحديات التي لم تتن الجزائريين عن أداء فريضة الحج .
- سارعت الإدارة الاستعمارية الفرنسية منذ احتلالها للجزائر إلى محاولة الحد من فريضة الحج وتقييدها، معتبرة إياها تهديداً لامنّها و لمستقبل وجودها في المستعمرة . و لهذا الغرض أصدرت سلسلة من القوانين والتشريعات التي استهدفت التضيق على أداء هذه الشعيرة الإسلامية و كان

من ابرزها قرار 10 ديسمبر 1894 الذي منح الإدارة الاستعمارية وحيداً صلاحية الإشراف الكامل على شؤون الحج والحجاج الجزائريين .

- قامت الإدارة الاستعمارية من خلال سياستها الدينية في الجزائر ومن خلال قوانينها بمراقبة ركب الحجاج الجزائريين ثم التقليل من أعدادهم وكذلك فرض قيود عليهم وذلك بسبب تخوفها الدائم من هذه الفريضة كونها تتم خارج الحدود الجغرافية للجزائر وخارج نفوذ الاحتلال الفرنسي.
- أسفرت السياسة الاستعمارية تجاه فريضة الحج في الجزائر والتي قامت على تقييد هذه الشعيرة والتضييق على الحجاج ، عن ردود فعل قوية من الجزائريين، الذين لم يرضخوا لهذه الإجراءات ، بل أصروا على أداء الفريضة رغم القيود والقوانين المفروضة ، وتمثلت هذه الردود في لجوء الكثير منهم الى أداء الحج بطرق سرية فيما عرف بالحج غير النظامي، الى جانب احتجاجات سلمية عبر من خلالها الأهالي الجزائريين و كذا تيارات وأحزاب الحركة الوطنية الجزائرية عن رفضهم لهذه السياسة وعلى رسها جمعية العلماء المسلمين الجزائريين لعبت دورا بارزا في التصدي لهذه التجاوزات و الدفاع عن قدسية الشغائر الإسلامية.
- استغلت تيارات وأحزاب الحركة الوطنية هذه الفريضة المتمثلة في الحج لربط نشاطاتها مع بلدان المشرق وكذلك لاستقطاب الأفكار التحررية والمناهضة للاستعمار وللتعريف بالقضية الجزائرية وكشف السياسة القمعية للاحتلال الفرنسي في الجزائر.
- رغم ما قامت به الإدارة الاستعمارية من إجراءات بهدف التضييق على فريضة الحج ومنعها في الجزائر إلا أن الجزائريين وقفوا كجدار دفاع أمام هذه الإجراءات وقاوموها بكل الطرق المتاحة، فاستمرت هذه الفريضة واستمر الجزائريون في الحج ثم طرد الاستعمار من الجزائر وبقي الإسلام وأركانه ديناً قائماً على أرض هذا الوطن.

الملاحق

الملحق رقم 01: خريطة مسار ركب الحج الجزائري في العهد العثماني



المرجع: أحمد بوسعيد، ركب الحج الجزائري خلال العهد العثماني، مرجع سابق، ص 275.

الملحق رقم 02: نص وثيقة رسمية لتزكية الشيخ عبد الكريم أميرا على ركب الحج الجزائري عام 1048 هـ. 1639م

"الحمد لله، لِيَعْلَمَ مَنْ يَقِفُ عَلَى هَذَا الْأَمْرِ الْكَرِيمِ، مِنْ الْقَوَادِ وَالْعَمَّالِ وَالْخَاصِّ وَالْعَامِ بِلَدِي قُسْطَنْطِينَةِ، سَدَّدَ اللَّهُ الْجَمِيعَ، وَبَعْدُ فَإِنَّ الشَّيْخَ الْعَالِمَ الْقُدُوءَ التَّقِيَّ النَّاسِكَ الْأَبْرَّ النَّحْرِيرَ الْمُؤَلَّفَ الْبَلِيغَ، سَيِّدِي عَبْدَ الْكَرِيمِ الْفَكُونَ، دَامَتْ بِتَوْفِيقِ اللَّهِ عَنَائَتُهُ وَنَفَعَنَا بِبَرَكَاتِهِ، جَدَّدْنَا لَهُ عَلَى مَقْتَضَى مَا بِيَدِهِ مِنَ الْأَوَامِرِ، فَلَمَّا كَانَ تَوَجُّهُهُ لِلْأَرْضِ الْمَشْرِقَةِ وَزَارَ قَبْرَ الْمُصْطَفَى، عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، بَعْدَ اسْتِخَارَةِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ، وَظَهَرَ لَهُ يَتَبُّعُ طَرِيقِ إِمَامِ التَّحْقِيقِ شَيْخِ الْأَشْيَاخِ الْعَارِفِ بِاللَّهِ الْمُحَقِّقِ الْمُتَبَرِّكِ بِهِ فِي الْحَرَكَةِ وَالشُّكُونِ سَيِّدِي أَحْمَدُ زُرُوقٌ، نَفَعَنَا اللَّهُ بِبَرَكَاتِهِ.

وَأَذْنًا لَهُ بِضَرْبِ الطَّبْلِ، وَتَوَجُّهُهُ بِالْمُسْلِمِينَ كَمَا كَانَ، وَيَكُونُ رِقَاسَ (مَبْعُوثِ) الرَّسُولِ، عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، لَا مَانِعَ لَهُ وَلَا مُعَارِضَ وَلَا مُدَافِعَ، لِأَنَّهُ أَحَقُّ بِهَا وَيَقُومُ بِحَقِّهَا. مُوصِي فِيهَا سَعَى وَقَلَّدَ إِلَيْهِ وَاتَّبَعَ الطَّرِيقَ فِيمَا اقْتَدَى وَاهْتَدَى، وَالزَّفَقَ بِالرَّفِيقِ، وَالسَّائِقَ الْمَزْمَلِ لِلْبَيْتِ الْعَتِيقِ، يَسِيرُ عَلَى قَدَرِ سِيرِهِمْ، وَلَا يُوْثِرُ الْبَعْضَ عَلَى بَعْضِهِمْ. فَصَدَّدْنَا بِذَلِكَ وَجْهَ اللَّهِ الْعَظِيمِ، وَرَجَاءَ ثَوَابِهِ الْجَسِيمِ.

وَكُتِبَ بِأَمْرِ عَبْدِ اللَّهِ الْمُحَاهِدِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَبِي الْحَسَنِ عَلِيِّ بَاشَا . أَيَّدَهُ اللَّهُ . بِتَارِيخِ أَوَائِلِ رَمَضَانَ الْمُعَظَّمِ عَامِ ثَمَانِيَةِ وَأَرْبَعِينَ وَأَلْفَ . وَبِأَوَّلِهِ خَاتَمٌ بِهِ مَا نَصَّهُ أَوْعَفُّ الْعِيَادِ عَلِيَّ .

أبو القاسم سعد الله، شيخ الإسلام، مرجع سابق، ص225.

الملحق رقم 03: نموذج لجواز سفر مسلم جزائري سنة 1913

GOVERNEMENT ALGÉRIEN (TUNISIEN)

PASSEPORT SPÉCIAL POUR LE PÈLERINAGE
A LA MECQUE

ANNÉE 1913

N° 109

Nom Mohammed ben Baïliche

immatriculé à Saghonat . ville

Signalement Age 65 ans. Taille 1.67, front
d'arc, yeux gris, nez moyen, bouche grasse
barbe grise. Teint bruni. Alg., 4 OCT 1913

Le Gouverneur Général et par son ordre
Le Chef du Service des Affaires Indigènes
et du Personnel Militaire
Le Capitaine Sous-Chief

Cette feuille doit toujours rester entre les mains du pèlerin.

قبايلي هواري، مسألة الحج في السياسة الإستعمارية الفرنسية، مرجع سابق، ص 488

الملحق رقم 04: بطاقة تعريف مسلمة للحجاج الجزائريين



قبايلي هواري مسألة الحج في السياسة الإستعمارية الفرنسية، مرجع سابق، ص 480.

الحج الى بيت الله الحرام
سنة ١٣٥٥ الموافق لسنة ١٩٣٧
على ظهر الباكرا (منقولة)
للجمعية الاسلامية المرسومة لتقل حاج الشمال الافريقي



يتم التسمية من حيث الله الخالق في هذا التوسل القويبة الاستلزامية القوية. إذ عند هذه المدة قد حصلت اعظم اضرار على نظام الفتيان الشابة في السن والاسرة والكل عاب وادبه. والله تحت قيادة الشبيبة في كل زمان والمكان معطى واعرف ان هذه القوية غير مستدامة ولا تدوم. من اجل ذلك ونشكر كل من ايدى الله في غيرهم. والله جليلة لكم في القارة ممدودة. والله احسن بقرعة واحسن مبرحة وبالقوية بكثرة من جانيه وبالقوة القوية. وبالقوة القوية القوية بالاسرة.

في هذه القوية القوية قد حصلت القارة ممدودة. والقوية القوية ان لا تكون القوية القوية وهي كمثل 1700 طلة ولها ممدودة مبرحة من طلة. وبالقوة القوية القوية القوية والقوية والقوية من راحة حارة.

كانت القضاة يحكمون قلوباً مساة للتعطيل من علم السكوكيات وغيره لا يوجد بروت القضاة
والمراجع السماع لا يميز ما يروج بحرية المقتضى فقامت القضاة لا يميز والمقتضى القومية .
بمقدور القضاة لا يميز فتركيب قلوب القضاة والمقتضى من من يتكلمون هذا لا يميز لا
هذه بمرتب مع زيادة القضاة من من ارتبطت القضاة القضاة من من يرتبط القضاة والمقتضى
مع القضاة مع القضاة القضاة والمقتضى من القضاة القضاة .

وكانت هناك فرق بين جميع الأبحاث العلمية التي أجراها العلماء في
البحر الأحمر في الفترة من 1960 إلى 1970.

محرران :- : آصفه و محرابی آصفه و محرابی : ۶ تالیف لایه .

المطبعة : دار مطبعة كبرياء اللاكوري في نعيم كراتشي

ملحق - ۱ : عہدہ سب ڈپٹی کمشنر

التعليق :- كروماتية لا يكون لي و

نيس - : كدمباله ناكرون في روكروك .

عائشة - صفير

وفاطمة قمرية

وإن قلب العبد أحسن القلب ، وأرجح
فراحي ، لاحظ بصره النفسية بكل توازن
سواء كانت في الماضي أو في الحاضر ، من غير أن
يخفى على غيره الخواص الخاصة به ، فله
(حسية نفسية) فسيده يهتد بها بالقبول
ويعمل البصيرة على فهم رؤيته ، هو بصره
إذ إن له في حسيه إلى الفهم من توازن وعقل
أعصاب ، فلهذا ، بقية ما ذكره صفة الفهم
وهو ، يعني أن (فقهية المعرفة) وقد حدد
بما أحد ألائله الأجانب السيد (الفاضل
عربي) الفهم الفسفي ، والأدب الفكري
الذي أتى أولاً في شعر الفهماني ثم الفهم
الذي كان في من بعده ، وما لفقه من سلفه
من بعده ، وإن كانت الأولى للاطلاع وإدراك
الجماع بين الفهم والفهم الفهماني ، وأمين
أعصاباً ، و (فقهية الفهم) الفهم الفهماني
الذي هو من قبل الفهماني ، مستعربين ما كان
قد مر من قبل أولئك ، فلهذا من غير أن
يكون ، والفهم بذلك هو .

هنيئاً لك ما أنعمت !

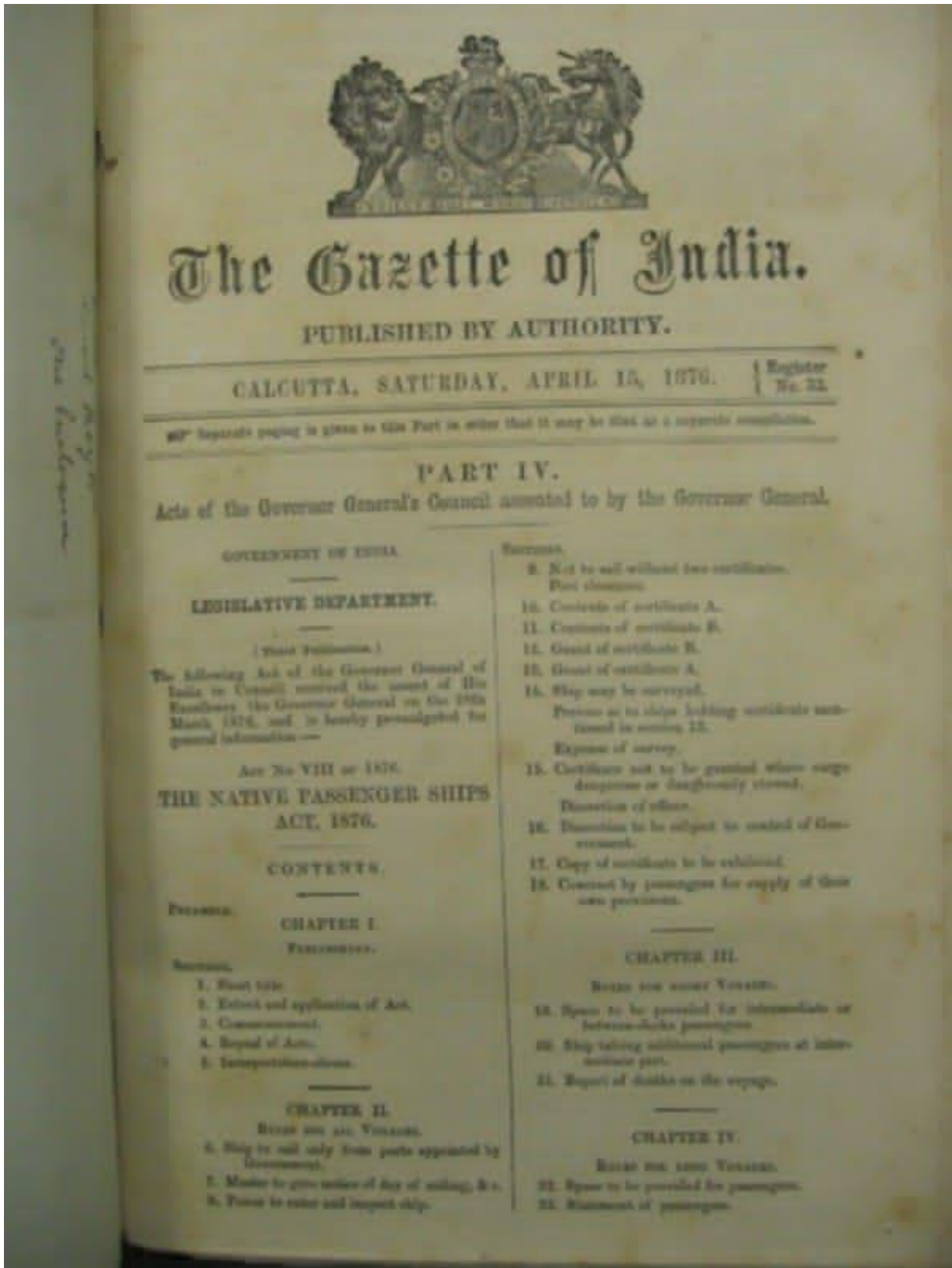
د افغانستان اسلامي امارت د الله تعالیٰ په لاسونو کې ده
د وخت او نړۍ په بدلون کې به یې خپل ځان ثابت کوي.

[illegible]

92

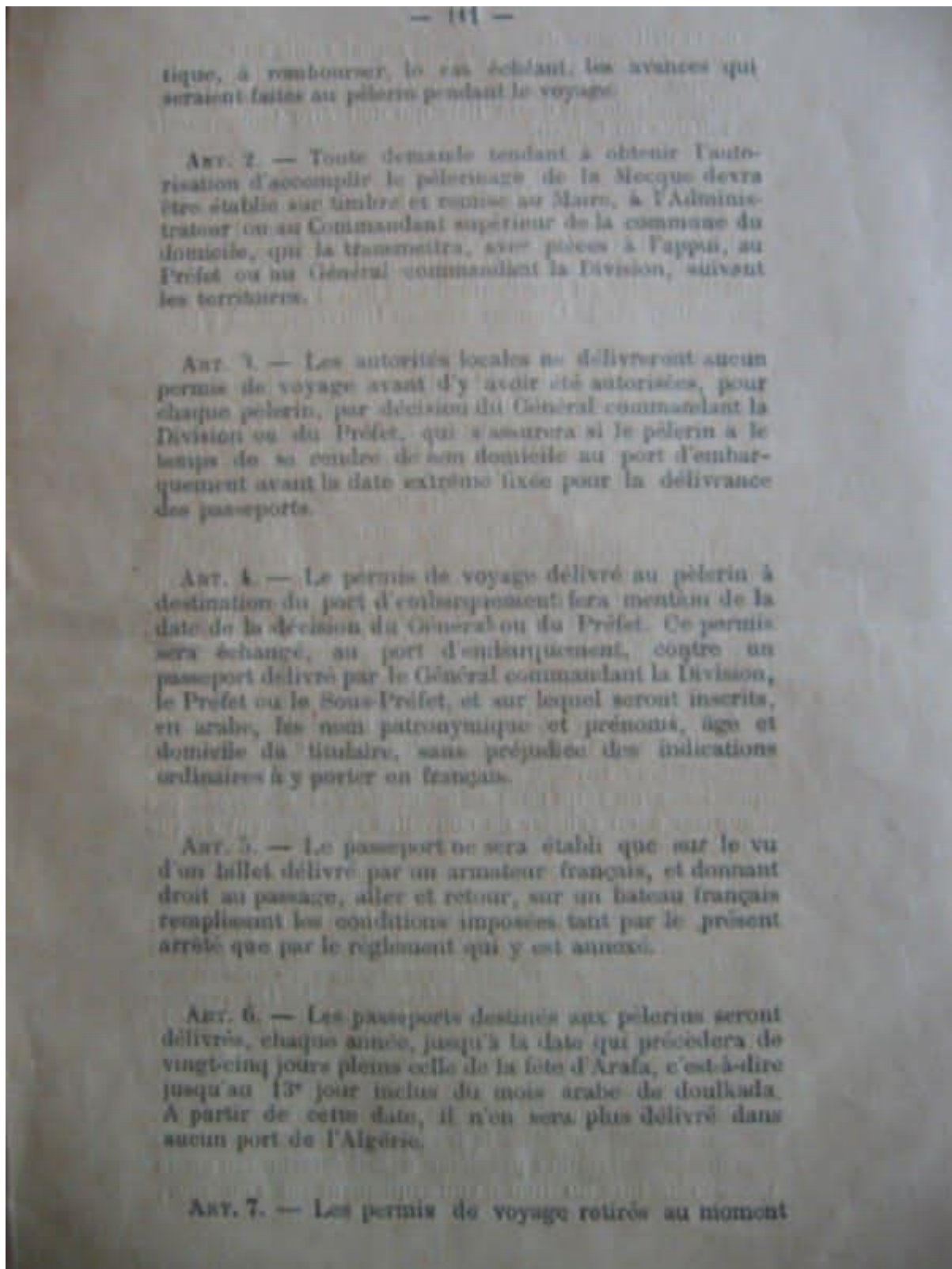
المصدر: «إعلان الحج إلى بيت الله الحرام سنة 1355 / 1937»، البصائر، السلسلة الأولى، ع15، 51 جانفي 1937، ص6.

الملحق رقم 06: قانون سفن الركاب لعام 1876م



المرجع: Chanter, Op cit, p705.

الملحق رقم 07: مرسوم الحاكم العام للجزائر بتاريخ 10 ديسمبر 1894 بشأن تنظيم الحج الى مكة



المرجع: Chanter, Op cit, p708

N° 43. — PÈLERINAGE DE LA MECQUE. — *Règlement*

ARRÊTÉ DU 14 DÉCEMBRE 1894

Le Gouverneur de l'Algérie,

Vu le décret du 26 août 1881, aux termes duquel le Gouverneur général régit, par délégation du Ministre de l'Intérieur, les questions relatives aux pèlerins ;

Vu le règlement inséré dans l'annexe 1 de la convention sanitaire internationale signée à Paris, le 3 avril 1894 ;

Vu les propositions de MM. les Généraux commandant les Divisions et MM. les Préfets des trois départements de l'Algérie.

ARRÊTE :

ARTICLE PREMIER. — Tout pèlerin musulman, quel que soit son lieu d'origine, qui s'embarquera dans un port de l'Algérie à destination de La Mecque devra justifier par des actes authentiques : 1° qu'il dispose de la somme indispensable pour effectuer le voyage, aller et retour, dans de bonnes conditions, laquelle somme est fixée à 1.000 francs ; 2° que sa famille est à l'abri du besoin et n'aura pas à souffrir de son absence ; 3° qu'il a acquitté les impôts et taxes dont il est redevable envers l'Etat ou envers la commune.

Il devra présenter, en outre, un répondant solvable, domicilié dans la même commune et ne prenant pas part au pèlerinage, lequel s'engagera par acte authen-

AVIS IMPORTANT. — Ce règlement a un caractère permanent. La publication qui en est faite aujourd'hui ne signifie pas que le pèlerinage de La Mecque soit dorénavant autorisé. Comme par le passé, un avis spécial, qui sera publié au besoin utile, fera connaître tous les usages à la pèlerinage est autorisé pour les Musulmans algériens.

المرجع: Chanter, Op cit, p708.

الملحق رقم 08: نزول الحجاج من ميناء جدة



المرجع: هوارى قبائلى، مسألة الحج، مرجع سابق، ص502.

الملحق رقم 09: نموذج من جواز السفر الخاص بالحجاج



المرجع: هواري قبايلي، مسألة الحج، ص 491.

قائمة المصادر

والمراجع

1. قائمة المصادر باللغة العربية

الكتب:

1. القرآن الكريم.
2. أجيرون شارل روبير، المسلمون وفرنسا 1871.1919، ج1، دار الرائد للكتاب، الجزائر، 2007.
3. أجيرون شارل روبير، تاريخ الجزائر المعاصر من انتفاضة 1871 الى اندلاع حرب التحرير 1954، مجلد 2، ترجمة محمد حمداوي وآخرون، شركة الأمة للطباعة والنشر، الجزائر، 2013.
4. ابن حمادوش عبد الرازق، رحلة ابن حمادوش المسماة لسان المقال في النبأ والنسب والحسب والحال، تحقيق ابو القاسم سعد الله، طبعة خاصة وزارة المجاهدين، دار المعرفة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2015.
5. الإبراهيمي محمد البشير، أثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي 1954-1، 1964، جمع وتقديم الدكتور احمد طالب الابراهيمي، ج 5، ط 1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1997م.
6. الإبراهيمي محمد البشير، اثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، ج3، عيون البصائر، بيروت، 1997م.
7. بتس جوزيف، رحلة جوزيف بتس الحاج يوسف الى مصر ومكة المكرمة والمدينة المنورة، تحقيق عبد الرحمن بن عبد الله الشيخ، الطبعة 1، الهيئة المصرية العامة، 1995.
8. التاوتي الصديق، المبعدون إلى كاليديونيا الجديدة مأساة هوية منفية نتائج وأبعاد ثورة المقراني والحداد، شركة دار الأمة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2007.
9. تشرشل شارل هنري، حياة الأمير عبد القادر، ط1، ترجمة وتقديم ابو القاسم سعد الله، الدار التونسية للنشر والتوزيع، تونس، 1974.
10. التمتروني علي بن محمد، النفخة المسكية في السفارة التركية، المطبعة الملكية، الرباط، 2002.
11. خوجة بن حمدان بن عثمان، المرأة، تقديم وتعريب وتحقيق: محمد العربي الزبيري، سلسلة التراث، منشورات ANEp الجزائر، 2005.

12. الدرعي أبو العباس احمد بن محمد بن ناصر، الرحلة الناصرية، ط1، تحقيق: عبد الحفيظ سلوكي، دار السويد للنشر والتوزيع، الإمارات، 2011.
13. الزهار الشرف أحمد، مذكرات الحاج أحمد الشريف الزهار نقيب اشراف الجزائر، تحقيق: احمد توفيق المدني، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، سلسلة ذخائر، المغرب، 1974.
14. الزياني ابو القاسم، الترجمانة الكبرى في أخبار المصور برا وبحرا، ط2، تحقيق: عبد الكريم الفلالي، دار المعرفة للنشر والتوزيع، الرباط، 1991.
15. السباعي احمد، تاريخ دراسات في السياسة والعالم والإجتماع والعمران، ط5، دار الملك عبد العزيز، الرباط، 1999.
16. العياشي، ماء الموائد الرحلة ليبيا وطرابلس وبرقة، دار المعارف الإسكندرية، جمع وتحقيق: سعد زغلول عبد الحميد وآخرون، مركز دلّتا للطباعة، الإسكندرية، د.ت.
17. المدني أحمد توفيق، كتاب الجزائر، المطبعة العربية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1931.
18. المقرئ التلمساني احمد أبو العباس، نفخ الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ط 1، تحقيق: احسان عباس، دار صادر، بيروت 1988.
19. المصعبي ابراهيم بن برحمان، رحلة المصعبي، تحقيق: يحي بهون، وزارة الثقافة، الجزائر، 2007.
20. المكناسي محمد بن عبد الله الوهاب، رحلة المكناسي اغراز المتعلم والرقيب في حج بيت الله الحرام وزيارة القدس الشريف والخليل والتبرك بقبر الحبيب 1785، تحقيق محمد بوكبوط، ط1، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 2003.
21. الورثاني الحسين بن محمد، الرحلة الورثانية الموسوعة بنزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار ج2، ط1، مجلد 2، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 2008.
22. انتران روبير، تاريخ الدولة العثمانية، ج1، ترجمة: بشير السباعي، دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع، القاهرة، 1993.

المقالات:

1. ابن باديس عبد الحميد، «احتفال جمعية التربية والتعليم الإسلامية بالحجاج»، البصائر، السلسلة الأولى، العدد 10، 20 مارس 1937.
2. الحريري جمال بن محمد، «دعوة الى الحج»، البصائر، سلسلة الأولى، عدد 8، 05 جانفي 1937.
3. «كيفية التحصيل على رخصة الحج»، عيون البصائر، السلسلة الأولى، عدد 51، 15 جانفي 1938.

II. قائمة المصادر باللغة الأجنبية:

1. Aldo D' Agostini, **French Policy and Hajj in Late- Nineteenth - Century Algeria**, Governor Cambon' S - RefoRm Attempts and jules Gervais – GouRTELLEMOnt' S Pilgrimage to Mecca , 2017.
2. Anciens Bulletin, **el Moubecher journal O fficiel de L'Algéria**, Premérertie, el DEcRéts, Paris, 2010.
3. Ferdinand gousseaulme, **un voyage péleriensens all amecque**, Imprimerie centrale du midi (hamelin frères), Montpellier, 1894.

III. قائمة المراجع باللغة العربية

الكتب:

1. الحنفي هلايلي، أوراق في تاريخ الجزائر، دار الهدى، الجزائر، 2008.
2. الفاسي علال، الحركات الإستقلالية في المغرب العربي، دار الطباعة المغربية تطوان، المغرب، 1984م.
3. بلاح بشير وهنور العربي، تاريخ المعاصر 1830 1989م، ج1، ط1، دار المعرفة، الجزائر، 2006.
4. بوعزيز يحي، سياسة التسلط الإستعماري والحركة الوطنية الجزائرية 1830-1954، ديوان المطبوعات الجامعية، عاصمة الثقافة العربية، الجزائر، 2007.
5. تيران ايقون، المواجهات الثقافية في الجزائر المستعمرة المدارس والممارسات الصليبية والدين 1830-1880، ترجمة عبد الكريم اوزعلة، دار القصة، الجزائر، 2007.

6. دهان سليمان، مساهمة عبد المالك أضواء لي التبشير والمبشرين، ط1 مطبعة الأمانة، مصر، 1994.
7. زوزو عبد الحميد، نصوص ووثائق في تاريخ الجزائر المعاصر 1830-1900، ط1، دار النهار للنشر والتوزيع، الجزائر، 2010.
8. سعد الله أبو القاسم، أبحاث وراء في تاريخ الجزائر، جزء1، ط1، دار البصائر، الجزائر، 2007.
9. سعدالله ابو القاسم، تاريخ الجزائر الثقافي 1830 - 1954، ج: 4، 5، 6، ط1، دار الغرب الإسلامي بيروت 1998.
10. سعد الله أبو القاسم، شيخ الإسلام عبد الكريم الفكون داعية السلفية، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1986.
11. سعد الله ابو القاسم، محاضرات في تاريخ الجزائر الحديث بداية الاحتلال، ط3، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1900.
12. سعيدوني ناصر الدين، دراسات تاريخية في الملكية والوقف والجباية، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 2013.
13. سعيدي مزيان، النشاط التنصيري للكاردينال لافيغري في الجزائر وأساليب المواجهة الجزائرية له 1867 1892، ج 1، ط3، دار سيدي الخير، الجزائر، 2022.
14. عمورة عمار، بوابة التاريخ: ما قبل التاريخ، دار المعرفة، الجزائر، دت.
15. عميراي حميدة وآخرون، السياسة الفرنسية في الصحراء الجزائرية 1844-1976، دار الهدى للطباعة والنشر، عين مليلة، الجزائر، 2009.
16. قداش محفوظ، جزائر الجزائريين: تاريخ الجزائر 1830 - 1954، ترجمة محمد المعراجي، ط1، منشورات ANEp، الجزائر، 2008.
17. مناصرية يوسف، مهمة ليون روش في الجزائر والمغرب 1832-1847، دار هومة للطباعة والنشر، الجزائر، 2013.

IV. قائمة المراجع باللغة الأجنبية:

1. Anciens bulletin, **elmoboher sourval officiel de Algérie**, prenere partie lois et dechets, paris, 2010.
2. Borel fredere, **choliore et peste dans le musuluman 1860 1903**, etude de dhgiene internaternatinalle, paris maisson et cie éticteure le brairesde la cademine de medeine.
3. Chantre lui, **le pèlerinage àla meceque à l'époque conlonaial tv 1866 1940**, fronce grand Bretagne It alie de doctorat univierssité de poitiers 2012
4. Chantre lui, **pèlerinages D' Ginpre une histoire tunsopééne pèlerinage àla meceque**, universitaire paris, 2018.

V. المقالات:

1. اسماعيل فتحي بن حامد سعدية «رحلة المقرري 1041هـ 1631م ودورها في التواصل الثقافي بين الجزائر والحجاز»، **مجلة المعيار**، مجلد 15، العدد 1، جامعة محمد بوضياف المسيلة، الجزائر، جوان 2024.
2. بكري حمزة دادة محمد، «ركب الحج الجزائريين خلال رحلاتي الحسين الورثلاني وعبد الرحمان المجاجي»، **مجلة عصور الجديدة**، مجلد 10، عدد 1، جامعة وهران احمد بن بلة، الجزائر، مارس 2020م.
3. بن أزواو فتح الدين، «السياسة الإستعماريةالفرنسيةالدينية والثقافية في الجزائر 1830-1954»، **مجلة البحوث التاريخية**، مجلد 5، عدد 2، جامعة محمد بوضياف المسيلة، الجزائر، 2021.
4. بن زينب آمنة، «التشريع الفرنسي المتعلق بالقضاء الإسلامي في الجزائر 1830-1900»، **مجلة القرطاس**، العدد 5، جامعة مصطفى اسطنبولي، معسكر، جوان 2017.
5. بن عون محمد الحاكم، «مسألة الوقف في الجزائر اثناء الإحتلال الفرنسي»، **مجلة المعارف للبحوث والدراسات التاريخية**، مجلد 3، عدد 13، جامعة الشهيد حمة لخضر، الوادي، جوان 2017م.
6. بوحلوف محمد الأمين، شهيرة سفيان، «إنتهاكات الإستعمار الفرنسي للمؤسسات الوقفية في الجزائر قراءة تاريخية»، **مجلة الأكاديمية للبحوث في العلوم الإجتماعية**، المجلد 1، العدد 1، جامعة الأمير عبد القادر علوم الإسلامية قسنطينة، الجزائر، ديسمبر 2012.
7. دهان سليمان، نويصر مصطفى، «تنظيم ركب الحج الجزائري خلال العهد العثماني بين تلبية المقدس والتواصل الحضاري»، **مجلة أفكار وافاق**، العدد 9، جامعة حسيبة بو علي الشلف، جامعة الجزائر 2، 2017.

8. رفاف شهرزاد، سياب خيرة، «التشريعات العقارية الفرنسية أداة أخرى لسلب املاك الجزائريين 1830-1873: دراسة في المحتوى والنتائج»، **مجلة الاحياء**، مجلد 20، العدد 3، جامعة ابن خلدون تيارت، 21 اكتوبر 2024.
9. زقب عثمان، بن بردي الزبير، «نفي الإحتلال الفرنسي لمحمد بن العنابي»، **مجلة المعارف للبحوث والدراسات التاريخية**، مجلد 8، العدد 4، جامعة محمد لخضر الوادي، الجزائر 2023.
10. زلافي إبراهيم، «رسل الغزو الفرنسي الى الجزائر التنصير نموذجا»، **مجلة إشكالات في اللغة والادب**، مجلد 4، عدد 2، جامعة محمد بوضياف مسيلة، ديسمبر 2015.
11. سعدي مزيان، «من مظالم السياسة الفرنسية في الجزائر 1830-1870»، **مجلة الحوليات التاريخ والجغرافيا**، مجلد 2، عدد 3، 20 افريل 2007.
12. السيد الشيخ سعاد، «رحلة عبد الرحمن بن محمد بن الخروب المجاجي: نموذج الرحلة الحبية النظامية خلال القرن 19هـ»، **مجلة الواحات للبحوث والدراسات**، مجلد 7، العدد 20، جامعة غرداية، الجزائر، 2014.
13. شريخي نبيل، «الحج في الجزائر اثناء الاحتلال الفرنسي من خلال وثائق الأرشيف بين الإجراءات الإدارية واللجوء للرحلة السرية»، **مجلة عصور**، مجلد 23، عدد 2، ديسمبر 2024.
14. العربي عمر، قارة فاطمة، «التهجير القسري لأعيان مدينة الجزائر من طرف الإحتلال الفرنسي 1830-1833»، **مجلة دراسات تاريخية**، مجلد 11، العدد 1، المركز جامعي مرسللي عبد الله تيبازة، الجزائر، 2023.
15. عميدي ابو بكر الصديق، «مصير الأوقاف الجزائرية في ظل الإحتلال الفرنسي اثناء قرن 19»، **مجلة المعارف والبحوث والدراسات التاريخية**، عدد 20، جامعة مسيلة.
16. الغازي خديجة، بوجلة عبد المجيد، «رحلة السعيد الورثلاني في الجزائر والحجاز من خلال كتابة الرحلة الورثلانية»، **مجلة دراسات تاريخية**، مجلد 10، عدد 1، **جامعة ابو بكر بلقايد تلمسان**، 2022.
17. المجروني الطيب، عبد القادر نابلي، «السياسة الفرنسية اتجاه الوقف الإسلامي في الجزائر 1838-1907م»، **مجلة انسة للبحوث والدراسات**، مجلد 11، عدد 20، جامعة زيان عاشور الجلفة، الجزائر، جانفي 2021م.
18. مدريل مصطفى الأمين، «الأمراض والأوبئة في الجزائر خلال القرن الأول من خلال

- الإحتلال الفرنسي»، مجلة افاق فكرية، المجلد 11، العدد 1، ماي 2023م.
19. مزوجي هشام، «السياسة الإستعمارية اتجاه الأوقاف في الجزائر 1830-1948»، مجلة المعيار، المجلد 25، عدد 56، جامعة العربي التبسي تبسة، جوان 2021م.
20. مصطفىوي سعاد، «القوانين الفرنسية الخاصة بالحج وموقف الجزائريين منها 1830-1930م»، مجلة التاريخ المغرب العربي، العدد 8.
21. نوفل وضاح، «سياسة فرنسا الإستعمارية في الجزائر 1830-1894 الجانب الديني انمودجا» مجلة جامعة تشرين للبحوث والدراسات العلمية، سلسلة الاداب والعلوم الإنسانية، مجلد 43، عدد 5، سبتمبر 2021م.

VI. الرسائل الجامعية والأطروحات:

1. بوسعيد أحمد، ركب الحج الجزائري خلال العهد العثماني 1518-1830م، مذكرة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، اشراف محمد حوتية، جامعة احمد دارية ادرار، السنة الجامعية 2017-2018م.
2. جلال ايمان، بن يونس منى، رحلة الحجاج الجزائريين من خلال كتب الرحلة في الفترة العثمانية 1518-1830م، مذكرة لنيل شهادة الماستر، اشراف مرجي عبد الحليم، كلية العلم الإنسانية والاجتماعية، جامعة محمد بوضياف المسيلة، السنة الجامعية 2023-2024.
3. دراوي محمد، الجزائر والجامعة الإسلامية 1876-1924م، مذكرة لنيل شهادة المجايستير في التاريخ المعاصر، اشراف مولود عويمر، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة الجزائر، 2007-2008م.
4. زغب عثمان، السياسة الفرنسية في الجزائر 1830-1914م: دراسة في أساليب السياسية والإدارية، رسالة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه العلوم في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة لحاج لخضر، السنة الجامعية 2014-2015.
5. عطيلي هاجر، موقف الاحتلال الفرنسي من المؤسسات العلمية والدينية في الجزائر 1830-1938، مذكرة لنيل شهادة الماستر في التاريخ، جامعة الوادي، 2018.

6. عمارة هيناس، زاوية مهوي قضايا الدين الإسلامي في صحافة جمعية العلماء المسلمين الجزائريين جريدة البصائر أنموذجا 1935 1976م، مذكرة لنيل شهادة ماستر كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية جامعة ابن خلدون تيارت 2021 2022.

7. فراحتية سامية، ركب الحج الجزائريين خلال كتب رحالة في العهد العثماني 1518-1830، مذكرة لنيل شهادة الماستر أكاديمي في التاريخ، اشراف ابو بكر الصديق حميدي، جامعة محمد بوضياف المسيلة، السنة الجامعية 2018 2019م

8. قبايلي هوارى، مسألة الحج في السياسة الاستعمارية الفرنسية بالجزائر 1894-1962، أطروحة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه في التاريخ، كلية العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية، اشراف بوعلام بلقاسمي، جامعة وهران، السنة الجامعية 2013 2014.

9. قريشلي حميد، السياسة الفرنسية في الجزائر 1914-1870م، اطروحة لنيل شهادة الدكتوراه في علوم التاريخ والحديث والمعاصر، جامعة الجزائر 2 ابو القاسم سعد الله، السنة الجامعية 2020 1019م.

10. المجاجي عبد الرحمان، أدب الرحلات الأندلسية والمغربية حتى نهاية القرن 19، اطروحة لنيل شهادة دكتوراة في اللغة العربية وأدابها، كلية الدراسات العليا، الجامعة الأردنية، 2006م.

VII. القواميس والمعاجم:

1. ابن منظور، لسان العرب، دار المعرفة، ج8، القاهرة، 1894.
2. الفيروز آبادي، القاموس المحيط، مؤسسة الحلبي وشركائه، ج 4، القاهرة، 2016.

قائمة الجداول

قائمة الجداول:

الصفحة	الجدول	رقم الجدول
14	عائدات الأوقاف بعد الاحتلال الفرنسي 1838 - 1839 م بالفرنك	01
106	تعداد الحجاج الجزائريين أثناء الإحتلال الفرنسي	02

فهرس المحتويات

الصفحة	المحتويات
	الإهداء
	الشكر
02	مقدمة
	الفصل الأول: السياسة الدينية الفرنسية في الجزائر
07	المبحث الأول: إتجاه المؤسسات الدينية الإسلامية
20	المبحث الثاني: التنصير
28	المبحث الثالث: محاربة التعليم الإسلامي
39	المبحث الرابع: تهجير ونفي العلماء
	الفصل الثاني: وضعية الحج قبل الاحتلال الفرنسي
47	المبحث الأول: مكانة الحج في الجزائر العثمانية
58	المبحث الثاني: رحلات الحج والطرق
73	المبحث الثالث: حجم الركب الجزائري ومراحل سيره
78	المبحث الرابع: الصعوبات التي واجهها ركب الحج الجزائري
	الفصل الثالث: السياسة الاستعمارية إتجاه الحج
87	المبحث الأول: نظرة الاحتلال للحج
95	المبحث الثاني: القوانين والتشريعات الفرنسية إتجاه الحج

101	المبحث الثالث: التحكم في أعداد الحجاج
109	المبحث الرابع: فرض الرقابة والجوسسة على ركب الحجاج
	الفصل الرابع: ردود فعل الجزائريين
115	المبحث الأول: الحج الغير نظامي
121	المبحث الثاني: الاحتجاجات
127	المبحث الثالث : موقف التيارات الحركة الوطنية من السياسة الاستعمارية اتجاه فريضة الحج.
137	الخاتمة
140	قائمة الملاحق
151	قائمة المصادر والمراجع
159	قائمة الجداول
160	فهرس المحتويات
164	الملخص

ملخص

ملخص:

عالجت هذه المذكرة التي تحمل عنوان "السياسة الاستعمارية اتجاه فريضة الحج في الجزائر 1830-1954م" بالدراسة والتحليل السياسة التي انتهجتها السلطات الاستعمارية الفرنسية اتجاه شعيرة الحج لدى المسلمين الجزائريين منذ بداية الاحتلال الفرنسي 1830 وإلى غاية إندلاع الثورة التحريرية 1954، حيث تهدهذه الدراسة إلى كشف الأساليب والقيود التي فرضتها فرنسا على الجزائريين الراغبين في أداء هذه الفريضة. كما تهدف الى محاولة فهم خلفيات هذه السياسة وأبعادها الدينية والسياسية، لاسيما البعد الديني نظرا لتأثيره في الحفاظ على الهوية الإسلامية للشعب الجزائري في ظل محاولات فرنسا للسيطرة على المؤسسات الدينية: مساجد، زوايا، أوقاف إضافة إلى التضيق على شعيرة الحج.

الكلمات المفتاحية: السياسة الاستعمارية، فريضة الحج، الحجاج الجزائريين، الحركة الوطنية، القوانين الفرنسية.

Summary

This memorandum , entitled title of colonial policy towards hajj in Algeria 1830 –1954 by studying and analyzing the policy pursued by the french colonial authorities the trend of hajj rituals among Algerian muslims since the beginning of the french occupation 1830, until the Outbreak of the liberation revolution In 1954, which aims to reveal the methods and restrictions imposed by French on Algerians wishing to perform this duty..., it is also aims to try to understand the background of this policy and its religious and political dimensions Especially the religious dimensions, given its impact on preserving the islamic identity of the algerian people in light of French attempt to Control religious institutions mosques, endowments, corners and the use of Hajj as a tool for monitoring.

Keywords:

Colonial policy; Hajj Obligation; Algerian pilgrims; National Movement; French Laws.